سلسلة كشف حقيقة الوهابية

٨

التَّنْظِيمَاتُ الإِرْهَابِيَّةُ لِلْحَرَكَةِ الوَهَّابِـيَّـةِ

بقلم

عبد الله محمد عكور

كان الله له

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠]

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يُحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله واحد لا ثاني له في ألوهيته، منزه عن الصاحبة والولد، موجود بذاته من غير افتقار إلىٰ موجد يوجده، قديم لا افتتاح لوجوده، باقي لا نهاية لبقائه، ليس بجوهر متحيز فيقدَّر له المكان، ولا بعَرَض فيستحيل عليه البقاء، ولا بجسم فتكون له الجهة، مقدسٌ عن الجهات والأقطار، مرئيٌّ بالقلوب والأبصار، لا يحده زمان ولا يُقلُّه مكان، بل كان ولا مكان وهو علىٰ ما عليه كان، خلق المتمكن والمكان، وأنشأ الزمان، وقال: أنا الواحد الحيُّ لا يئوده حفظ المخلوقات، تعالىٰ أن تحله الحوادث أو يحلها، أو تكون بعده أو يكون قبلها، بل يقال كان ولا شيء معه، فإن القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه، فهو القيوم الذي لا ينام، والقهار الذي لا يرام، لَيۡسَ كَمِثۡلِهِ شَيۡءٞ، خلق العرش وجعله حد الاستواء، وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسماء، أبدع العالم كله علىٰ غير مثال سبق، وخلق الخلق وأخلق الذي خلق، هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَٱلۡباطِنُ، وهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ، أَحاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡماً، وأَحۡصىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَداً، يَعۡلَمُ السِّرَّ وَأَخۡفىٰ، يَعۡلَمُ خائِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَما تُخۡفِي الصُّدُورُ، كيف لا يعلم شيئا هو خلقه؟ أَلا يَعۡلَمُ من خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الۡخَبِيرُ، لم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء، لا راد لأمره، ولا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِ، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويُضِلُّ من يَشاءُ وَ يَہۡدِي من يَشاءُ، ما شاء كان وما لم يشأ أن يكون لم يكن، سميع لا يحجب سمعَه البعد، يسمع كلام النفس في النفس، وصوت المماسة الخفية عند اللمس، بصير لا يحجب بصرَه القرب، و يرىٰ السواد في الظلماء ، لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور وهو السميع البصير، تكلم سبحانه لا عن صمت متقدم، ولا سكوت متوهم، بكلام قديم أزلي كسائر صفاته: من علمه وإرادته و قدرته، كلم به موسىٰ، سماه التنزيل والزبور والتوراة

والإنجيل، من غير حروف ولا أصوات، ولا نغم ولا لغات، بل هو خالق الأصوات والحروف واللغات، فكلامه سبحانه من غير لهاة ولا لسان، كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان، وبصره من غير حدقة ولا أجفان، وإرادته في غير قلب ولا جَنان، وذاته لا تقبل الزيادة والنقصان، كل ما سواه تحت سلطان قهره ، متصرف عن إرادته وأمره، فهو الملهِم نفوس المكلفين التقوىٰ والفجور، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء، والآخذ بها من شاء، هنا وفي يوم النشور، أخرج العالم قبضتين، وأوجد لهم منزلتين فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي، ولم يعترض عليه معترض هناك، إذ لا موجود كان ثَم سواه، فالكل تحت تصريف أسمائه، فقبضةٌ تحت أسماء بلائه، وقبضة تحت أسماء آلائه، ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيدا لكان، أو شقيا لما كان من ذلك في شأن، لكنه سبحانه لم يُرد، فكان كما أراد، فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المعاد، فلا سبيل إلىٰ تبديل ما حكم عليه القديم، قال: ﴿ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَ ما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ لتصرفي في ملكي، وإنفاذ مشيئتي في ملكي، وذلك لحقيقة عميت عنها الأبصار و البصائر، ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر، إلا بوهب إلهي وجودٍ رحماني، لمن اعتنىٰ الله به من عباده، وسبق له ذلك بحضرة إشهاده، فعلم حين أُعلم أن الألوهة أعطت هذا التقسيم، وأنه من رقائق القديم، فسبحان من لا فاعل سواه! و لا موجود لنفسه إلا إياه ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾ و ﴿لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُ الله ورسوله، أرسله إلىٰ جميع الناس كافة بَشِيراً وَنَذِيراً، وداعِياً إِلَىٰ الله بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً، فبلَّغ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم ما أُنزل من ربه إليه، وأدىٰ أمانته ونصح أمته، ووقف في حجة وداعه علىٰ كل من حضر من أتباعه فخطب وذكَّر، وخوَّف وحذَّر، وبشَّر وأنذر، ووعد وأوعد، وما خص بذلك التذكير أحدا من أحد عن إذن الواحد الصمد، ثم قال:

«ألا هل بلغت»؟ فقالوا: بلَّغتَ يا رسول الله، فقال: «اللهم اشهد» آمنتُ بكل ما جاء به صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم مما علمت وما لم أعلم، فمما جاء به : أن الموت عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لا يؤخر، إيمانا لا ريب فيه ولا شك، كما آمنت وأقررت أن سؤال فتاني القبر حق، وعذاب القبر ونعيمه حق، وبعث الأجساد من القبور بعد النفخ في الصور حق، والعرض على الله تعالى حق، والحوض حق والميزان حق، وتطاير الصحف حق، والصراط حق، والجنة حق، والنار حق، وفريقاً في الجنة وفريقاً في النار حق، وكرب ذلك اليوم حق على طائفة وطائفة أخرى: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين حق، وإخراج أرحم الراحمين بعد الشفاعة من النار من شاء حق، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حق، والتأبيد للمؤمنين والموحدين في النعيم المقيم في الجنان حق، والتأبيد لأهل النار في النار حق، وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله عُلم أو جُهل حق، نفعنا الله وإياكم بهذا الإيمان، وثبتنا عليه عند الانتقال من هذه الدار إلى الدار الحيوان، وأحلنا منها دار الكرامة والرضوان، وحال بيننا وبين دارٍ سرابيلها من القطران، وجعلنا من العصابة التي أخذت الكتب بالأيمان، وممن انقلب من الحوض وهو ريان، و ثقل له الميزان، وثبتت له على الصراط القدمان، إنه المنعم المحسان، فالْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدانا لِهذا وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدانَا الله، لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، واللواء المعقود، والشفاعة والسجود للرب المعبود، صلاة وسلاماً متلازمين آبد الآبدين، ودهر الداهرين، صلاتك التي صليت عليه، عظيمة بعظمة ذاتك، مطلقة بإطلاق أسمائك وصفاتك، عدد خلقك ورضاء نفسك، وزنة عرشك وما دونه، ومداد كلماتك، في كل لمحة ونفس، بقدر محبتك إليه، وعظيم نوالك عليه، وصل

وسلم علىٰ كافة الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن الآل والصحابة والقرابة والتابعين لهم بإحسان، وعنا معهم بجودك يا حنَّان يا منَّان .

وبعد؛ فإن الله تعالىٰ عندما أراد أن يجعل في الأرض خليفة، غارت الملائكة علىٰ مقام الربوبية من أن يُنتقص، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، مع أن أساليب الإفساد كثيرة، لكنها خصت القتل وسفك الدم من بينها لبشاعته، فالجسم بنيان الله في الأرض، وهَدْم هذا البنيان هو انتهاك لحرمات الله، وتعدٍّ علىٰ حدوده، وإفساد في الأرض بكل معانيه، لذلك جعل الله تعالىٰ قتْل نفس بشرية واحدة كقتْل أهل الأرض جميعا: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ [المائدة:٣٢]، وجعل النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم زوال الدنيا بأسرها أهون عند الله من قتل نفس بشرية بغير حق، جاء في سنن ابن ماجه (٢/ ٨٧٤): «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَىَ اللهَّ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ» ، فقتل المسلم بدون سبب موجب لقتله من موجبات غضب الله تعالىٰ، والخلود في نار جهنم، وقد توعد الله تعالىٰ من يفعل ذلك بالسجن الأبدي في جهنم: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُّ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [النساء:٩٣]، ومن فعل هذا فقد أفسد في الأرض، وهو ممن شاقق الرسول، واتبع غير سبيل المؤمنين .

ومن درس تاريخ الحركة الوهابية يجدها قامت علىٰ شبح الرعب الدموي بأبشع صوره، والقتل والتشريد للموحدين، واستباحة أموالهم ونسائهم، وتميزت بالشراسة والوحشية، فلم يضبطهم قانون، ولَم يمنعهم خُلُق، فَمِنْ قتْلِ النساء والأطفال، بل والأجنة في بطون أمهاتها، إلىٰ قطع رؤوس الأسرىٰ وأطرافهم، إلىٰ الغدر ونقض العهود والمواثيق، بل تطاولوا علىٰ ضيوف بيت الله الحرام، في بلد الله الحرام، في الشهر الحرام، وقتل قوافل الحجيج وسلب أموالهم، وهذه سُنَّةٌ ماضية فيهم وفي أسلافهم من غلاة الحنابلة، لَم تزل إلىٰ يومنا هذا، نراه علىٰ

الشاشات المرئية، ونقرؤه في الصحف اليومية، ليعلم القاصي والداني أن الفعل منهم يكذب القول، وأن ما يدَّعونه من محافظة على التوحيد، وإقامةٍ لشرع الله إنما هو دعوى عريضة، يريدون من وراءها تغطية جرائمهم، وتبرير لإفسادهم في الأرض ، وأن الأمر على خلاف ما يدَّعونه، فدولتهم قامت على شبح الرعب الدموي من أول خطوة لها، وقد مر قتالهم للموحدين بثلاث مراحل، حسب قيام دولتهم، فأقاموا: دولتهم الأولى: سنة (١١٥٧)هـ تقريبا، على يد الإمامين: محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب، إلى أن هلكت على يد محمد علي باشا والي العثمانيين على مصر حوالي سنة (١٢٢٩)هـ .

ثم الدولة الثانية: وبدأت بمغادرة جيش العثمانيين إلى مصر عام (١٢٣٣)هـ، على يد تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، بمعاونة بريطانيا ومَن معها من الحلفاء، ولكن لانشغال بريطانيا والحلفاء بحرب العثمانيين، لَمْ تكن معونتهم بالشكل الذي يؤهلهم لإنشاء دولة قوية، فكانت دولتهم الثانية هشة ضعيفة، ما لبثت أن تلاشت واندثرت

وأما الدولة الثالثة: فهي وريثة الدولتين: الأولى والثانية، تأسست على يد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل سنة (١٣١٩)هـ، وبدأت قوية، بمساعدة بريطانيا،حيث ساعدت الظروف السياسية والعسكرية لدول الحلفاء، وتقويض الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، فبدءوا بإرسال خيرة قادتهمم المدربين، العسكريين منهم والسياسيين بمرافقة قياديي الدولة الوهابية الناشئة، ودعم السلطة الدينية المتمثلة بالوهابية، فبدءوا بحرب مخطط لها، مدعومة بالأسلحة الحديثة، والجيوش المنظمة، حتى دانت لهم كافة أرجاء الجزيرة من جديد، ولم تزل الدولة الوهابية قائمة إلى الآن،

وقد أتت هذه الحركة بأفكار متشددة متطرفة، نبذها سلطان العقل، كما نبذتها تعاليم الدين الحنيف، نتج عنها تنظيمات دموية إرهابية، عاثت في بلاد العرب والمسلمين فساداً، بالقتل

والتدمير، وتدنيس المقدسات وتدميرها، وهتك الأعراض المصونة المسلمة، وعبثٍ بالتراث والتاريخ الإسلامي، حتىٰ بان الصبح لذي عينين أن هذه الحركة لم تلدها رحم مسلمة موحدة، وسأعرض في هذا الكتاب إن شاء الله ما نتج عنها من تنظيمات متطرفة، وجماعات إرهابية مسلحة، أذاقت الشعوب العربية ما لم تذقه علىٰ يد أعدائها، وارتكابهم لأبشع المجازر، تحت غطاء الشريعة، وتحت دعوىٰ تجديد التوحيد .

إن الوهابية بثوبها الديني الممسوخ عملت علىٰ تقويض صرح الإسلام وتشويه تاريخه، وكانت ضمن معاول الهدم الكافرة جنباً إلىٰ جنب، بل عملت من الأعمال التخريبية ما لم يعمله أعداء الأمة علىٰ مدىٰ قرون، وذلك نتاج الأفكار الإرهابية المتطرفة، والتشدد الممقوت للنصوص الشرعية، وبعد دراسة جوهر الكتاب في المخيلة ظهر عندي ضرورة تقسيمه إلىٰ مقدمة، وأربعة أبواب وخاتمة :

فالمقدمة جعلتها مدخلاً للكتاب .

الباب الأول : التشدد والأفكار المتطرفة عند غلاة الحنابلة وفيه فصول:

الفصل الأول: مراجع وأئمة الوهابية من المتقدمين .

الفصل الثاني: مراجع وأئمة الحنابلة من المتأخرين .

الفصل الثالث: التشدد والتنطع عند غلاة الحنابلة .

الفصل الرابع: عقيدة التجسيم عند غلاة الحنابلة .

الفصل الخامس: الأفكار المتطرفة عند غلاة الحنابلة .

الباب الثاني: ملفات الحنابلة السوداء وفيه فصول:

الفصل الأول: جرائم غلاة الحنابلة عبر التاريخ .

الفصل الثاني: غلاة الحنابلة وسلطان العلماء .

الفصل الثالث: جرائم الوهابية داخل الجزيرة .

الفصل الرابع: جرائم الوهابية خارج الجزيرة .

الباب الثالث: التنظيمات الإرهابية التي خرجت من رحم الوهابية وفيه فصول:

الفصل الأول: الجيش الوهابي المنظم "الإخوان" .

الفصل الثاني: الجماعة السلفية المحتسبة "حركة جهيمان العتيبي" .

الفصل الثالث: تنظيم القاعدة .

الفصل الرابع: تنظيم الدولة " داعش " .

الفصل الخامس: جبهة النصرة .

الباب الرابع: المقدمات والنتائج .

وسأبذل جهدي ـ إن شاء الله ـ في طرح الحقائق بموضوعية، غير متحيز لغير الحق، قصدي بذلك التحذير من شر استشرىٰ أمره في المسلمين عقوداً من الزمن، وبان خطره للقاصي والداني، وتبيان للحق الذي أمرنا الله ورسوله بالتحذير منه، وتعريف من لم يزل بمعزل عن الحقيقة، حتىٰ لا ينغر تحت شعاراتهم البراقة، ودعاواهم المكسوفة، وأقول: إن نجم هؤلاء هوىٰ، وبنيانهم الذي بنوه علىٰ شفا جرف هار سيقع علىٰ رؤوسهم، فإن لكل بداية نهاية، وهذه نهايتهم لاحت في الأفق علىٰ لسان سادتهم وكبرائهم الذين رعوهم ردحاً من الزمن، حيث تخلوا عنهم، وزجوا بالغلاة من علمائهم في السجون، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون، وهذا أوان حصاد شوكهم الذي بذروه، وأفكارهم المتطرفة التي بثوها في الأمة.

هذا، وأسأل الله تعالىٰ ـ جلت قدرته ـ أن ينفع بهذا الكتاب، وبغيره من المصنفات التي كتبت؛ الجم الغفير من المسلمين، وأن يهدي به من شاء من عباده، وأن يجعله في صحيفة أعمالي المقبولة

لديه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى عفو ربه

عبد الله محمد عكور

الحسيني الشافعي الشاذلي الأشعري

(١/ ٧/ ١٤٤٠هـ/ ١١/ ٣/ ٢٠١٩م)

مقدمة تمهيدية

إن المتصفح لصفحات التاريخ، يجد الإسلام انتشر في غالب بقاع الأرض بالدعوة والكلمة الطيبة، وأن كثيراً من الشعوب دخلت في دين الله طواعية منهم، بعد أن رأوا سماحة المسلمين، وتعاملهم الطيب مع غير المسلمين، وصدقهم في تجارتهم، وأمانتهم وحرصهم على الخير لكل من لم تبلغه دعوة الإسلام، وهذه أخلاق لم يعهدوها من قبل، فدخلوا في الإسلام، وجنوب شرق آسيا الآن هي ثمرة من ثمرات هؤلاء الدعاة والتجار .

ولكن الشيطان توعد المسلمين بالقعود لهم على صراط الله المستقيم، فأقسم بعزة الله وفي حضرته أن يستأصل شأفة الموحدين من بني آدم، ذلك المخلوق الذي فضله الله عليه، وأمره بالسجود له، فاستطاع بمكره وخبثه، أن يجند له جنودا من بني آدم، فاق خبثُهم خبثَ إبليس، مردوا على الشر والنفاق والكفر، وتمرسوا على أساليبه، حتى غدوا بدهائهم ومكرهم استطاعة فعل ما ليس بوسع الشيطان أن يفعله، فعملوا على دراسة أحوال المسلمين، ودراسة تراثهم الديني، وتخصص كثير منهم في دراسة الاسلام، تحت اسم المستشرقين، وكان من آخر ما عملوه تجنيد عملاء لهم، لينفذوا مخططاتهم، حتى لا يفطن لهم الكثير من المسلمين، لكونهم من أبناء جلدتنا، يتكلمون بلغتنا، وينادون لإقامة الدين الصحيح، وكان منهم الوهابية، الذين جاءوا الأمة بدين جديد، قائم على التنطع والتشدد الممقوت، والأفكار الغريبة، متخذين من أسلافهم غلاة الحنابلة مراجع لهم، ساروا على منهجهم بانتهاج عقيدة التجسيم، واتخاذ المسلمين أعداء من دون غيرهم من البشر، فكفَّروهم وبدَّعوهم، من غير تفريق بين عالم وجاهل، بين صوفي وراغب، ومجاهد وقاعد .

إن هذا الذي نقول هو عين ما فعله الحنابلة على مرِّ تاريخ الإسلام، فهؤلاء القوم يفتقرون إلى العلم والأخلاق، وحتى يغطوا هذا النقص التصقوا بإمام كبير من أئمة أهل السنة والجماعة، وهو الإمام أحمد بن حنبل، ثم راحوا يعيثون في الأرض فسادا، مدعين إقامة الدين الصحيح، لم يراعوا في عالم إلاّ ولا ذمة، ولم يعرفوا في الإسلام أدبا لا في الخطاب، ولا في الفعل ولا في الاعتقاد، فجاء مذهبهم جافاً خالياً من كل روح، ليس عليه طلاوة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بل تجاوزوا ذلك كله إلى الكذب على الخصم لنصرة المذهب، بل وصل بهم الأمر إلى إيقاع الأذى النفسي والجسمي لخصومهم من أهل السنة، بل انتهى بهم الأمر إلى القتل، وإيقاع الرعب في قلوب المسلمين، بل ببث بذور الفتنة وزرع الشرور في المجتمعات الإسلامية الآمنة، بدعوى إقامة الدين، وتنقية العقيدة، ولم يراعوا قول الله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧] .

إن الحنابلة المجسمة أوقعوا الفتن الدامية في الشعب المسلم أينما وُجدوا، وكانوا مصدر تشويش وتشغيب على مر التاريخ، حتى صار لا يقال حنبلي إلا مجسم أو إرهابي، فدعوى الحنابلة على مر التاريخ واحدة، كما أن أسلوبهم في التعامل مع الناس واحد، ودعواهم أنهم أهل الحديث والأثر، وأنهم وحدهم هم الفرقة الناجية كذلك، وأما العمل فالسطو على الغير بالقوة بدعوى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، وإن اقتضى الأمر للقتل لم يكن عندهم في ذلك من حرج، وقد ساق لنا التاريخ عبر صفحاته الناصعة صفحات سوداء مشوهة، وكان تشويهها بقدر تشويه أفعال الحنابلة، وسوادها بقدر سواد قلوبهم ، وهؤلاء الوهابية الخلف، ساروا على نهج غلاة الحنابلة السلف، وفعلوا مثل فعلهم، بل ربما زادوا على ذلك .

مر على قيام الحركة الوهابية ما يزيد على قرنين من الزمان، وتأثر بها كثير من الناس، ومنهم

من دخلها خوفاً من القتل، وهؤلاء لهم مرجعية من علمائهم المتقدمين والمحْدَثين، جاءوا بفكر متشدد، وغلوٍّ وتطرف، وبذروا بذور الفتنة والشر في بلاد الحرمين وما استطاعوا إليه سبيلا من بلاد العرب والمسلمين، متخذين من عائدات البترول وسائل تشجيعية لضعفاء النفوس للدخول في دعوتهم، وبمرور الزمن نتج من تزاوج الحركة بالكثير من الناس مواليد أنتجتها رحم هذه الحركة، حملت الجينات الوراثية لها، فظهرت بشكل تنظيمات أذاقت الأمة مرارة القتل والسبي والتشريد، والتكفير والتبديع، فكانت هذه التظيمات يداً باطشة، وعصا التأديب بيد إسرائيل وبريطانيا وأمريكا، توجهها حيثما شاءت، متخذة من تطرفها دعاية لتشويه صورة الإسلام، وإخراجه للناس بصورة الإرهاب المقرف، حتى قرنوا اسم الإسلام بصورة الدم وتقطيع الرؤوس، وبتر الأيدي والأعضاء، وتفجير المباني وتدنيس المقدسات، وإظهار هؤلاء على الشاشات المرئية بلحاهم وراياتهم السوداء، التي تعكس صورة وجوههم وقلوبهم، يرفعون أصواتهم بالتكبير عند قتل كل نفس مسلمة، حتى صار لا يذكر اسم الاسلام إلا وتنطبع في مخيلة السامع صورة الدماء والأوصال المقطعة، فتشمئز من ذكره النفوس .

هكذا أراد لهم من خطط لإنشائهم، حتى يطمئنوا أن الأسد الرابض في منطقة الشام وما حولها لم يزل يغط في سباته العميق، فينعمون بالأمن والأمان ولو لبعض الوقت، لأنهم يعلمون أنه لا سيادة لهم بنهوض هذا الأسد، وأعني بالأسد: الإسلام، فهم يعلمون جيداً أنه لا بد من ملاقاتنا لهم، ومواجهتهم وجهاً لوجه، وستكون بيننا الملاحم التي يعقبها النصر، فهم بفكرهم القاصر يريدون أن يُضعفوا من قوة المسلمين عند تلك المواجهة مهما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ولكن الله تكفل بدوام الإسلام إلى قيام الساعة، فلن ينفعهم اجتهادهم وتفكيرهم، ولا تخطيطهم ولا تدبيرهم .

وحتى تكتمل فكرة وجود هؤلاء كان لزاماً أن نبدأ الحديث بذكر أسلافهم من غلاة الحنابلة، وأن هؤلاء الخلف إنما هو نتاج الأفكار المتطرفة التي أتى بها مراجعهم السلف .

الباب الأول

التشدُّد والتنطُّع عند غُلاة الحنابلة

الفصل الأول: مراجع وأئمة الوهابية من المتقدمين .

الفصل الثاني: مراجع وأئمة الحنابلة من المتأخرين .

الفصل الثالث: التشدد والتنطع عند غلاة الحنابلة .

الفصل الرابع: عقيدة التجسيم عند غلاة الحنابلة .

الفصل الخامس: الأفكار المتطرفة عند غلاة الحنابلة .

الفصل الأول

مراجع وأئمة الوهابية من المتقدمين

كعب الأحبار:

كعب بن ماتع الحِميَري، يكنىٰ أبا إسحق، ولد في بيت يهودي من يهود اليمن، حِميَري بالحلف، اسمه عبري محرف إلىٰ العربية، فكعب اسم منتشر بين يهود شبه الجزيرة العربية، وهو تحريف للاسم العبري "عقيب" وماتع اسم غير عربي علىٰ الإطلاق، أسلم في خلافة عمر، كان عالماً بالإسرائيليات كاتباً، وهو من أشهر اليهود الذين أسلموا، ورواياته وتفسيراته لبعض الآيات وقصص الأنبياء والأقدمين هي مصدر روايات كثيرة للصحابة والتابعين، كان له معارضون من الصحابة، أو من الإخباريين الذين اتهموه بمحاولة إقحام يهوديته في الإسلام، كان خبيرا بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة كان مُعَاوِيَةُ، يُحَدِّثُ رَهْطا مِنْ قُرَيْشٍ بِالْمَدِينَةِ، وَذَكَرَ كَعْبَ الأَحْبَارِ فَقَالَ: "إِنْ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلاَءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْهِ الكَذِبَ" [1].

هُوَ فِي نَقْلِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَثِيرٌ مِنْهَا مَا يُسَاوِي مِدادَهُ، وَمِنْهَا مَا هُوَ بَاطِلٌ لَا مَحَالَةَ ، وَمِنْهَا مَا أَسْلَمَ فِي زَمَنِ عُمَرَ وَكَانَ يَنْقُلُ شَيْئاً عَنْ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَسْتَحْسِنُ بَعْضَ مَا يَنْقُلُهُ، لِمَا يُصَدِّقُهُ مِنَ الْحَقِّ ، وَتَأْلِيفاً لِقَلْبِهِ فَتوَسَّعَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي أَخْذِ مَا عِنْدَهُ ، وَبَالَغَ أَيْضا هُوَ صَحِيحٌ لِمَا يَشْهَدُ لَهُ الْحَقُّ الَّذِي بِأَيْدِينَا [2] .

---

(1) صحيح البخاري (٩/ ١١٠) .

(2) البداية والنهاية (٣/ ٣٦) .

وكعب الأحبار هو أول من أدخل الإسرائيليات إلى الإسلام، فقد أسلم في خلافة عمر، وكان كثير من الصحابة يتوقون إلى معرفة أخبار بني إسرائيل، فكانوا يسألون كعب الأحبار، ويجلسون إليه ويحدثهم عن الكتب الإسرائيلية [٣] .

والخطأ الذي حصل هو أن بعض من كان يجالس كعب الأحبار ويسمع منه كان يخلط بين كلام كعب، وبين الحديث النبوي، فقد أخرج مسلم عن بسر بن سعيد قال: "اتَّقوا الله وتحفظوا من الحَدِيث فوَاللهَّ لقد رَأَيتنَا نجالس أَبَا هُرَيْرَة فَيحدث عَن رَسُول الله صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم ويحدثنا عن كعب، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب، وَحَدِيث كَعْب عَن رَسُول الله صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم [٤] . مما اضطر سيدنا عمر رضي الله عنه أن يمنع كعباً وأبا هريرة من الحديث مخافة اختلاط الحديث النبوي بالإسرائيليات، أخرج أبو زرعة عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: لَتَتْرُكَنَّ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهَّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم أو لألحقنك بِأَرِضِ دَوْسٍ، وَقَالَ لِكَعْبٍ: لَتَتْرُكَنَّ الْأَحَادِيثَ، أَوْ لَأُلْحِقَنَّكَ بِأَرْضِ الْقِرَدَةِ [٥] .

ذكر الذهبي عَن كَعْب الْأَحْبَار قَالَ: قَالَ الله عزوجل فِي التَّوْرَاة: أَنا الله فَوق عبَادي، وعرشي فَوق جَمِيع خلقي، وَأَنا علىٰ عَرْشِي أدبر أُمُور عبَادي، وَلَا يخفىٰ عَليّ شَيْء فِي السَّماء وَلَا فِي الأَرْض [٦] . قال الذهبي: رُوَاته ثِقَات

---

[٣] سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧٢) .

[٤] التمييز لمسلم (ص: ١٧٥) .

[٥] تاريخ أبي زرعة الدمشقي (ص: ٥٤٤) .

[٦] العلو للعلي الغفار (ص: ١٢١، رقم:٣١٥) .

وروىٰ أبو الشيخ أن رجلاً أَتَىٰ كَعْبا وَهُوَ فِي نَفَرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، حَدِّثْنِي عَنِ الْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَأَعْظَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ كَعْبٌ: "دَعُوا الرَّجُلَ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ جَاهِلًا لَتَعَلَّمَ، وَإِنْ كَانَ عَالِمًا ازْدَادَ عِلْماً " ، ثُمَّ قَالَ كَعْبٌ: "أُخْبِرُكَ أَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ، ثُمَّ جَعَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالْأَرْضِ، وَجَعَلَ كِثْفَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ رَفَعَ الْعَرْشَ فَاسْتَوَىٰ عَلَيْهِ، فَمَا مِنَ السَّمَاوَاتِ سَمَاءٌ إِلَّا لَهَا أَطِيطٌ كَأَطِيطِ الرَّحْلِ الْعِلَافِيِّ أَوَّلَ مَا يُرْتَحَلُ مِنْ ثِقَلِ الْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَوْقَهُنَّ " [٧] .

قلت: هذه الآثار هي من الأصول التي بنىٰ عليها المجسمة من الحنابلة أقوالهم في التجسيم، وقولهم بأن الله تعالىٰ جالس علىٰ العرش، وسيجلس معه نبيه محمداً صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم والذي رواهما هو كعب الأحبار .

وهب بن منبه:

بن كامل بن سيج بن ذي كبار ، تابعي له معرفة بكتب الأوائل، وإخباري قصصي، يُعد أقدم من كتب في الإسلام، كان ممن قرأ الكُتب، غَزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صَحائف أهل الكتاب ، اهتم بأخبار العرب في الجاهلية، وروىٰ أخبار غير العرب التي استقاها من الكتب المقدسة، ويغلب علىٰ أخباره طابع القصص الشعبي الخرافي؛ لذلك يوصف بأنه "مؤرخ إخباري وعالم بأساطير الأولين ، أكثر ما يُروىٰ عن وهب إنما هو حِكَم ومواعظ، وكانت غزارة علمه في الإسرائيليات، وصحف أهل الكتاب، من مروياته خرافة الهيكل اليهودية: روىٰ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْباً يَقُولُ، وَذَكَرَ مِنْ عَظَمَةِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: " إِنَّ السَّمَاوَاتِ

---

[٧] **العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٦١١) .**

السَّبْعَ، وَالْبِحَارَ لَفِي الْهَيْكَلِ وَأَنَّ الْهَيْكَلَ لَفِي الْكُرْسِيِّ، وَإِنَّ قَدَمَيْهِ لَعَلَى الْكُرْسِيِّ، وَهُوَ يَحْمِلُ الْكُرْسِيَّ، وَقَدْ عَادَ الْكُرْسِيُّ كَالنَّعْلِ فِي قَدَمَيْهِ " .

وَسُئِلَ وَهْبٌ: مَا الْهَيْكَلُ؟ فَقَالَ: شَيْءٌ مِنْ أَطْرَافِ السَّمَاءِ مُحَدَّقٌ بِالْأَرَضِينَ، وَالْبِحَارُ كَأَطْنَابِ الْفُسْطَاطِ وَسُئِلَ وَهْبٌ عَنِ الْأَرَضِينَ كَيْفَ هِيَ؟ قَالَ: " هِيَ سَبْعُ أَرَضِينَ مُمَهَّدَةٌ بَيْنَ كُلِّ أَرَضِينَ بَحْرٌ وَالْبَحْرُ الْأَخْضَرُ مُحِيطٌ بِذَلِكَ، وَالْهَيْكَلُ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ " [8]

مقاتل بن سليمان:

بن بشير الأزدي البلخي، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، كان متروكا، أي كان متروك الحديث لكونه كان يضع الأحاديث في التجسيم، نُسب إليه أنه من المشبهة، وذكروا أنه هو الذي قال فيه الإمام أبو حنيفة: أتانا من المشرق رأيان خبيثان:

جهم معطل، ومقاتل مشبه [9] ، قال فيه البخاري: لا شيء البتة [10] .

قال الأشعري في معرض كلامه عن التجسيم: قالت الفرقة الأولى منهم وهم أصحاب مقاتل بن سليمان: أن الله جسم، وأن له جمة، وأنه على صورة الإنسان؛ لحم ودم وشعر وعظم، له جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس وعينين، مصمت، وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه[11]

قال الذهبي: أجمعوا [العلماء] على تركه [12] .

---

(8) السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٧٧) .

(9) تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة، للسيوطي، دار الأرقم، بيروت، (ص:١١٨) .

(10) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل (٨/ ١٤رقم الترجمة:١٩٧٦) .

(11) مقالات الإسلاميين ت ريتر (ص: ١٥٢) . ومعنى مصمت: أي جسم صلب .

(12) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٦/ ٢٠٢) .

ومن مروياته في التجسيم القول بأن المقام المحمود للنبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم هو جلوسه على العرش، روى الخلال عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: " يُقْعِدُهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ " ، وعَنْه فِي قَوْلِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودا﴾ [الإسراء: ٧٩] قَالَ: " يقْعِدُهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ" قَالَ: فَمَنْ رَدَّ حَدِيثَ عَبْدِ اللهَّ بْنَ سَلَّامٍ وَحَدِيثَ مُجَاهِدٍ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، فَقَدْ أَزْرَى عَلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ وَرَدَّ فَضْلَهُ، وَكَانَ عِنْدَنَا مُبْتَدِعا [١٣] .

نُعيم بن حـماد:

بن معاوية بن الحارث ابن همام بن سلمة بن مالك الخزاعي، المروزي (أبو عبد الله) (ت:٢٢٨هـ) محدث، ولد في مرو، أقام مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث، ثم سكن مصر، ولم يزل فيها إلى أن حمل إلى العراق في خلافة المعتصم، وامتحن بخلق القرآن، فلم يجب وقيد، ومات في الحبس، وهو من شيوخ البخاري .

قال ابن عدي: كَانَ يضع الحديث فِي تقوية السنة وحكايات عن العلماء فِي ثلب أبي حنيفة مزورة كذب.

قال أبو يَحْيى: سَمِعْتُ أَحْمَد ويحيى يقولان: نعيم بْن حَمَّاد معروف بالطلب ثُمَّ ذمه يَحْيى فَقَالَ إنه يروي عن غير الثقات، وسمعت أَبَا عَرُوبة يَقُول: كَانَ نعيم بْن حَمَّاد مظلم الأمر [١٤] .

قال السيوطي في حديث: «إذا أراد الله أن ينزل إلى السماء الدنيا نزل عن عرشه بذاته»: أتعبَنا نعيمُ بن حماد مِن كثرة ما يأتي بهذه الطامّات، وكم ندرأ عنه [١٥] .

---

(١٣) **السنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ٢١٦)، (١/ ٢٥٨) .**

(١٤) **الكامل في ضعفاء الرجال (٨/ ٢٥١) .**

(١٥) **الزيادات على الموضوعات (١/ ٣٦) حديث رقم: (٣) .**

قال المزي: كَانَ يضع الحديث فِي تقوية السنة، وحكايات عن العلماء فِي ثلب أبي حنيفة كذب[16].

قلت: والقصد من قوله: " السنة " أي الأحاديث المنسوبة للنبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم في صفات الرب تعالىٰ، كنسبة الأعضاء والجسم والحركة وغيرها .

قال الكوثري: نعيم بن حماد معروف باختلاق مثالب ضد أبي حنيفة، وكلام أهل الجرح فيه واسع الذيل، وذكره غير واحد من كبار علماء أصول الدين في عداد المجسمة، بل القائلين باللحم والدم، وكان ربيب ابن أبي مريم، وكلام أهل الجرح فيه معلوم، وهو أيضاً كان ربيب مقاتل بن سليمان شيخ المجسمة [17] .

محمد بن كرَّام السجستاني:

ساقط الحديث علىٰ بدعته، أكثر عن أَحمد الجويباري، ومحمد بن تميم السعدي، وكانا كذابين

قال ابن حبان: خُذل حتىٰ التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أوهاها .

وقال أَبو العباس السراج: شهدت البُخاري، ودفع إليه كتاب من ابن كرام يسأله عن أحاديث، منها: الزهري، عن سالمِ، عن أبيه، مرفوعا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فكتب أَبو عَبد الله علىٰ ظهر كتابه: من حدث بهذا استوجب الضرب الشديد، والحبس الطويل .

وقال ابن حبان: جعل ابن كرام الإيمان قولا بلا معرفة .

وقال ابن حزم: قال ابن كرام، الإيمان قول باللسان، وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن .

---

(16) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٩/ ٤٧٦) .

(17) تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب، محمد زاهد الكوثري، المتوفى (١٣٧١هـ)، الطبعة الجديدة (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .

قلت: هذا منافق محض، في الدرك الأسفل من النار قطعا، فأيش ينفع ابن كرام أن يسميه مؤمنا، ومن بدع الكرامية قولهم في المعبود تعالىٰ: إنه جسم لا كالأجسام [١٨] .

وقال عنه في تاريخه: (٤٩٢): محمد بْن كرّام بْن عِرَاق بْن حُزَابَة بْن البَرَاء توفي في القدس (٢٥١) الضال المجسم، شيخ الكراميين .

قَالَ الحاكم: وُلِد بقريَةٍ من قرىٰ زرنج بسِجِسْتان، ثمّ دخل خراسان وأكثر الاختلَاف إلىٰ أحمد بن حرب الزاهد، وأكثر عَنْ أَحْمَد الْجُوَيْبَارِيّ، ومحمد بْن تميم الفاريابيّ، ولو عرفهما لأمسكَ عَنِ الرّواية عَنْهُمَا. حبسه محمد بْن عَبْد اللَّه بْن طاهر، وطالت مِحْنَتُه، فكان يغتسل كلّ يوم جمعة، ويتأهَّب للخروج إلىٰ الجامع، ثمّ يَقُولُ للسّجان: أتأْذَنُ لِيَ فِي الخروج؟ فيقول: لَا، فيقول: اللّهمّ إنيّ بذلت مجهودي، والمَنْعُ مِن غيري .

قال عثمان الدّارِميّ: حضرت مجلس أمير سجِسْتان إِبْرَاهِيم بْن الحُصَيْن يوم أُخرج محمد بْن كَرّام من سجِسْتان، وحضر عثمان بْن عفّان السِّجِسْتانيّ وأهل العلم، فدُعي محمد بْن كَرّام، فقال لَهُ الأمير: ما هذا العلم الذي جئت به؟ ممن تعلمته ومَن جالست؟ قَالَ: إلْحَامٌ أَلْحَمَنيه اللَّه تعالىٰ، بالحاء . (يقصد إلهام ألهمنيه) .

فقال لَهُ: هَلْ تُحْسِن التشهد؟ قَالَ: نعم، الطحيات للهَّ؛ بالطّاء، حتىٰ بلغ إلىٰ قوله: السّلَام عليك أيُّها النَّبيّ، فأشار إلىٰ إِبْرَاهِيم بْن الحُصَين، فقال لَهُ: قطع اللَّه يدك . وأمرَ بِهِ فصُفِع وأُخْرِج .

قال ابن حِبّان: جالس الْجُوَيْبَارِيّ، ومحمد بْن تميم السَّعْديّ، ولعلّهما قد وضعا عَلَىٰ النَّبيّ ﷺ والصّحابة والتابعين مائة ألف حديث .

---

[١٨] **ميزان الاعتدال للذهبي – الرسالة (٤/ ٢٥٢)** .

قال عثمان الدّارِميّ: كنتُ عند إِبْرَاهِيم بْن الحُصَين، إذ دخل علينا رجلٌ طُوالٌ عَلَيْهِ رقاع، فقيل: هذا ابن كَرّام. فقال لَهُ إِبْرَاهِيم: هَلِ اختلفت إلى أحدٍ من العلماء؟ قال: لا. قال: تأتي عثمان بْن عفّان السِّجِسْتانيّ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: فهذا العلم الَّذِي تقوله، من أَيْنَ لك؟ قَالَ: هذا نورٌ جعله اللهّ فِي بطني.

قَالَ: تُحْسِن التَّشَهُّد؟ قَالَ: نعم، التَّهيّاتُ لله والصَّلَوات والتَّيِّبات ، السّلَام أَلَيْنا وأَلَى إبادِ اللهّ الصالحين، أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهٌ وَأَشْهَدُ أن مُهَمَّداً أَبْدُكَ ورسُولُك . قَالَ: قُمْ، لَعَنَك الله. ونفاه من سجستان .

الدارمي (ت: ٢٨٠هـ):

أَبُو سعيد عُثْمَان بن سعيد التَّمِيمِي الدَّارمِيّ نسبة إلى دارم بن مَالك بن حَنْظَلَة بطن كَبِير من تَمِيم، ينْسب إِلَيْهِ خلق كثير من الْعلمَاء وَالشعرَاء والفرسان [19] ، السجسْتانِي، نِسْبَة إِلَى سجستان الْبِلَاد الْمَعْرُوفَة، وَيُقَال فِي النِّسْبَة إِلَيْهَا: السجْزِي على غير قِيَاس [20] وهو غير الدارمي صاحب السنن.

رأس في التجسيم، كان معظماً عند شيعته أمثال الذهبي قبل توبته عن مذهب التجسيم، وابن تيمية وابن القيم، والوهابية اليوم، وكان ابْن تَيْمِية يُوصي بِكتابيه: النَّقْض على بشر المريسي، وَالرَّدّ عَليّ الْجَهْمِية أَشد الْوَصِيَّة، ويعظمهما جدّاً، قال: فيهمَا من تَقْرِير التَّوْحِيد والأسماء وَالصِّفَات بِالْعقلِ وَالنَّقْل مَا لَيْسَ فِي غَيرهمَا ا. هـ.

---

(19) اللّبَاب (١/ ٤٨٤).

(20) اللّبَاب (٢/ ١٠٤-١٠٥) .

ونقل من هَذَا الْكتاب الصفحات فِي مؤلفات وردوده، كَمَا فِي كِتَابه: اجْتِمَاع الْعقل، وَالنَّقْل، وكما نقل عَنهُ ابْن الْقيم فِي كِتَابه: اجْتِمَاع الجيوش الإسلامية على غَزْو المعطلة والجهمية .

أبشع مقالاته العقدية: نسب الدارمي إلى الله تعالى ما لم يخطر على بال أحد من العلماء على مر التاريخ، وهو استقرار الله تعالى على جناح بعوضة، قال: وَلَوْ قَدْ شَاءَ لَاسْتَقَرَّ عَلَى ظَهْرِ بَعُوضَةٍ فَاسْتَقلت بِهِ بِقُدْرَتِهِ وَلُطْفِ رُبُوبِيَّتِهِ، فَكَيْفَ عَلَى عَرْشٍ عَظِيمٍ أَكْبَرَ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ[٢١]

أبو يعلى الحنبلي:

محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء، نسبة إلى خياطة الفراء وبيعها، أحد فقهاء الحنابلة في العصر العباسي الثاني كانت وفاته سنة (٤٥٨) هـ كان من المتشددين في مذهبة وخصوصاً في مسائل العقيدة التجسيمية، له كتاب: إبطال التأويلات، قال عنه ابن الأثير: مُصَنِّفُ كِتَابِ " الصِّفَاتِ " أَتَى فِيهِ بِكُلِّ عَجِيبَةٍ، وَتَرْتِيبُ أَبْوَابِهِ يَدُلُّ عَلَى التَّجْسِيمِ الْمَحْضِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَكَانَ ابْنُ تَمِيمِيٍّ الْحَنْبَلِيُّ يَقُولُ: لَقَدْ شان أَبُو يَعْلَى الْفَرَّاءُ مذهب الْحَنَابِلَةِ شيناً لَا يَغْسِلُه ماء البحار[٢٢] .

قلت: بلغت به الجرأة على الله تعالى أن قال: " ألزموني ما شئتم من صفات الله فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة، وإن أراد أحد أن يعلم الله، فلينظر إلى نفسه فإنه الله بعينه"[٢٣] أي أنه يلتزم القول بأن لله من الأعضاء ما للبشر إلا اللحية والعورة، وسمى هذه الأعضاء صفات، ومن خفي عليه شيء لله فلينظر إلى نفسه فإنه نسخة عن الله، كان مصدر تشويش وتشغيب على

---

[٢١] النقض على بشر المريسي (١/ ٤٥٨) .

[٢٢] الكامل في التاريخ (٨/ ٢٠٩) .

[٢٣] العواصم من القواصم (ص: ٢١٠) .

المسلمين، وحدثت بسببه فتنة بينه وبين الشافعية في مسألة الجهر بالبسملة، سنأتي على ذكرها عند الكلام على فتن الحنابلة .

محمد بن إسحاق بن خزيمة:

النيسابوري الشافعي (ت: ٣١١ هـ)، المكنى بأبي بكر، الحافظ الحجة الفقيه، صاحب كتاب الصحيح، تأثر أيام شبابه ببعض الحنابلة فقال بالتجسيم، أودع هذه العقائد بكتاب له سماه: كتاب التوحيد، أتى فيه بكل عجيبة من الأمور التجسيمية، حيث حمل الآيات والأحاديث المتشابهة على ظواهرها، وظاهرها يفيد التجسيم، حتى قال عنه بعض العلماء: الحق أنه كتاب الشرك لا كتاب التوحيد، والوهابية اليوم يعتنون به عناية كبيرة، ليدعموا به مذهبهم، إلا أن ابن خزيمة تاب في آخر حياته عن القول بالتجسيم، وندم على تصنيفه هذا الكتاب كما نص على ذلك البيهقي، حيث قال: وَقَدْ رَجَعَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ إِلَىٰ طَرِيقَةِ السَّلَفِ وَتَلَهَّفَ عَلَىٰ مَا قَالَ وَاللهُ أَعْلَمُ [٢٤]

وإنما أدرجت اسم الحافظ ابن خزيمة ضمن مراجع الحنابلة في التجسيم، لأن الوهابية لهم عناية خاصة بكتاب التوحيد، وطبعوه مرات عديدة بتحقيقاتهم، ويدافعون عن عقيدة ابن خزيمة التجسيمية التي أدرجها في كتابه هذا .

البربهاري:

أبو محمد الحسن بن علي (ت:٣٢٩هـ) ، شديد الوطأة على الأشاعرة، له كتاب: (شرح السنة)، قال فيه: إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئا من أخبار رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فاتهمه على الإسلام؛ فإنه رجل رديء القول والمذهب، وإنما طعن على رسول

---

[٢٤] **الأسماء والصفات للبيهقي (ص:٢٥٩) بتعليقات الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث .**

الله صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم وأصحابه؛ لأنه إنما عرفنا الله وعرفنا رسول الله صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم وعرفنا القرآن وعرفنا الخير والشر، والدنيا والآخرة بالآثار، فإن القرآن إلىٰ السنة أحوج من السنة إلىٰ القرآن .

ابن تيمية:

أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت:٧٢٨هـ)، يلقبه أتباعه بشيخ الإسلام، وهو مؤسس مذهب السلفية، والذي قعَّد قواعده وأسسه، ناصبي محترف، مدلس ينسب القول إلىٰ العلماء بصيغة التمريض لإيهام الناس أنه واسع الاطلاع، وفي الواقع أن أكثر ما ينسبه كذب لا أصل له، خالف أهل السنة والجماعة بسبع وستين مسألة، منها (١٩) مسألة في العقيدة، كقوله بالحد لله تعالىٰ، والجهة والحلول، والجسم، وقدم العالم النوعي، وتسلسل حوادث لا أول لها، كما أنه ينفي العصمة عن الأنبياء، له سقطات بحق النبوة وأهل بيته، وقد أحصىٰ بعضهم سقطاته في مؤلف مستقل، بلغت أخطاؤه بحق أهل البيت (٩٦)، منها أنه نسب السيدة فاطمة إلىٰ النفاق، وأن سيدنا علياً قاتل للرياسة لا للديانة، وأنكر فضائله في الصحيحين، وغيرها .

وباقي أخطائه فقهية، منها تحريم زيارة النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم وهو رائد فكرة التكفير والاستتابة، وضرب العنق، والنعت بالزندقة والبدعة والشرك، وبعد جولة في كتبه وجدت هذه الألفاظ:

كافر تكرر (٩٢٥) مرة .

كَفَر تكرر (١٣٩٧) مرة .

يقتل تكر: (٦٦٧) مرة .

ضُربت عنقه تكرر (٣٠) مرة .

مرتد تكرر: (٨٢) مرة .

مشرك تكرر (١٧٥) مرة .

أشرك تكرر (٢٠٠) مرة .

بدعة تكرر (٩١٢) مرة .

ضلالة تكرر (٢٩٠) مرة .

زنديق تكرر (٩١) مرة .

زندقة تكرر (٢٩) مرة .

المجموع: (٤٧٩٨) .

وكتبه ليست كثيرة، أكثرها مختزل من مجموع الفتاوىٰ، نسبها أتباعه إليه حتىٰ يوهموا الناس بكثرة مؤلفاته، ومع هذا بدراسة بسيطة لشخصية هذا الرجل، حسب هذه الجولة الميدانية في كتبه، نجده منطبعاً علىٰ التكفير والتبديع والتضليل، وحب قتل الموحدين، وبغض النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم وأهل بيته، ومدح النواصب وتعظيمهم، كما أنا نجده من علماء السلاطين، فلم يُرو عنه أنه حمل سيفاً في وجه كافر، وكانت جهوده في معركة شقحب ضد التتر الذين أسلموا، بتحريض السلطان عليهم، والفتوىٰ بتكفيرهم لأنهم أنكروا الجهر بالمنكرات كشرب الخمر .

قال ابن كثير: وَقَدْ تكلَّم النَّاس فِي كَيْفِيَّةِ قِتَالِ هَؤُلَاءِ التَّتَرِ مِنْ أَيِّ قَبِيلٍ هُوَ، فَإِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَلَيْسُوا بُغَاةً عَلَىٰ الْإِمَامِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي طَاعَتِهِ فِي وَقْتٍ ثُمَّ خَالَفُوهُ.

فَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ: هَؤُلَاءِ مِنْ جِنْسِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَىٰ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنْهُمَا، وَهَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَعِيبُونَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مَا هُمْ مُتَلَبِّسُونَ بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ، وَهُمْ مُتَلَبِّسُونَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ [٢٥] فالأمر واضح أنه

---

[٢٥] البداية والنهاية ط إحياء التراث (١٤/ ٢٨) .

من علماء السلطان، يحرضه على قتل المسلمين لأنهم أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، واعتبرهم بُغاة خرجوا على السلطان، من جنس الخوارج، مع أنهم غير تابعين له .

لذلك من الطبيعي أن نجد أتباعه بهذه الجرأة على تكفير المسلمين، وتبديعهم وتضليلهم، بدون تفريق بين عالم وعامي، وتحريض السلطان على قتلهم، كما فعل ابن عبد الوهاب، وحمل هذه الأفكار الإرهابية المتطرفة، والإفتاء بما يحلو له وإن خالف جمهور العلماء .

عبد الله بن أحمد بن حنبل: له كتاب السنة، محشو بالتجسيم .

اللالكائي: هبة الله بن حسن، له كتاب (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) .

الطلمنكي: احمد محمد عبد الله، مجسم له كتاب: (الوصول إلى معرفة الأصول)، قال عنه الذهبي: فيه إثبات الجنب لله تعالى .

الخلال: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون ت:٣١١هـ) له كتاب السنة .

ابن منده : له كتاب الرد على الجهمية، ويقصدون بالجهمية، الأشاعرة، القائلين بالتأويل في النصوص المتشابهة .

محمد بن إسحاق، له كتاب التوحيد .

ابن زفيل الزرعي: تلميذ ابن تيمية، والمدافع عنه .

ابن قدامة: عبد الله أحمد المقدسي، نسبة إلى بيت المقدس، له كتاب: (إثبات صفة العلو)، قال فيه بالعلو الحقيقي لله تعالى، وأنه على العرش حقيقة .

ابن شيخ الحزَّامين: عماد الدين أحمد بن إبراهيم(ت:٧١١هـ)، له دفاع عن ابن تيمية.

علي بن علي المشهور **بابن أبي العز الحنفي**، شارح العقيدة الطحاوية، وهو تلخيص لبعض كتب ابن تيمية (ت:٧٩٢هـ) .

ابن عبد الهادي: محمد أحمد، من تلاميذ ابن تيمية، تابع شيخه بمنع زيارة النبي صلّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم ورد علىٰ السبكي بكتاب تالف سماه: (الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي) .

الهروي: عبد الله بن محمد، مجسم، له يد في التشغيب وإثارة الفتن بين المذاهب، له كتاب (الصفات) .

وهناك عشرات الشخصيات في أيامنا ممن اعتنق مذهب الوهابية، يصعب حصرهم، وهم كثر في مصر والجزائر، وعندنا في الأردن أنواع منهم .

الفصل الثاني

مراجع وأئمة الحنابلة من المتأخرين

محمد بن عبد الوهاب: وهو إمام الطائفة الوهابية، وبه تسمَّوا، وله تقديس كبير عندهم (ت:١٢٠٦هـ) ، له رسائل حشاها بالتكفير لعموم الموحدين، بل نسب النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم إلىٰ الشرك، يجد ذلك من طالع رسالته التي فيها تفسير سورة المدثر.

عبد اللطيف حسن آل الشيخ: من ذرية محمد عبد الوهاب، له مؤلفات ورسائل، توفي في الرياض سنة (١٣٩٣هـ) .

القنوجي: صديق حسن خان، هندي له مؤلفات كثيرة، متعصب لوهابيته.

حمد ناصر عثمان النجدي: اعتبر أهل السنة الذين يزورون الأموات قبوريين، وله كتاب في الرد عليهم (ت:١٢٢٥هـ) .

محمد خليل هراس: مصري أزهري، من جمعية أنصار السنة الوهابية، له شرح لنونية ابن القيم في التجسيم، (ت:١٩٧٥م) .

محب الدين الخطيب: سوري، وهابي مأجور، اختزل كتاب العواصم من القواصم، ونشره بطبعة ممسوخة، له تعليقات على الكتاب يشم منها رائحة التيميين، (ت:١٣٨٩هـ) .

حامد الفقي: مصري حاقد على أهل السنة من الأشاعرة، مدلس، يغير الحقائق، مشهور بالعبث بتراث العلماء، كان رئيس جماعة أنصار السنة الوهابية في مصر، مجسم، (ت:١٣٧٨هـ) .

عبد الرزاق عفيفي: رئيس جماعة أنصار السنة الوهابية بمصر، أصله من إحدىٰ قبائل نجد، ولد بالمنوفية، عمل مدرساً بالمدارس الأزهرية بمصر، من تلاميذه: عبد الله الجبرين، صالح

الفوزان، صالح اللحيان، (ت:١٩٩٤م).

عبد الرحمن الوكيل: مصري من المنوفية، التحق بجماعة أنصار السنة الوهابية، خلف عبد الرزاق عفيفي برئاسة الجماعة، له كتاب: هذه هي الصوفية، أو مصرع التصوف، تفوح رائحة الحقد والكراهية من بين أسطر الكتاب، أشد عداوة للصوفية من عداوة اليهود للمسلمين، (ت: ١٣٧٠هـ) .

عبد العزيز بن باز: مواليد الرياض، رئيس هيئة كبار العلماء الوهابيين، له كتب كثيرة، وأكثرها في التجسيم، يقول: إن الله له يد فيها أصابع خمسة، وله حاسة الشم، كفّر من قال بحركة الأرض، له فتاوىٰ حسب أهواء السلطان، فتراه يفتي بمسألة، ثم يطلب منه ولي الأمر عكسها فينقضها ويفتي بعكسها، وهو كسلفه ابن تيمية وابن عبد الوهاب: من علماء السلاطين. (ت:١٤٢٠هـ) .

محمد صالح العثيمين: ولد في القصيم، من تلاميذ ابن باز، مدرس جامعي، وخطيب جمعة، له مؤلفات وفتاوىٰ، لا تخلو من التجسيم الصريح، (ت:١٤٢١هـ)

الألباني: وهذه شهرته، ذكر غير واحد أنه خريج الجامعة العبرية بتل أبيب، ويأخذ عنه حجاج الجزائر السلفيون برنامجهم ومخططهم السنوي، وأجرهم المالي لما يفعلونه في الجزائر من القتل والتخريب، ونشر المذهب الوهابي، وذلك بعد قضاء حجهم، عمل علىٰ مسخ كثير من المخطوطات في المكتبة الظاهرية بدمشق، وذلك بطمس ما أراد من العبارات بالقلم الأسود العريض حتىٰ لا تُعرف الكلمة المطموسة، أخبر طيار سوري أنه وجده متلبساً ببث المعلومات لاسلكياً لإسرائيل، فاعتقلته السلطات السورية، ثم نفته فسكن العاصمة الأردنية، وبقي فيها إلىٰ أن مات سنة (١٩٩٩)م . له مؤلفات كثيرة، محشوة بالبدع والتكفير والتجسيم، والنيل

من علماء الأمة، أفتىٰ بحرمة الجهاد ضد اليهود، وقال بوجوب هجرة أهل فلسطين، وحرم العمليات الاستشهادية .

زهير الشاويش: صاحب الألباني وشريكه في المكتب الإسلامي لتحقيق المخطوطات، انتهت هذه الصحبة إلىٰ نزاع في المحاكم المدنية من أجل عائدات الكتب المالية، يحمل الفكر الوهابي الألباني .

محمود مهدي الاستانبولي: من تلاميذ الألباني رغم تقاربهما في السن، حدث بينهما نزاع، ورد أحدهما علىٰ الآخر .

محمد نسيب الرفاعي: أيضاً هو من محبي الألباني، له رد عليه عندما أفتىٰ بجواز الزنا علىٰ أمهات المؤمنين، تحت اسم: نوال المنىٰ بعصمة أمهات المؤمنين من الزنا، (ت:١٤١٣هـ) في الأردن .

أبو بكر جابر الجزائري: من مواليد بسكرة جنوب الجزائر، ثم اعتنق الوهابية ودافع عنها، فاستقبلته السلطات الوهابية ليصبح مدرساً في المسجد النبوي، دام علىٰ ذلك (٥٠) سنة حتىٰ توفي سنة (٢٠١٨)م، له مؤلفات، مجسم، ناصبي، متشدد من أقواله: من قال: يا محمد اشفع لي فقد كفر .

حمود التويجري العنزي: رضع عقيدة ابن عبد الوهاب منذ الطفولة، فشب مجسماً محترفاً، له كتاب: عقيدة أهل الإيمان بخلق آدم علىٰ صورة الرحمن، قرظ له ابن باز، بقوله: فقد اطلعت علىٰ ما كتبه صاحب الفضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري وفقه الله وبارك في أعماله فيما ورد من الأحاديث في خلق آدم علىٰ صورة الرحمن وسمىٰ مؤلفه في ذلك «عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم علىٰ صورة الرحمن» فألفيته كتاباً قيماً كثير الفائدة قد ذكر فيه الأحاديث الصحيحة الواردة في خلق آدم علىٰ صورة الرحمن وفيما يتعلق بمجيء الرحمن يوم القيامة علىٰ صورته وقد

أجاد وأفاد وأوضح ما هو الحق في هذه المسألة ... له مؤلفات كثيرة، توفي في الرياض سنة (١٤١٣هـ).

صالح الفوزان :عضو هيئة كبار علماء الوهابية، له ما يقرب من (٦٠) مؤلفا.

عبد الرحمن السديس: تلميذ الفوزان، إمام وخطيب المسجد الحرام، مجسم، ينفي وقوع المجاز في القرآن الكريم، وقد رددت عليه بكتابي: عقد الجمان في مجازات القرآن، من علماء السلاطين، ظهر نفاقه على الفضائيات للقاصي والداني، وامتنع كثير من المسلمين من الصلاة خلفه، ورد عليه عدد من السلفيين لإطرائه في ولاة الأمر .

سليم الهلالي: مجسم ، سارق، مدلس، يسرق كتب العلماء ثم ينسبها إلى نفسه، ألف فيه أحمد الكويتي مؤلفاً سماه: الكشف المثالي عن سرقات سليم الهلالي.

مروان القيسي: مدرس بكلية الشريعة في جامعة اليرموك الأردنية، مجسم، أصيب بمرض الجذام إثر تفوهه بكلام لا يليق بحق سيد المرسلين، أخبرني بذلك أحد أساتذة الجامعة .

عوض منصور: أستاذ جامعي، تخصصه حاسوب، أقحم نفسه في الكتابة بعقيدة الوهابية، له كتاب: الرحمن على العرش استوى، رددت عليه، وفندت مزاعمه بكتابي: الاستقصاء لآيات الاستواء .

عمر الأشقر: أستاذ جامعي، تلقى وهابيته الأولى في جامعة محمد بن سعود، ثم إلى الكويت حيث نال تحصيله العلمي من الأزهر، وبعد احتلال الكويت عادر إلى الأردن، وعُين مدرساً في الجامعة الأردنية، له مصنفات عديدة منها: أسماء الله وصفاته، (ت:٢٠١٢)م .

أبو قتادة، عمر محمود: فلسطيني من بيت لحم، ويسكن الأردن، كان إماماً في القوات المسلحة، مجسم، سمعته يقول: الكرسي موضع القدمين، وأخبرني بوجود لجنة متخصصة بشطب مصطلحات التصوف من تراث العلماء، مركزها الكويت، كان هذا سنة (١٩٨٦)م، حُبس في

بريطانيا بتهمة الإرهاب، وعلاقته بتنظيم القاعدة، كان يتقاضى من القنصلية السعودية بعمّان راتباً مقداره (١٨٠٠٠) ريال، لمشاطه وضلوعه في الوهابية .

محمد جميل زينو: سوري من مواليد حلب، تعرف على ابن باز في سفره للعمرة، أفصح له عن عقيدته الوهابية، فعينه مدرساً بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة، أصدر رسائل قصيرة حشى فيها من الأفكار الوهابية ما استطاع، وصارت السلطات الوهابية توزعها على الحجاج والمعتمرين . (ت: ١٤٣١هـ) .

الحويني: حجازي محمد يوسف شريف، والحويني نسبة إلى قرية حوين بمحافظة كفر الشيخ التي ولد فيها، له أفكار متطرفة منها: وجوب ختان الإناث، أخذ عن الألباني، وابن باز وابن عثيمين وغيرهم من علماء الوهابية .

محمد حسان: مصري، التقى بأساطين الوهابية كالألباني، وابن باز وسمع منه، أكثر نشاطاته خطب جمعة، وبرامج تلفزيونية، ظهر خيانته للإسلام هو وحزبه في مصر بعد الانقلاب على مرسي ومدحه أساطين الكفر والنفاق .

الوادعي: مقبل هادي اليمني، سلفي وهابي متشدد، أخذ عن بعض علماء الوهابية بمكة، كما أخذ عن ابن باز، والشنقيطي، له مؤلفات تصل إلى خمسين، (ت:١٤٢٢هـ)

احمد شحاته الألفي: تأثر فى نشأته بدعاة جماعة أنصار السنة المحمدية ودعوتهم الى التوحيد الوهابي التجسيمي، ينهى تلاميذه عن التقليد، وفتح لهم باب الاجتهاد .

إحسان إلهي ظهير: باكستاني، وهابي متشدد، أظهر عداءه لأهل السنة والجماعة من أتباع المذاهب الأربعة، واعتبرهم فرقاً ضالة، قتل بعبوة ناسفة سنة (١٤٠٧)هـ .

بكر عبد الله بوزيد: من تلاميذ ابن باز، والشنقيطي، عيُن قاضياً في المدينة المنورة، له رسائل وتحقيقات تزيد على الستين، من بينها: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، أعاد طبع الكتاب،

وحذف منه ترجمة ابن عبد الوهاب، حيث أظهر المؤلف عواره، ثم غمط المؤلف لإهماله ترجمته، ووضع له في المقدمة ترجمة وافية، اطلعت على الكتاب في مكتبة المسجد النبوي، فبحثت عن المحقق حتى دُللت عليه في الرياض، إلا أنهم أخبروني بأنه توفي منذ أشهر، وكنت أود تنبيهه على العبث الذي قام به أثناء تحقيق الكتاب لينتصر لإمام دعوته، (ت:١٤٢٩هـ) بمدينة الرياض .

الفصل الثالث

التشدد والتنطع عند غلاة الحنابلة

التشدُّد: مأخوذٌ من الشدة؛ وهي القوة والجلادة[26] هذا بالمعنى اللغوي، ولكن لو أردنا أن نصل إلى مفهومٍ للتشدد لوجدنا أنه يتناول مجموعة من نشاطات الإنسان؛ فقد يكون الأخذ بالعزيمة وترك الرخصة تشدداً في موطنٍ، وقد يكون الإكثار من نوافل العبادات على حساب الفرائض والواجبات تشدداً، وقد يأخذ التشدد صورة إلزام النفس بعملٍ لم يأذن به الشرع، وقد وقع من ذلك في عهده صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم فنذكر من ذلك حوادث:

الأول: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم يَخْطُبُ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ، نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلاَ يَقْعُدَ، وَلاَ يَسْتَظِلَّ، وَلاَ يَتكَلَّمَ، وَيَصُومَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم: «مُرْهُ فَلْيَتكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ»[27].

الثاني: عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ، فَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ، حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرِبَ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ»[28].

ففي الحديث الأول وجدنا أبا إسرائيل أراد أن يعبد الله تعالى بأعلى درجات العبادة، فصام في

---

[26] لسان العرب، ابن منظور، (٣/ ٢٣٥).

[27] صحيح البخاري (٨/ ١٤٣).

[28] صحيح مسلم (٢/ ٧٨٥).

الحر، كما أنه أراد أن يعاقب نفسه الأمارة، فوقف في الشمس وترك الظل، ولما كان الصيام من هديه صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم أقره عليه، والوقوف في الشمس قد يعرض نفسه للخطر والهلاك، وهو مخالف لسنته صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم اعتبره تشدداً في غير محله فنهاه عنه .

وفي الحديث الثاني وجدنا أن جماعة من الصحابة لم يفطروا في رمضان بعد أن أفطر النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم بسبب السفر، فسماهم العصاة، أي المخالفون للسنة، حيث شدَّدوا علىٰ أنفسهم في موضع أباح الله لهم الرخصة فيه .

الثالث: ومنه ما رواه البخاري في صحيحه في قصة الرهط الذين أتوا إلىٰ بيوت النبي عليه السلام يسألون عن عبادته، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبدا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبدا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قلتمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (٢٩) .

مما سبق ذكره وجدنا أن الإسلام يوجِّه أتباعه إلىٰ البعد عن التشدد بمفاهيمه السابقة، كما في حديث أنس: «لاَ تُشَدِّدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْما شَدَّدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ» (٣٠) .

وعلة النهي عن التشدد: أن الإسلام غلَّب جانب درء المفاسد علىٰ جلب المصالح، لأنه يترتب

---

(٢٩) **صحيح البخاري (٧/ ٢) .**

(٣٠) **سنن أبي داود (٤/ ٢٧٦، رقم:٤٩٠٤) .**

على التشدد في المصلحة وجود المفسدة، فتفوته المصلحة، ويوجد المفسدة، وهي العجز عن إدراك العبادة لعجزه عنها بسبب التشدد، كما حصل لعبد الله بن عمرو، فقد روى البخاري عنه قَالَ: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشاً، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فَقَالَ: «الْقَنِي بِهِ»، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟»، قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: «صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةً، وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»، قَالَ: قلت: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ»، قلت: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْما» قَالَ: قلت: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّة» فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ، لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّاماً وَأَحْصَى، وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئاً، فَارَقَ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم عَلَيْه [٣١] ولهذا نجد فرقاً شاسعاً بين التشدد بالمفهوم الذي سبق وبين مفهوم الالتزام، فالمسلم الملتزم بدينه هو الشخص الذي يقوم بالفرائض والواجبات، وما استطاع من النوافل، وهو الاعتدال .

وأما التنطع: فقد وردت كلمة التنطع في حديث النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» [٣٢] قَالَهَا ثَلَاثاً، وفي معنى التنطع وردت عبارات كثيرة ، تتوافق ولا تتعارض، وكلها تجتمع في معنى واحد ، يرجع إلى التكلف والتشدد فيما لا ينبغي، وفي غير موضعه الصحيح منها :

---

[٣١] **صحيح البخاري (٦/ ١٩٦، رقم:٥٠٥٢) .**

[٣٢] **صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٥) .**

الغلوُّ: في العبادة والمعاملة ، بحيث يؤدي إلى المشقة الزائدة ، والشريعة لم تأمر إلا بما فيه يسر وسماحة ، ونهت عن التشدد في الدين ، وصور الغلو التي أحدثها الناس في الدين وعدَّها العلماء من التنطع كثيرة .

قال النووي: هم المشددون في الأمور المجاوزون الحدود في قول أو فعل [٣٣] .

الابتداع في الدين: بتحريم ما لم يحرمه الله ورسوله ، واستحداث صور من العبادات والإلزامات لم تكن على عهد النبي صلَّى اللهُ عليَهِ وسلَّم .

التقعر في الكلام: والتشدق باللسان ، بتكلف الكلمات التي تميل قلوب الناس إليه، حيث لا معنى ولا مضمون ، ولا فائدة ترجى من تشدقه وتقعره، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليَهِ وسلَّم قَالَ : «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ» [٣٤] .

قال ابن الأثير: هُمُ الْمُتَعَمِّقون الْمُغالون فِي الْكَلَامِ، المتكلِّمون بأقْصَى حُلوقهم، مَأْخُوذٌ مِنَ النِّطَعِ، وَهُوَ الغارُ الأعْلَى مِنَ الفَم، ثُمَّ استُعْمِل فِي كُلِّ تَعَمُّق، قَوْلًا وَفِعْلاً، وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ " لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا عَجَّلْتم الفِطرَ وَلَمْ تَنَطَّعُوا تَنَطُّعَ أَهْلِ العِراق" أَيْ تتكلَّفوا الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ [٣٥] .

قال الخطابي: الْمُتَنَطِّع الْمُتَعَمِّق فِي الشَّيْء، الْمُتَكَلِّف لِلْبَحْثِ عَنْهُ عَلَى مَذَاهِب أَهْل الْكَلَام، الدَّاخِلِينَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِمْ، الْخَائِضِينَ فِيمَا لَا تَبْلُغهُ عُقُولهمْ [٣٦] .

قال ابن رجب: المتنطع هو المتعمق ، البحاث عما لا يعنيه ؛ فإن كثرة البحث والسؤال عن حكم ما لم يُذكر في الواجبات ولا في المحرمات قد يوجب اعتقاد تحريمه أو إيجابه، لمشابهته لبعض

---

[٣٣] **شرح النووي على مسلم (٧/ ٢١٤) .**

[٣٤] **مسند أحمد ت شاكر (١/ ٢٩٦) .**

[٣٥] **النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٧٤) .**

[٣٦] **عون المعبود (٩/ ١٨٢٥) .**

الواجبات أو المحرمات ، فقبول العافية فيه ، وترك البحث عنه والسؤال خير [٣٧] .

قلت: التشدد والتنطع والتطرف كلها مصطلحات لمعنىٰ واحد، فقد جعل الله تعالىٰ لكل عبادة حدَّين: حد التخفيف وتسمىٰ الرخصة، وحد القوة وتسمىٰ العزيمة، فالصلاة مثلاً لها وقت محدد، إذا صلاها المسلم في بداية الوقت سميت عزيمة، وهي عبادة يحبها الله تعالىٰ، وإذا صلاها في نهاية وقتها بحيث لم يدخل وقت الفريضة الأخرىٰ فهي جائزة، وتسمىٰ الرخصة، وإيقاع الصلاة ما بين هذين الوقتين محمود .

أما إذا تشدد المسلم وبادر لأدائها قبل دخول وقتها، أو تكاسل حتىٰ فات وقتها فذلك هو المنهي عنه، فالطرف الأول يسمىٰ إفراط، والطرف الثاني تفريط، وهذا هو التطرف، أي الأخذ بالطرف الأقصىٰ الذي جاوز الحد، فالذي يأمر بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر فقد أطاع الله، ولكن إذا صاحب هذا الأمر مفسدة، انقلب الأمر إلىٰ ضده، فدرء المفاسد مقدَّم علىٰ جلب المصالح .

فالحنابلة ومنهم الوهابية غلب عليهم التشدد والتنطع، أو تقول: التطرف، حيث تجاوزوا الحد في عبادتهم ومعاملتهم، ولنضرب علىٰ ذلك أمثلة:

تقصير الثوب الوارد في السنة أن لا يتجاوز طرف الثوب الكعبين، والكعبان هما العظمان البارزان في أسفل الساق، وفوق القدم، فإذا تجاوز الثوب هذا الحد إلىٰ الأسفل فذاك المنهي عنه، وعلته هو الكبر والخيلاء، بدليل ما رواه البخاري عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللهُّ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» فَقَالَ أَبُو بكر: إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ ثَوْبِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم:

---

(٣٧) **جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (٢/ ١٧١) .**

«إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلاَءَ» [38] . فمن فعل ذلك من غير خيلاء جاز.

لكن الوهابية تشددوا في ذلك فقصروا أثوابهم إلى ما دون الركبة، وأمروا الناس بذلك، ومن لم يفعل ما أمروه به قصوا ثوبه بالمقراض {المقص} ، وقد فعلوا هذا بالملك عبد العزيز عندما رأوا ثوبه إلى الكعبين، فقصوه إلى نصف الساق وهو جالس معهم، فكانت من الأسباب التي قضى فيها على جيش الإخوان، فتسبب فعلهم هذا بقتل آلاف الأنفس .

الأمر بالمعروف: والنهي عن المنكر، وهما من الأمور التي فيها خيرية هذه الأمة، وجاء فيها أحاديث عديدة، ولكن قيد هذه المسألة أن يكون الأمر بالحكمة، والموعظة الحسنة، حتى لا يترتب عليه مفسدة، وكان من عادة النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم أن يوصي بعض أصحابه إذا خلا به كابن عباس، ومعاذ، وأبي هريرة وغيرهم، وأحيانا يصعد المنبر فيقول: ما بال أقوام يفعلون كذا...الخ ثم يبين له هديه في هذه المسألة، فلم يُرو عنه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم أن جرح أحداً من أصحابه، أو شدد عليه القول، وهذا هو هديه صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم .

أما غلاة الحنابلة ومنهم الوهابية عملوا عكس هذا تماماً، فكان أمرهم بالمعروف بفظاظة وقسوة، وتجاوز الحد بهم إلى استعمال الضرب، ومن ثم التخريب، وإتلاف الأموال، ثم القتل، وتاريخهم حافل بذلك .

الفتوى: اشتهر عن الحنابلة أنهم كانوا يُفتون حسب ما يتطلبه مذهبهم، ويرون أن أي فعل لم يفعله النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم فهو البدعة الضلالة، ونسوا أو تناسوا أن أفعال العباد وأحوالهم متجددة بتجدد الحضارة، فيحدث الناس أشياء تسهل عليهم أمور معاشهم،

---

[38] **صحيح البخاري (٥/ ٦) .**

وفتاواهم في هذا على ضربين: في الأمور الدينية، وفي الأمور الدنيوية: وسأعرض بعض فتاوى ابن تيمية التكفيرية، ثم أعلق عليها:

۞ أن قاصر الصلاة في سفره لزيارة النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم يستتاب وإلا يقتل (الإخنائية ص:٣٥٧)

۞ من لم يقل إن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل. الصفدية (١/ ٢٦٧) .

۞ من أخَّر الصلاة حتى تغيب الشمس يقتل بعد أن يستتاب. الفتاوى الكبرى (٢/ ٩).

۞ من قال باتباع أحد المذاهب الفقهية، يستتاب وإلا يقتل . الفتاوى الكبرى (٢/ ١٠٥)

۞ ومن قال: إن أحداً من أولياء الله يقول للشيء: كن فيكون، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل؛ مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٧) . وقد ناقض ابن تيمية في هذه المسألة، فقال: وقد جاء في الأثر: " يا عبدي أنا أقول للشيء كن فيكون أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون، يا عبدي أنا الحي الذي لا يموت، أطعني أجعلك حيا لا تموت . مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٧) . دليل أنه يفتي بما يحلو له .

۞ من قال لرجل: توكلت عليك، أو أنت حسبي أو أنا في حسبك .. يستتاب فإن تاب وإلا قتل . مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٥) .

۞ من اعتقد أن أحدا من أولياء الله يكون مع محمد صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم كما كان الخضر مع موسى عليه السلام فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه . مجموع الفتاوى (٣/ ٤٢٢) .

۞ من خرج عن الكتاب والسنة ضُربت عنقه. مجموع الفتاوى (١١/ ٤٦٨) .

۞ من قال بعدم القصر في الصلاة كافر، يستتاب وإلا قتل . الفتاوى الكبرى (٢/ ١٢) .

۞ جار المسجد إذا لم يحضر الجماعة في المسجد بسبب جلوسه في دكانه كافر، يستتاب وإلا قتل

الفتاوىٰ الكبرىٰ (٢/ ٢٧٩) .

۞ من توسل بنبي أو ولي وجعله واسطة بينه وبين ربه فهو كافر مشرك، يجب أن يستتاب، وإلا قتل . الواسطة بين الحق والخلق (ص:٢٥) .

۞ من لم يقل بأن آدم عصىٰ فهو مكذب للقرآن، فهذا يستتاب، وإلا قتل . دقائق التفسير (٢/ ٣٦٩).

۞ من قال بمشروعية الصلاة في مسجد فيه قبر، وأن الصلاة في ذلك المسجد أفضل من غيره فقد مرق من الدين، ومن الواجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. (رأس الحسين ص:٢١٣).

۞ القول بأن الله يمد الناس بواسطة القطب، فهذا كفر صريح، يستتاب منه صاحبه، فإن تاب وإلا قتل . زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور (ص: ٦٢) .

۞ فتواه بالجهر بالنية في الصلاة، أي أن يقول المسلم إذا أراد الصلاة: نويت أن أصلي لله تعالىٰ فرض الصبح ... الخ

قال: هذا يستتاب وإلا ضربت عنقه . انظر الفتاوىٰ الكبرىٰ غير المحققة، وهي طبعة (١٩٦٦)، المسألة الأولىٰ في المجلد الأول، وهي في الطبعات المحققة في المجلد الثاني (٩٨)، وقد تلاعب الوهابية بالنص، فغيروا فيه، ونقلوه من المجلد الأول إلىٰ المجلد الثاني .

فهذه فتوىٰ ابن تيمية فيمن جهر بالنية في الصلاة، مجرد إسماع الرجل نفسه بالتلفظ بالنية اعتبره مرتداً عن الدين، فيستتاب، أي يؤمر بالعودة إلىٰ الإسلام، فإن تشهد شهادة الحق، ووعد أن لا يرفع صوته بالنية، قُبل منه، وإلا يجب قتله كفرا، ولا يغسل ولا يصلىٰ عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين .

علىٰ كل حال فليس الهدف هو محاكمة الرجل، بل محاكمة الذهن التعليمي والتربوي الذي

علىٰ كل حال فليس الهدف هو محاكمة الرجل، بل محاكمة الذهن التعليمي والتربوي الذي يقدمه الحنابلة من أشياخ ابن تيمية، أو ابن تيمية نفسه، ومن أتىٰ بعده ممن قلده من الوهابية للجيل، هذه الثقافة المسمومة التكفيرية علىٰ أنها دين الله يجب علىٰ كل مسلم اتباعه، وبهذا أخذ ابن عبد الوهاب، فكفر المسلمين جميعا إلا من اتبع مذهبه، وبناء علىٰ هذه الفتوىٰ قتلهم، وعلىٰ مثل هذه الأفكار المتطرفة نشأت التنظيمات الإرهابية التي أفرزتها رحم هذه الحركة .

التكفير: لا يجوز لمسلم أن يكفر مسلماً جزافا، والإفتاء بالتكفير يكون من ولي الأمر، بعرض المتهم علىٰ مجلس القضاء، فإن أقرَّ بما هو مزاحم للدين من العقائد، أو استحلال ما حرم الله وعُلم من الدين بالضرورة، بحيث لا يحتمل التأويل يفتىٰ بردته، فيستتاب ثلاثة أيام لعله يعود، وإلا يقتل، وهذا باب واسع يفتي به جمع من علماء المذاهب الأربعة، ويبنون فتواهم علىٰ ما صح عندهم من الأدلة الشرعية .

لكن مدرسة الحنابلة لم تلتزم بهذه الضوابط، بل أفتوا بتكفير كل من خالفهم، مهما كانت هذه المخالفة، حتىٰ لو كانت مسألة فرعية من فروع الفقه، ومهما كانت رتبة المخالف في العلم، وربما آذوه أو قتلوه، كما حصل لشيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري، وابن القشيري، وسنأتي علىٰ ذكرهم .

كما أن حنابلة اليوم من أتباع ابن عبد الوهاب أفتوا بتكفير كل من خالفهم في المسائل الفرعية الفقهية والعقدية، مع أنه لا يُكفَّر مسلم بذنب، لبقائه في دائرة التوحيد، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٤٨] . فكل ما دون الشرك لا يكون سبباً في التكفير ، وانظر ــ رعاك الله ــ أني قلت: كفَّروا من خالفهم، ولم أقل من أذنب، أو أخطأ، أو أتىٰ بما هو كفر، بل مجرد مخالفة مذهبهم هو سبب كافٍ عندهم للتكفير، حتىٰ لو كان

هذا الأمر طاعة منصوصاً عليها في الكتاب والسنة، وحتىٰ لا يتبادر للذهن أني أغالي في هذا سأعرض بعض الأدلة علىٰ قولي:

(١) الاحتفال بيوم المولد النبوي: فالحنابلة أفتوا بكفر من احتفل بيوم مولده صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم وعلة التكفير عندهم أن هذا لم يُعهد علىٰ زمن النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم ولا الصحابة، وكلنا يعلم أن احتفالنا بالمولد إنما هو تعبير عن فرحنا بهذه المناسبة العظيمة، فيجتمع الناس، ويقوم العلماء بتذكيرهم، وذكر جهود النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم وصحابته في سبيل نشر الإسلام، وقد يتخلل ذلك مدح النبي شعراً بألحان شجية، وقد توزع فيه الحلوىٰ، وهذه الأمور كلها أمور حسنة نص عليها الشرع .

لكن السبب الخفيَّ عند الوهابية أنهم يحرمون الاجتماعات الدينية مهما كان سببها، وذلك لتخوفهم من الانقلاب علىٰ حكامهم، كما حصل مع جيش الإخوان الذي أسسه الوهابية، وكان يدهم الضاربة، حتىٰ أدخلوا كافة أقاليم الجزيرة تحت حكمهم، ثم انقلب هذا الجيش علىٰ قائده ومليكه، فأمروه بالمعروف، ونهوه عن المنكر، وتجرأوا عليه حتىٰ قصوا ثوبه الطويل بالمقص، وحتىٰ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، منعوا كل اجتماع ديني تحت أي مسمىٰ .

(٢) التوسل: اعتبر الوهابية من توسل بالنبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم أو بأحد من صلحاء الأمة مشركا، وشركه أكبر من شرك الجاهلية، وذلك لأنهم اعتبروا أن المتوسَّل به كالصنم الذي عبده مشركو العرب، واعتبروا المتوسل كالمشرك، واعتبروا التوسل نفسه كصلاة المشركين لأصنامهم.

ودللوا علىٰ قولهم هذا بآيات أنزلها الله تعالىٰ في المشركين فحملوها علىٰ الموحدين، ولست في صدد نقض أدلتهم، ولكن العلماء ردوا عليهم، وفندوا أقوالهم وأبطلوها، وأقل ما يقال في هذه الأدلة حيث نازعهم العلماء فيها: أن الدليل إذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال، فحتىٰ تكفر

موحداً لا بد من اليقين في هذه المسألة، لأن من دخل في الإسلام بيقين، لا نُخرجه منه إلا بيقين، فديننا ليس مبنياً على الشك .

(٣) الزيارة: وأقصد زيارة النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم فاعتبر الوهابية زيارة النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم كفراً مخرجاً من الملة، ودليلهم حديث النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم: «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم وَمَسْجِدِ الأَقْصَى» [٣٩] . فكل من سافر لغير هذه المساجد الثلاثة اعتبره الوهابية مشركا، يستتاب وإلا قُتل.

ونقض كلامهم هذا بأبسط المسائل، وهي اللغة، فالاستثناء في حديث النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم «إلا» هو استثناء مفرغ كما هو معلوم في اللغة، أي ينبغي أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، أي أن المساجد بنيت للصلاة، وشد الرحال إليها ليس للنوم فيها أو صلة الرحم، أو التجارة وغير ذلك من الأمور، فمعنى الحديث: لا تشد الرحال لمسجد للصلاة فيه غير هذه المساجد الثلاثة، لأن هذه المساجد مفضلة على غيرها لمضاعفة الأجور فيها، أما غيرها من المساجد فهي متساوية في الفضل، فلا تشد إليها الرحال .

فزيارة النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم خارج هذا الإطار، ولا علاقة لها بشد الرحال، لأنه لو كان قبر النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم في غير مسجده، هل يمنع ابن تيمية ومن قلده من الوهابية زيارته؟ لن يقولوا بذلك لأن النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم أمر بزيارة القبور، وزارها هو بنفسه، فدليلهم هذا ليس في مكانه، ولا يدل على زيارة النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم فهو باطل .

(٤) الصلاة على النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم : الصلاة على النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم عبادة مشروعة بنص القرآن وصحيح السنة، وإجماع المسلمين، وجاء تخصيص الذكر فيها في مواطن

---

[٣٩] **صحيح البخاري (٢/ ٦٠، رقم:١١٨٩)** .

منها: يوم الجمعة وليلتها، وبعد الأذان، فيستحب الإكثار منها، لكن الوهابية لبغضهم للنبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم قالوا بمنعها بعد الأذان، ومنع الإكثار منها يوم الجمعة، فقد روىٰ الإمام احمد زيني دحلان في كتابه: "فتنة الوهابية" أن ابن عبد الوهاب زعيم هذه الطائفة كان يتأذىٰ من الصلاة علىٰ النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم ويعاقب من جهر بها، وقد قتل مؤذناً رفع صوته بها بهد الأذان، وسار علىٰ نهجه وهابية اليوم فقالوا: إن من صلىٰ علىٰ النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم بأعداد كبيرة، كمن قالها عشرة آلاف مرة، أو قال: لا إله إلا الله، ألف مرة، فقد تجاوز الذكر المشروع إلىٰ ذكر يشرك بالله .

قلت: هؤلاء بلغوا في التنطع مبلغاً لم يبلغه أسلافهم من غلاة الحنابلة، ولم يبنوا قولهم علىٰ أصل معتمد من الكتاب والسنة، وغاية ما وصلوا إليه من دليل هو: أنه لم يفعله النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم وتناسوا قوله تعالىٰ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَّ ذِكْراً كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٤١]، والذكر الكثير هو الذي لا يحده عدد من الأعداد الكبيرة، فالأعداد غير محدودة، والأمر واسع، وبإمكان المسلم أن يستغرق وقته بذكر الله تعالىٰ، وبالصلاة علىٰ رسول الله صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم لذا فتحديد المطلق بعدد معين يمنع الزيادة عليه هو البدعة المخالفة للنص القرآني .

وأما دليلنا علىٰ الإكثار من الصلاة علىٰ النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم فهو قول الله تعالىٰ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فالآية لم تقيد الصلاة بعدد معين، ولا زمان أو مكان، بل للمسلم أن يصلي كيف شاء، متىٰ شاء، أينما شاء، بأي عدد شاء، وقد جاء في السنة الإكثار من الصلاة والتسليم عليه صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم يوم الجمعة خاصة، وفي غير ما حديث الإكثار منها في غير يوم الجمعة، ولم تقيد الأحاديث هذه الصلاة بعدد معين، بل تركت الأمر لكل مسلم حسب همته واجتهاده، واختلاف العلماء بحد الإكثار، منهم من قال ألفاً بالليل وألفاً بالنهار، ومنهم من قال بأكثر من ذلك وأقل، حسب فهمهم لحدِّ الإكثار،

فالأمر فيه سعة، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره، فالمحبون لجناب النبوة يُشغلون أوقاتهم بالصلاة والتسليم عليه موافقة لرب العزة في دوام الصلاة، فقوله تعالىٰ: ﴿يُصَلُّونَ﴾ تفيد الدوام والاستمرار، فصلاة الله دائمة مستمرة، وكذلك صلاة الملائكة تبعاً لصلاة رب العزة، فقسم من الملائكة ليس لهم عبادة إلا الصلاة علىٰ النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم حسب منطوق الآية، فمن أكثر الصلاة عليه صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم بحيث يستغرق أكثر وقته فيها فهو المقتدي برب العزة وملائكته .

فتاواهم في الأمور الدنيوية:

وهي الأمور التي استحدثت كبعض الصناعات الحديثة، فقد منعوا الاتصالات اللاسلكية، وركوب السيارات، وركوب الدراجات الهوائية، كما حرموا التلفون المزود بالكاميرا، وحرموا الأكل علىٰ الطاولة القصيرة، ولبس الغترة والعقال، وهذا الأمر كان في بداية تشكيل الدولة الوهابية الثالثة، لغاية التسعينيات من القرن الماضي .

ومنها تحريمهم المناسبات الرسمية للدولة، كيوم الاستقلال، والمناسبات الدينية والتاريخية، كيوم الهجرة، والإسراء والمعراج، بدعوىٰ أن الإسلام لم يعين في السنة إلا عيدين هما: الفطر والأضحىٰ، وما عدا ذلك اعتبروه من البدعة الضلالة التي يعاقب فاعلها .

هذه أمثلة، والشواهد كثيرة، للتنطع والتشدد المذموم عند الحنابلة اليوم، والذي اشتهروا به قديماً وحديثاً، مما سبب الكثير من السلبيات في المجتمعات الدولية والإسلامية، منها إعلان الحرب الشعواء علىٰ المسلمين أينما حلُّوا، سواء علىٰ مستوىٰ الأفراد أو الجماعات، أو حتىٰ علىٰ الشعوب، وما نرىٰ هذه الأيام مما يحصل في العراق وسوريا واليمن وليبيا إلا ثمرة من ثمرات هذا التنطع، وما يلاقيه المسلمون المهجرون في أصقاع الأرض من تحرشات، ومعاملات تعسفية من الحكومات الكافرة، أو تحرشات الأفراد ببنات المسلمين من كشف الحجاب عن

رؤوسهن، أو قتلهم في الطرقات، أو قتلهم في المساجد كما حصل اليوم الجمعة في مسجدين بنيوزيلاندا، حيث راح ضحية هذا الاعتداء (٤٩) مسلماً بخلاف الجرحى .

الفصل الرابع

عقيدة التجسيم عند غلاة الحنابلة

سأشير في هذا الفصل إلى بعض عقائد الوهابية وأسلافهم من غلاة الحنابلة إشارة فقط، لأدلل على التطرف العقدي عندهم، ثم أتبعه بالتطرف الفكري، حتى أبرهن على أن هذه المدرسة لا تخرِّج إلا إرهابيين .

التجسيم:

هو نسبة الجسمية إلى الله تعالى، أي الاعتقاد بأن الله جسم، له شكل وصورة، وأعضاء، يحل الأماكن، ويتحرك ويسكن، ويقوم ببعض الأعمال بنفسه، وقد يمسه الإعياء والتعب، وهي عقيدة يهودية أخذها اليهود أخلاطاً من عقيدة الفراعنة حيث كانوا مستعبَدين لهم في مصر قبل خروجهم مع سيدنا موسى عليه السلام، ثم أخذوا من عقيدة البابليين والآشوريين عندما سباهم العراقيون، ومكثوا في الأسر عندهم عشرات السنين، فصارت عقيدتهم خليطاً من عقائد الوثنيين التي أُشربتها قلوبُ كبرائهم، وانظر إن شئت إليهم وهم يطلبون من سيدنا موسى أن يجعل لهم صنماً يعبدونه ، فلم تكد أقدامهم تجف من ماء البحر الذي جمده الله لهم معجزة ليقوي إيمانهم، حتى أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، قالوا: يا موسى اجعل لنا إلهاً نسجد له كهؤلاء الذي اتخذوا أصناما، ولم تزل قلوبهم مشرئبة لإلهٍ مجسِّمٍ يرونه بأعينهم، ويتخيلونه بعقولهم، وتمسه أيديهم، وبقي حب التجسيم فيهم إلى أن دونوه في توراتهم المحرفة، حتى تبقى فيهم هذه العقيدة التي شغفت قلوبهم، ومن ثم جاء الإسلام بنوره، وعقيدته التنزيهية، التي تنزه الله تعالى عن سمات المخلوقين، تأسيساً على المحكم من كتاب الله تعالى:

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]، فعلم الأصحاب ومن أتى بعدهم أن ما جاء في كتاب الله تعالى من أوصاف المخلوقين، أو نسبة الأعضاء إلى الله تعالى، لا يُحمل على ظاهره لاستحالته على الله تعالى، فكان الصدر الأول مفوضين هذه المعاني لسلامة أذواقهم اللغوية، وعقولهم المصونة عن لوثة التجسيم، وبقي الأمر إلى أن ظهرت بدع التجسيم المتسربة من أهل الكتاب إلى دائرة الفكر الإسلامي، باختلاط المسلمين بأهل الكتاب، سواء من أسلم منهم أو من بقي على دينه، فكتبهم التي دونوها كانت من نصيب المسلمين، فعلى سبيل المثال حصل عبد الله بن عمرو بن العاص على حمل زاملتين من كتب أهل الكتاب بعد معركة اليرموك، قال الحافظ ابن حجر: فإنه [عبد الله بن عمرو] كان حصل له في وقعة اليرموك كتب كثير من كتب أهل الكتاب، فكان يخبر بها فيها من الأمور المغيبة، حتى كان بعض أصحابه ربما قال له: حدثنا عن النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم ولا تحدثنا عن الصحيفة[40] كما أن عبد الله بن سلام كان يهودياً فأسلم، وأخذ يتحدث عن الطامات العقدية التي أخذها من اليهودية ويسمعه الصحابة، ومن ذلك قضية إقعاد النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم على العرش، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه وغيرهم.

ومن هنا دخل التجسيم على هذه الأمة، فتلقفته قلوب من زاغ عن الحق، وأُشربت قلوبهم حب الفتنة، فراحوا يقولون بأقوال أهل الكتاب، ويضعون في ذلك الحديث على رسول الله صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم لتقوية معتقدهم، فكثرت الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة والتالفة، ودونها علماء هؤلاء المبتدعين لأتباعهم، وبقيت هذه المخطوطات محفوظة عندهم، كلما قويت شوكتهم يقومون ينسخها، أو الاستشهاد بنصوصها، والزيادة عليها حتى تعددت مؤلفاتهم

---

[40] النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢/ ٥٣٣).

التجسيمية، وفي عصرنا لاقت رواجاً كبيرا من غلاة الحنابلة، فكرسوا أموالهم وعقولهم لتحقيقها ونشرها في الناس، حتىٰ تأثر بها شرائح من مجتمعات المسلمين، وسأعرض مجمل هذه العقائد حتىٰ أبين الأصل العقدي الذي بنىٰ عليه حنابلة اليوم عقيدتهم، حتىٰ إذا قال علماء المسلمين أنهم ليسوا من أهل السنة والجماعة كانوا محقين في ذلك .

قال ابن العربي: [قاصمة]:

وقد بينا في غير موضع أن الكائدين للإسلام كثير، والمقصرون فيه كثير، وأولياؤه المشتغلون به قليل، فممن كاده الباطنية، وقد بينا جملة أحوالهم، وممن كاده الظاهرية، وهم طائفتان:

إحداهما: المتبعون للظاهر في العقائد والأصول .

الثانية: المتبعون للظاهر في الأصول، وكلا الطائفتين في الأصل خبيثة ، وما تفرع عنهما خبيث مثلهما ، فالولد من غير نكاح لغية، والحية لا تلد إلا حية ، وهذه الطائفة الآخذة بالظاهر في العقائد، هي في طرف التشبيه، كالأولىٰ في التعطيل، وقد بليت بهم في رحلتي وتعرضوا لي كثيرا دون بغيتي، وأكثر ما شاهدتهم بمصر والشام وبغداد، يقولون: إن الله تعالىٰ أعلم بنفسه وصفاته، وبمخلوقاته منا، وهو معلمنا، فإذا أخبرنا بأمره آمنا به، كما أخبر، واعتقدناه، كما أمر، وقالوا حين سمعوا: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] [البقرة: ٢١٠] ﴿وَجَاءَ رَبُّك والملَكُ صَفاً صَفاً﴾ [الفجر: ٢٢] ﴿فَأَتَىٰ اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦] [النحل: ٢٦] «وينزل ربنا كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا» ، أنه يتحرك وينتقل، ويجيء ويذهب من موضع إلىٰ موضع، ولما سمعوا قوله: ﴿الرَّحمنُ عَلىٰ العَرشِ اسْتوَىٰ﴾ [طه: ٥] قالوا: إنه جالس عليه، متصل به، وأنه أكبر بأربع أصابع، إذ لا يصح أن يكون أصغر منه، لأنه العظيم، ولا يكون مثله، لأنه ﴿لَيْسَ كمِثْلِه شيءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] فهو أكبر من العرش بأربع أصابع .

ولقد أخبرني جماعة من أهل السنة بمدينة السلام ، أنه ورد بها الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الصوفي، من نيسابور ، فعقد مجلساً للذكر، وحضر فيه كافة الخلق، وقرأ القارئ: ﴿الرَّحمنُ عَلىٰ العَرشِ اسْتَوَىٰ﴾ قال لي أخصهم: فرأيت – يعني الحنابلة – يقومون في أثناء المجلس ويقولون: قاعد، قاعد بأرفع صوت وأبعده مدىٰ ، وثار إليهم أهل السنة من أصحاب القشيري، ومن أهل الحضرة، وتثاور الفئتنان، وغلبت العامة، فأجحروهم المدرسة النظامية، وحصروهم فيها، فرموهم بالنشاب، فمات منهم قوم، وركب زعيم الكفاة، وبعض الدارية، فسكنوا ثورتهم، وأطفوا نورتهم ، وقالوا: إنه يتكلم بحرف وصوت، وعزوه إلىٰ أحمد بن حنبل، وتعدىٰ بهم الباطل، إلىٰ أن يقولوا: إن الحروف قديمة، وقالوا: إنه ذو يد، وأصابع، وساعد وذراع، وخاصرة، وساق، ورجل، يطأ بها حيث شاء، وأنه يضحك ويمشي ويهرول .

وأخبرني من أثق به من مشيختي أن أبا يعلىٰ محمد بن الحسين الفراء رئيس الحنابلة ببغداد، كان يقول إذا ذكر الله تعالىٰ، وما ورد من هذه الظواهر في صفاته، يقول: ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة، وانتهىٰ بهم القول إلىٰ أن يقولوا: إن أراد أحد أن يعلم الله، فلينظر إلىٰ نفسه فإنه الله بعينه، إلا أن الله منزه عن الآفات، قديم لا أول له، دائم لا يفنىٰ، لقول النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم: «إن الله خلق آدم علىٰ صورته» وفي رواية: «علىٰ صورة الرحمن» وهي صحيحة، فلله الوجه بعينه لا ننفيه ولا نتأوله إلا محالات لا يرضى بها ذو نهىٰ .

وكان رأس هذه الطائفة بالشام أبو الفرج الحنبلي بدمشق، وابن الرميلي المحدث ببيت المقدس، والقطرواني بنواحي نابلس، والفاخوري بديار مصر، ولحقت منهم ببغداد أبا الحسين بن أبي يعلىٰ الفراء ، وكل منهم ذو أتباع من العوام، جمعا غفيرا، عصبة عصية عن الحق، وعصبية علىٰ الخلق، ولو كانت لهم أفهام، ورزقوا معرفة بدين الإسلام، لكان لهم من أنفسهم وازع،

لظهور التهافت على مقالاتهم، وعموم البطلان لكلماتهم، ولكن الفدامة استولت عليهم، فليس لهم قلوب يعقلون بها، ولا أعين يبصرون بها، ولا آذان يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل [41] .

وهذه أهم العقائد التجسيمية التي يتبنونها:

قولهم: إن الله جثة على صورة الإنسان:

كَانَ مقَاتل يَقُول إِن الله جسم وَلحم وَدم على صُورَة الْإِنْسَان [42] .

قال داود الجواربي ومقاتل بن سليمان: إن الله جسم وإنه جثة على صورة الانسان لحمٌ ودمٌ وشعر وعظم، له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان وعينين، وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه [43] .

قال التويجري: "إن الله خلق آدم على صورة نفسه" ثم استشهد بعدها بأقوال اليهود في التوراة فقال: وأيضاً فهذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتوراة فإن في السفر الأول منها "سنخلق بشراً على صورتنا يشبهها" [44] .

أقر عبد العزيز بن باز الذي يمثل أعلى سلطة دينية في الدولة الوهابية هذا القول، وذلك بمقدمته على هذا الكتاب، حيث قال: إن هذا هو القول الحق، وأن المقصود بلفظ: «إن الله خلق آدم على صورته» إن لفظ الصورة عائد على الله تعالى، فالله عندهم بصورة البشر .

---

(41) **النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (ص: ٢٠٨) .**

(42) **الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَل (٤/ ١٥٥) .**

(43) **العرش للذهبي (١/ ١٤٣) .**

(44) **عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (١/ ٧٦) .**

قلت: أقوال المجسمة في هذا الباب كثيرة، واستدلوا بحديث: «إن الله خلق آدم علىٰ صورته»، زيادة علىٰ استشهادهم بنصوص التوراة المحرفة علىٰ مسائل العقيدة .

وهذا الكلام منقوض بالأدلة القطعيية وهي قول الله تعالىٰ: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١، ١٢]، الأزواج لها معنيان:

الأول: جمع زوج وهو المرأة تكون زوجة للرجل، أو الرجل يكون زوجاً للمرأة، ويكون بينهما تناسل النوع الإنساني .

الثاني: تأتي بمعنىٰ الأصناف، أو الأشباه، كقوله تعالىٰ: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ٢٢]، أي أصناف المشركين وأشياعهم في الشرك وفروعه . قاله قتادة وهو رواية عن عمر بن الخطاب وابن عباس [٤٥] .

فيكون المعنىٰ: إن الله جعل تناسل بني آدم عن طريق التزاوج، وهذا لا يكون إلا ممن له جسم محسوس، وصورة معلومة، وروح وجسم، وغير ذلك من لوازم الأجسام، وكذلك الحيوانات، فهولاء جميعا لهم أشباه ممن خلقنا، فالإنسان وإن اختلفت صورة كل واحد عن الآخر، إلا أنهم من صنف واحد وهو الصنف الآدمي، وكذلك الحيوانات، كلها من صنف واحد، ثم أتبع الله تعالىٰ هذا النص بقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، أي أن الله تعالىٰ ليس جسماً، وليس له صورة، ولا يشبهه شيء، ولا يشبه شيئاً في وجه من الوجوه، ليقول لنا: إن ما جاءكم من الآيات المتشابهة التي قد تنسب إلي شيئاً من أوصافكم فلا تحملوه علىٰ ظاهره لأني بخلاف ذلك، فأوِّلوه إلىٰ معنىٰ تقبله اللغة ويقبله العقل، والشاهد علىٰ ذلك هو كلام رب العالمين، في الحديث

---

(٤٥) **التحرير والتنوير (٢٣/ ١٠٢)** .

القدسي الذي يرويه مسلم عن أبي هريرة: «يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي» [٤٦].

في هذا الحديث يقول الله تعالىٰ لبعض عباده يوم القيامة: «مرضت فلم تعدني»، فيقع الاستغراب من العبد لاعتقاده أن الله تعالىٰ منزه عن المرض، فيتساءل: كيف تمرض وأنت رب العالمين؟! فيجيبه الله تعالىٰ: أن الذي مرض هو عبدي فلان فلم تزره...الخ

فعلّمنا الله تعالىٰ أنه يجب تأويل أي لفظ يستحيل اتصاف الله به، لكونه ليس من صفاته، بل هو من صفات خلقه، وقل مثل ذلك في باقي مفردات الحديث كالأكل والشرب واللباس... لنقيس عليها ما نعرفه من أوصاف المخلوقين .

فقول النبي صلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّم: «إن الله خلق آدم علىٰ صورته»، أي علىٰ صورة آدم، لأن الضمير «هـ» في كلمة: صورته، يعود علىٰ أقرب اسم له وهو آدم ، وهذا معلوم لغة ، والشاهد علىٰ ذلك من ألفاظ الحديث ورواياته:

أولاً: إن مناسبة الحديث: أن النبي صلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّم مر علىٰ رجل يضرب غلامه ويزجره ويقول له : قبّح الله وجهك ووجه من أشبهك، فسمعه النبي صلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّم فأنكر ذلك

---

[٤٦] صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٠).

عليه لأن وجوه البشر كلهم علىٰ صورة أبيهم آدم، مما ينبغي له أن يكرمه لذلك، فقد روىٰ مسلم من حديث أبىٰ هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّم: «إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه، فإن الله خلق آدم علىٰ صورته» [(٤٧)] والضمير في كلمة صورته يعود علىٰ أقرب اسم له في النص وهو آدم كما هو معلوم لغة، أي إن الله خلق آدم علىٰ صورة هذا الرجل المضروب .

ثانياً: والرواية الثانية لها مناسبة أخرىٰ وهي: صورة آدم عندما خلقه الله تعالىٰ، فقد روىٰ البخاري في صحيحه: «إن الله خلق آدم علىٰ صورته ستون ذراعاً في السماء ثم قال له اذهب إلىٰ أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فهي تحيتك وتحية ذريتك» [(٤٨)] ، وذلك ليعلّم النبي صلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّم أمته كيفية السلام وما هو أصله فساق الحديث صلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّم وثمة مناسبة أخرىٰ للحديث، أي بمعنىٰ أن الحديث تكرر منه عليه الصلاة والسلام ليعلم الناس قضية أخرىٰ وهي صورة الناس عند دخولهم الجنة، فقد روىٰ البخاري: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمْ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ، عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَىٰ خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» [(٤٩)] .

قال أبو حاتم: فمعنىٰ الخبر عندنا بقوله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّم خلق الله آدم علىٰ صورته إبانة

---

(٤٧) **صحيح مسلم (٤/ ٢٠١٧) واحمد (٢/ ٤٣٤)، والبخاري في الأدب المفرد (ص:٧٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص:٢٩١) .**

(٤٨) **باب بدء الخلق (٣: ١٢١٠ رقم: ٣١٤٨)، ورواه أيضاً في باب السلام (٥/ ٢٢٩٩) بهذا اللفظ .**

(٤٩) **صحيح البخاري (٤/ ١٣٢) .**

فضل آدم على سائر الخلق والهاء راجعة إلى آدم، والفائدة من رجوع الهاء إلى آدم دون إضافتها إلى البارئ جل وعلا جل ربنا وتعالى عن أن يشبَّه بشيء من المخلوقين.

لذلك تكررت مناسبات الحديث فتكرر لفظه، وكل لفظ فهمنا منه معنى جديدا، وليس المقصود أن صورة آدم هي عين صورة الله تعالى .

قال ابن فورك: فَأَما قَوْله عَلَيْهِ السَّلَام: «خلق آدم على صورته» فقد تَأَوَّلَه المتأولون من أهل الْعلم على وُجُوه كَثِيرَة وَمِمَّا قيل: إِن هَذَا الْخَبَر خرج على سَبَب وَذَلِكَ أَن النَّبِي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم مر بِرَجُل يضْرب ابْنه أَو عَبده فِي وَجهه لطماً وَيَقُول: قبح الله وَجهك وَوجه من أشبه وَجهك، فَقَالَ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم: «إِذا ضرب أحدكُم عَبده فليتق الْوَجْه فَإِن الله خلق آدم على صورته» .

وَقد نقل الناقلون هَذِه الْقِصَّة مَعَ هَذِه اللَّفْظَة من الطّرق الصَّحِيحَة، وَإِنَّمَا ترك بعض الروَاة بعض الْخَبَر إختصاراً على مَا يذكر مِنْهُ للدلالة على مَا يحذف، إِذا كَانَت الْقِصَّة عِنْده مَشْهُورَة، مضبوطة بِنَقْل الْإِثْبَات، لِأَن أَكثر الْغَرَض عِنْدهم الْأَسَانِيد دون الْمُتُون، فَلذَلِك ترك بَعضهم ذكر السَّبَب فِيهِ، فَالْأولى أَن يحمل الْمُخْتَصر من ذَلِك على الْمُفَسّر حَتَّى يَزُول الْإِشْكَال، وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم لَهُ ذَلِك لِأَنَّهُ سَمعه يَقُول: قبح الله وَجهك وَوجه من أشبه وَجهك، وَذَلِكَ سبّ للأنبياء وَلِلْمُؤْمنِينَ، فزجره عَن ذَلِك، وَخص آدم بِالذكر لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي ابتدئت خلقَة وَجهه على الْحَد الَّذِي يحتذى عَلَيْهَا من بعده، كَأَنَّهُ ينبهه على أَنَّك قد سببت آدم وَمن وُلد، مُبَالغَة فِي الردع لَهُ عَن مثله، وَإِذا كَانَ كَذَلِك فَهَذَا وَجه ظَاهر، وَالْهَاء كِنَايَة عَن الْمَضْرُوب فِي وَجهه وَلَا شُبْهَة فِيهِ [50].

---

[50] مشكل الحديث وبيانه (ص: ٤٨) .

ويأتي معنىٰ آخر لكلمة الصورة وهي الصفة، فإن كان الضمير عائداً علىٰ الله تعالىٰ كما في حديث: «إن الله خلق آدم علىٰ صورة الرحمن»، فيكون المعنىٰ علىٰ صفاته وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع والبصر، والكلام، فهذه صفات أودعها الله في بني آدم وهي في الأصل من صفاته، أعطاه منها بقدر ما يحتاجه في حياته الدنيا، والحديث لم يخصص صورة الجسم دون الروح، فالآدمي مكون منهما معاً، أي الروح والجسم، وتخصيص الجسم بهذا لا بد له من قرينة .

والأمر الأخير: أن الحديث يستحيل أن يعارض القرآن، فقوله تعالىٰ: «لَيۡسَ كَمِثۡلِهِ شَيۡءٌ» يدفع تفسير الصورة بما تأولها المجسمة، فالآدمي له صورة، وله جسم، والله تعالىٰ ليس كالإنسان بنص الآية، فلا يمكن تفسير الحديث بالصورة الآدمية لله تعالىٰ .

قولهم باليد والأصابع :

قلت: إن من نسب التجسيم إلىٰ الله تعالىٰ كان لا بدَّ له من وصفه تعالىٰ بما للإنسان من الأعضاء، فهي من لوازم الأجسام، فنقص عضو من الجسم ينافي الكمال، وهم ينزهون الله عن هذا النقص، ولكنهم يطلقون عليها لقب: "صفات" وليس أعضاءً، مخالفين بذلك لغة العرب التي حوت القرآن والسنة، وذلك أنَّا إذا أردنا أن نصف رجلاً ببعض صفاته البارزة لا نقول: أن له وجهاً، ويدين، وعينين، وجنباً، وساقا، لأنها أعضاء ليست صفات، أما إن قلنا أنه: كريم، فذلك صحيح لغة، أو شجاع، أو أنه عزيز في قومه، وغير ذلك، فهو مقبول في اللغة، وهذا ينطبق علىٰ وصفنا لله تعالىٰ، فليس من الصحيح لغة أن نقول: إن من صفات الله أن له وجها ويدين ... الخ فهذه مغالطات وقع بها المجسمة يتعذر عليهم الخروج من غوائلها.

قال المجسمة بأن لله يدين اثنتين وقوفاً مع ظاهر النص، ومنعوا تأويل المعنىٰ، ثم قالوا: لا كما يعقل .

وقولهم هذا من المغالطات الكبيرة، فإما أن تكون يداً على الحقيقة المتعارف عليها، أو تأوَّل حسب معانيها في اللغة، كالقوة، أو النعمة، وغير ذلك .

قال الدارمي المجسم: فَهَلْ عَلِمْتَ شَيْئاً مِمَّا خَلَقَ اللهُ وَلِيَ خَلْقَ ذَلِكَ غَيْرُهُ، حَتَّى خَصَّ آدَمَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَنَّهُ وَلِيَ خَلْقَهُ من غير مَسِيس بِيَدِهِ فسمه؟ وَإِلَّا فَمَنِ ادَّعَى أَنَّ اللهَ لَمْ يَلِ خَلْقَ شَيْءٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ فَقَدْ كَفَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ وَلِيَ خَلْقَ الْأَشْيَاءِ بِأَمْرِهِ، وَقَوْلِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَوَلِيَ خَلْقَ آدَمَ بيد مَسِيساً لَمْ يَخْلُقْ ذَا رُوحٍ بِيَدَيْهِ غَيْرَهُ، فَلِذَلِكَ خَصَّهُ وَفَضَّلَهُ، وَشَرَّفَ بِذَلِكَ ذِكْرَهُ، لَوْلَا ذَلِكَ مَا كَانَتْ لَهُ فَضِيلَةٌ مِنْ ذَلِك على شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، إِذْ خَلَقَهُمْ بِغَيْرِ مَسِيسٍ فِي دَعْوَاكَ [٥١] . واستشهد ابن تيمية بقوله هذا في كتابه: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٨/ ٤٧) .

قال ابن الألوسي: وندين بأن الله تعالى يقلب القلوب، وأن القلب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل، وأنه يضع السموات على أصبع، والأرضين على أصبع، ومن لوازم اليد وجود الأصابع فيها، فكف بدون أصابع تكون ناقصة، وغلاة الحنابلة المجسمة يثبتون الأصابع لله تعالى، فقالوا: إن له خمسة أصابع هي صفته .

الجوارح والأعضاء:

يعتقد المجسمة بأن لله أعضاء وجوارح، كالوجه، والعين، واليد والرجل ... الخ

قال ابن عثيمين: إن الله عز وجل له وجه وله عين، وله يد وله رجل عز وجل، لكن لا يلزم من أن تكون هذه الأشياء مماثلة للإنسان، فهناك شيء من الشبه لكنه ليس على سبيل المماثلة [٥٢]

---

[٥١] نقض عثمان الدارمي على المريسي (١/ ٢٣١).

[٥٢] شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ١١٠) .

الحركة والسكون:

معلوم عقلاً أن الحركة والسكون هي من لوازم الأجسام، فالجسم يكون في مكان، فإذا انتقل إلىٰ مكان آخر وصفناه بالحركة، فالحركة والسكون هي من لوازم الأجسام، وبناء علىٰ هذا فقد وصف المجسمة الله تعالىٰ بالحركة والسكون، وهم مجمعون علىٰ ذلك .

قال الدارمي المجسم: وَأَمَّا دَعْوَاكَ: أَنَّ تَفْسِيرَ "الْقَيُّومِ" الَّذِي لَا يَزُولُ مِنْ مَكَانِهِ وَلَا يَتَحَرَّكُ فَلَا يُقْبَلُ مِنْك هَذَا التَّفْسِيرُ إِلَّا بِأَثَرٍ صَحِيحٍ، مَأْثُورٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم أَوْ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ أَوِ التَّابِعِينَ؛ لِأَنَّ الْحَيَّ الْقَيُّومَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَتَحَرَّكُ إِذَا شَاءَ، ويهبط ويرتفع إذا شَاءَ، وينقبض وَيَبْسُطُ وَيَقُومُ وَيَجْلِسُ إِذَا شَاءَ؛ لِأَنَّ أَمَارَةُ مَا بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ التَّحَرُّكَ، كُلُّ حَيٍّ مُتَحَرِّكٌ لَا مَحَالَةَ، وَكُلُّ مَيِّتٍ غَيْرُ مُتَحَرِّكٍ لَا مَحَالَةَ [53] .

قولهم بالحلول:

أي أن الله تعالىٰ يحلُّ في الأشياء، والأشياء هي مخلوقات؛ كالعرش، أو السماء، أو الأرض، فجعلوا هذه الأماكن حيزاً يحل الله فيها، ثم يُتبعون اعتقادهم هذا بقول: لا كيف، أو ليس كحلول المخلوقين، فيترتب علىٰ قولهم هذا أن الله تعالىٰ محصور في الأماكن، ومحمول، وهذا ينافي القهرية الإلهية ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، ويستشهدون لذلك بحديث الجارية.

هذا ملخص لعقيدة الوهابية، تلك المدرسة التجسيمية، التي أفرزت للأمة جيلاً لا يعتقدون ولا يؤمنون إلا بإله محسوس، يشار إليه بالجهة، بمواصفات معينة حسب تخيلاتهم الضيقة.

---

(٥٣) نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد (١/ ٢١٥) .

الفصل الخامس

الأفكار المتطرفة عند غلاة الحنابلة

أقصد من هذه الفصل والذي قبله أن الوهابية وغلاة الحنابلة متطرفون، يأخذون بالتشدد الممقوت في كل شيء، بعيداً عن الحكمة والسياسة الشرعية، فعقيدتهم لا تمت إلى الإسلام في شيء، وأفكارهم كذلك، مما جعلهم مستنقعاً يخرج منه كل ذي سُم، وكل مضر بالصحة الجسمية والدينية، وسيرى القارئ أن هذه الأفكار لم يعرفها الإسلام على مر القرون، ولم يسبق لأحد من المسلمين أنه رمى نبيه بالشرك، أو نال منه ولو بكلمة يقصد منها الإساءة، أو اتخذ النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم عدواً له، ويتفاخر بذلك، دليل الإرهاب العقدي والفكري المتطرف، عند هؤلاء الخوارج الغلاة .

وصف النبي ﷺ بالشرك :

محمد ابن عبد الوهاب زعيم هذه الحركة ومؤسسها، ويعتبرونه مقدَّساً عندهم، يدرِّسون كتبه لأبناء المدارس والجامعات، ويهتمون بها أكثر من اهتمامهم بالقرآن، وقد بنى هذا الزعيم المؤسس أفكاره على التطرف، ففي خلال كتاباته يصف النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم بالشرك، فقال في معرض تفسيره لآية ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ من سورة المدثر: أَيْ طَهِّرْ أَعْمَالَكَ من الشِّرْك .

إنه تفسير غريب حقاً، فالثياب لا تفسر بالأعمال في لغة العرب، والنبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم معصوم، فكيف يُشرك بالله؟! .

وصف آدم وحواء بالشرك:

معلوم عقلاً أن الحركة والسكون هي من لوازم الأجسام، فالجسم يكون في مكان، فإذا انتقل

مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقلت دَعَوَا اللهَّ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُّ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠]:

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسمٍ معبَّدٍ لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشى عبد المطلب .

وعن ابن عباس في الآية: "قال لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعاني أو لأجعلن له قرني " أيِّـل " [٥٤] فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما، سمِّياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حبُّ الولد فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ " رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: "شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته [٥٥] .

قلت: نسب ابن عبد الوهاب هذا القول لابن حزم، ولم ينقل تعليق ابن حزم على هذه الرواية، بل دلَّس ليوهم البسطاء بصحة ما يدَّعيه، وهذا قول ابن حزم في هذه المسألة:

قال ابن حزم: وَهَذَا الَّذِي نسبوه إِلَى آدم عَلَيْهِ السَّلَام من أَنه سمى ابْنه عبد الْحَارِث خرافة مَوْضُوعَة مكذوبة من تأليف من لَا دين لَهُ وَلَا حَيَاء، لم يَصح سندها قطّ، وَإِنَّمَا نزلت فِي الْمُشْركين على ظَاهرهَا، وَحَتَّى لَو صَحَّ أَنَّهَا نزلت فِي آدم وَهَذَا لَا يَصح أصلا لما كَانَت فِيهِ للمخالف حجَّة، لِأَنَّهُ كَانَ يكون الشّرك أَو الشُّرَكَاء المذكورون فِي الْآيَة حِينَئِذٍ على غير الشّرك الَّذِي هُوَ الْكفْر، لَكِن بمعنى أَنَّهمَا جعلا مَعَ توكلهما شركَة من حفظه، وَمَعْنَاهُ كَمَا قَالَ يَعْقُوب

---

[٥٤] **الأيل: الوعل، أو التيس الجبلي ، له قرون طويلة متشابكة .**

[٥٥] **حاشية كتاب التوحيد (ص: ٣٣٢) .**

عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿يَا بني لَا تدْخلُوا من بَاب وَاحِد وادخلوا من أَبْوَاب مُتَفَرِّقَة وَمَا أُغني عَنْكُم من الله من شَيْء إِن الحكم إِلَّا لله عَلَيْهِ توكلت وَعَلِيهِ فَلْيَتَوَكَّل المتوكلون * وَلما دخلُوا من حَيْثُ أَمرهم أبوهم مَا كَانَ يُغني عَنْهُم من الله من شَيْء إِلَّا حَاجَة فِي نفس يَعْقُوب قَضَاهَا وَأَنه لذُو علم لما علمناه وَلَكِن أَكثر النَّاس لَا يعلمُونَ﴾ فَأخْبرنَا عز وَجل أَن يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلَام أَمرهم أَن يدخلُوا من أَبْوَاب مُتَفَرِّقَة إشفاقاً عَلَيْهِم؛ إما من إِصَابَة الْعين وَإِمَّا من تعرض عَدو أَو مستريب باجماعهم، أَو بِبَعْض مَا يخوفه عَلَيْهِم، وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَام معترف أَن فعله ذَلِك وَأمره إِيَّاهُم بِمَا أَمرهم بِهِ من ذَلِك لَا يُغني عَنْهُم من الله شَيْئا يُريدهُ عز وَجل بهم[56] . انتهى كلامه

الطرق الصوفية:

هي المدارس التي تعمل على تربية النفس الإنسانية الأمارة بالسوء وتزكيتها، بتخليتها من كل خلق دني، والتحلي بكل خلق سني، فهي مدارس تربوية أنتجت رجالاً قادة، كمحمد الفاتح، وألب أرسلان، ونظام الملك، ونور الدين زنكي، وصلاح الدين، وعمر المختار، وابن علي السنوسي، وعبد القادر الجزائري وغيرهم كثير، كما أنتجت علماء كانوا حُجج الله على خلقه، كالغزالي، والجيلاني، والرفاعي، والشاذلي وابن عبد السلام، وعشرات بل مئات غيرهم، أناروا الدنيا بعلمهم وهديهم المستند إلى كتاب الله وسنة رسوله صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم .

ولما كان غلاة الحنابلة ووهابية اليوم على غير منهج السلف الذي يدَّعونه خالفوا السلف الصالح في كل مليحة، فراحوا يحاربون الأخلاق، وأهم شيء فيه هي المدارس التربوية التي تخرِّج الأجيال، وهي الطرق الصوفية، فأعلنوا عليها حرباً شعواء، فمنعوها داخل جزيرة العرب، ثم تجاوزوا ذلك لحربها في العالم الإسلامي .

---

(56) **الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٤) .**

يقول أحد أساتذة المدرسة الوهابية: إن هذه الطرق الصوفية المنتشرة في الناس للدجل والدجالين هي المعول الذي هدم به اليهود والفرس صرح الإسلام، وهي اليد الآثمة التي مزقت الإسلام، وإن شيوع الطرق الصوفية هم الذين يمكنون للمستعمرين في مراكش وتونس والجزائر والهند وفي السودان ومصر وفي كل مكان، أيها المسلمون، لا ينفع إسلامكم إلا إذا أعلنتم الحرب الشعواء على هذه الطرق، وقضيتم عليها، فأخرجتموها من بين جنوبكم ومن قلوبكم ومجالسكم ومجامعكم ومساجدكم وزواياكم ، حاربوها قبل أن تحاربوا اليهود، فإنها روح اليهودية والمجوس تغلغلت في جسم الإسلام فزلزلته وأوهنته [٥٧] .

قلت: لا تخلو معركة بين الإسلام والكفر على مر التاريخ خلت من الصوفية، وهم أول من أنشأوا الربط، جمع رباط، وهي مراكز على ثغور الدولة الإسلامية، يأوي إليها المجاهدون، لحماية ثغور الدولة من أعدائها، ومن تتبع تاريخ الإسلام يجد أن انتصارات المسلمين كانت بسبب وجود المجاهدين الصوفية بين صفوفهم، حيث كانوا رهباناً في الليل، أسداً في النهار، عكس الوهابية وأسلافهم، فلم ينقل عنهم التاريخ إلا قتل الموحدين، وزرع الفتنة فيما بينهم .

قولهم: تقليد المذاهب من الشرك :

قال صديق القنوجي الوهابي: تأمل في مقلدة المذاهب، كيف أقرُّوا على أنفسهم بتقليد الأموات من العلماء والأولياء، واعترفوا بأن فهم الكتاب والسنة كان خاصاً بهم، واستدلوا لإشراكهم في الصلحاء بعبارات القوم، ومكاشفات الشيوخ في النوم، ورجحوا كلام الأئمة على كلام الله

---

[٥٧] **المجموع المفيد من عقيدة التوحيد، علي محمد سنان، دار الكتاب الإسلامي، المدينة المنورة،** (ص:٥٥).

تعالىٰ ورسوله، عليبصيرة منهم، وعلىٰ علم، فما ندري ما عذرهم عن ذلك غداً يوم الحساب والكتاب، وما ينجيهم من ذلك العذاب والعقاب [٥٨] .

قلت: انظر كيف جعل الوهابية تقليد عالم في مسألة فقهية من الشرك المخرج من الملة، واتهم المسلمين في تقليد العلماء، وأخذ أحكام الدين عنهم أنهم يعبدونهم من دون الله، فإذا لم يأخذ الجاهل دينه عن عالم، فعمن يأخذ دينه إذاً؟ أيبقىٰ في جهله قابعاً حتىٰ لا يشرك بالله، علىٰ رأي الوهابية ؟

إن الوهابية حركة سياسية، أريد منها أن تفعل هذا حتىٰ تنبذ الأمة فقه علمائها، ويدَّعي كل واحد أنه باستطاعته أخذ دينه من الكتاب والسنة مباشرة، فينشأ جيل لا يعرف معنىٰ الأدب في طلب العلم، لكون لم يأخذه عن المتأدبين، وينصِّب من نفسه مجتهداً يحق له تكفير من شاء حسب هواه، وبالتالي إذا أحل دمه قام بقتله، فيصدرون للناس إسلاماً إرهابياً مشوها، ممسوخا بمسخ قلوب هؤلاء، وما نراه اليوم، وما قرأناه من تاريخ هذه الحركة منذ أُسست لهو شاهد علىٰ ما نقول، فهكذا أُريد لها، وهكذا خُطط لها، وهكذا أدارها من أنشأها، ونجحوا في ذلك .

توحيد أبي جهل وأبي لهب:

قال محمد أحمد باشميل الوهابي: " أبو جهل وأبو لهب ومن علىٰ دينهم من المشركين، كانوا يؤمنون بالله ويوحدونه في الربوبية خالقاً ورازقاً، محيياً ومميتاً، ضاراً ونافعاً، لا يُشركون به في ذلك شيئاً؟؟ عجيب، وغريب، أن يكون أبوجهل وأبولهب، أكثر توحيداً لله وأخلص إيماناً به من هؤلاء المسلمين الذين يقولون: لا إله إلا الله، محمد رسول الله [٥٩] .

---

[٥٨] **الدين الخالص: (ص:١٤٠) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٥هـ/ ١٩٩٥م) .**

[٥٩] **كيف نفهم التوحيد، محمد احمد باشميل (ص:١٢) طبعة سنة (١٤٠٦هـ)**

تكفير بلال بن الحارث:

وروى بن أَبِي شَيْبَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ عَنْ مَالِكٍ الدَّارِيِّ وَكَانَ خَازِنُ عُمَرَ قَالَ: «أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا فَأَتَى الرَّجُلَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ له: إنهم مسقون ...»[60].

تعليق ابن باز:

هذا الأثر – على فرض صحته كما قال الشارح – ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم بعد وفاته، لأن السائل مجهول ، ولأن عمل الصحابة على خلافه، وهم أعلم الناس بالشرع ، ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السقيا ولا غيرها، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الإستسقاء بالعباس، ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة، فعلم أن ذلك هو الحق، وأن ما فعله هذا الرجل منكر ووسيلة الى الشرك، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشرك.

وأما تسمية السائل في رواية سيف المذكورة " بلال بن حارث " ففي صحة ذلك نظر ، ولم يذكر الشارح سند سيف في ذلك ، وعلى تقدير صحته عنه لا حجة فيه ، لأن عمل كبار الصحبة يخالفه ، وهم اعلم بالرسول صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم والله أعلم .

قلت: هذا الحديث صحيح الإسناد، وأقره علماء الأمة من المحدثين وغيرهم، كما أقره عمر بن الخطاب، حيث سمع الرؤيا ممن رآها وهو بلال بن الحارث، فبكى...الخ

---

[60] **فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٩٥) .**

فلو لم يصدق عمر رؤيا الرجل فلماذا بكى إذاً؟!، ولو كان ما فعله هذا الصحابي شركاً أكان عمر يُقرُّه على ذلك، وكان في الصحابة كبارهم؛ عثمان وعلي، فلم يُنكروا عليه ذلك، دليل مشروعيته، فيكون إقرارهم هذا إجماعاً سكوتياً .

لكن الوهابية لا يُعجبهم فعل الصحابة، فقال: " وأن ما فعله هذا الرجل منكر ووسيلة الى الشرك، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشرك ".

وأهل العلم الذي يقصدهم ابن باز هو ابن تيمية وابن عبد الوهاب .

عبادة الأولياء:

قال ابن باز: في قرة العيون: فصارت هذه الأصنام بهذا التصوير على صور الصالحين سلما إلى عبادتها، وكل ما عُبد من دون الله، من قبر أو مشهد، أو صنم، أو طاغوت، فالأصل في عبادته هو الغلو، كما لا يخفى على ذوي البصائر، كما جرى لأهل مصر وغيرهم؛ فإن أعظم آلهتهم أحمد البدوي، وهو لا يُعرف له أصل، ولا فضل، ولا علم ولا عبادة، ومع هذا فصار أعظم آلهتهم.

وكان أهل العراق ومن حولهم كأهل عُمان يعتقدون في عبد القادر الجيلاني كما يعتقد أهل مصر في البدوي، وعبد القادر من متأخري الحنابلة، وله كتاب الغنية، وغيره ممن قبله وبعده من الحنابلة أفضل منه في العلم والزهد، لكن فيه زهد وعبادة، وفُتنوا به أعظم فتنة، وسبب ذلك الغلو دعوى أن له كرامات، وقد جرت الكرامات لمن هو خير منه وأفضل، وهكذا حال أهل الشرك مع من فُتنوا به.

وأعظم من هذا عبادة أهل الشام لابن عربي، وهو إمام أهل الوحدة الذين هم أكفر أهل الأرض، وأكثر من يعتقد فيه هؤلاء لا فضل له ولا دين، كأناس بمصر وغيره، وجرى في نجد

قبل هذه الدعوة مثل هذا، وفي الحجاز واليمن وغيرها من عبادة الطواغيت والأشجار والأحجار والقبور ما عمت به البلوى [٦١] .

قولهم: الأشاعرة ليسوا من أهل السنة:

من مشاهير المجددين في الإسلام (ص: ٨)، صالح الفوزان، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات .

لأن المراد بأهل السنة والجماعة حقا من كان على طريقة الرسول صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم وأصحابه وهم الفرقة الناجية وهذا الوصف لا ينطبق إلا على الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم واتبع طريقهم، والأشاعرة والماتريدية خالفوا الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة في كثير من المسائل الاعتقادية وأصول الدين فلم يستحقوا أن يلقبوا بأهل السنة والجماعة .

تكفير ابن عمر:

قال ابن تيمية: وقد اختلف العلماء في إتيان المشاهد فقال محمد بن وضاح: كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار التي بالمدينة، ما عدا قباء وأحدا. ودخل سفيان الثوري بيت المقدس وصلى فيه ولم يتبع تلك الآثار، ولا الصلاة فيها، فهؤلاء كرهوها مطلقا، لحديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا هذا، ولأن ذلك يشبه الصلاة عند المقابر، إذ هو ذريعة إلى اتخاذها أعيادا، وإلى التشبه بأهل الكتاب، ولأن ما فعله ابن عمر لم يوافقه عليه أحد من الصحابة، فلم ينقل عن الخلفاء الراشدين ولا غيرهم، من المهاجرين والأنصار، أنه كان يتحرى قصد الأمكنة التي نزلها النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم.... وتحري هذا ليس من سنة الخلفاء

---

[٦١] **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٢٠)، عبد الرحمن بن حسن، حفيد ابن عبد الوهاب.**

الراشدين، بل هو مما ابتدع، وقول الصحابي إذا خالفه نظيره، ليس بحجة، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصحابة؟

أيضا: فإن تحري الصلاة فيها ذريعة إلىٰ اتخاذها مساجد، والتشبه بأهل الكتاب مما نهينا عن التشبه بهم فيه، وذلك ذريعة إلىٰ الشرك بالله [٦٢] .

قلت: انظر كيف حكم ابن تيمية علىٰ عبد الله بن عمر الصحابي الجليل بالشرك لكونه كان يأتي الآثار النبوية ويصلي فيها، تبركاً بآثاره صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم ، وهل أخذت الأمة دينها إلا عن مثله؟! فلو كان ذلك شركاً أكان يرضى بذلك والده الخليفة الملهم، أو يرضى به عثمان وعلي رضي الله عنهم، لكنه استشهد بقول ابن وضاح سلفه في هذا المشرب، علىٰ تكفير صحابي، ليُشهد ابنُ تيمية علىٰ نفسه أنه علىٰ غير سيرة سلف الأمة من الصحابة، بل اتخذ ديناً لنفسه غير ما سار عليه المسلمون من أتباع المذاهب .

الصلح مع اليهود :

ابن باز رأس الوهابية يفتي بالصلح الدائم مع اليهود بلا قيد ولا شرط، انظر جريدة التلغراف العدد (٢٧٥٤) في (٢٣/ ١٢/ ١٩٩٤)، مجلة (منار الهدىٰ) رقم (٣٠/ ١١ ١٤١٥)هـ ....مما جعل شمعون بيريز يعلن تأييده للفتوىٰ داعياً الناس أن يحذوا حذوه .

فتوىٰ الألباني بوجوب هجرة الفلسطينيين:

مجلة الحرس الوطني، السنة (١٤)، العدد(١٣٤)، ربيع الآخر (١٤١٤)هـ، (تشرين ١/ ١٩٩٣)م :

أفتىٰ ناصر الألباني بوجوب هجرة أهل فلسطين، المقيمين بالأراضي المحتلة وترك ديارهم

---

[٦٢] **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٧٩) .**

ووطنهم لليهود، لأنهم يتعرضون للأذىٰ في دينهم وأعراضهم وأموالهم علىٰ يد إسرائيل، وأن الرسول هاجر من مكة وتركها للكفار .

وقد لاقت هذه الفتوىٰ الاعتراض من علماء الأمة، وردُّوا عليه بما يناسب ذلك، حتىٰ أن بعض الجامعات منعت طلبتها من استخدام كتبه كمراجع علمية .

والرد على هذه الفتوى: لو كان الأمر كما أفتىٰ به من أن فلسطين أصبحت دار كفر، فوجب علىٰ الفلسطينيين ترك وطنهم، ويهاجروا إلىٰ غيره من بلاد المسلمين، لكون فلسطين أصبحت تحت حكم اليهود، لوجب علىٰ كافة المسلمين في أرجاء الأرض الهجرة من أوطانهم، فقد مرت علىٰ المسلمين فترة زمنية استُعمرت فيها بلادهم، من المغرب الأقصىٰ إلىٰ الهند وباكستان شرقا، فأين يهاجر هؤلاء المئات من الملايين، فهل تكفي المدينة ومكة لهذا الكم الهائل من المسلمين؟ وهل من العقل والمنطق والشرع أن يترك المسلم وطنه لمن احتلها؟ أليس من المفروض عليه أن يحمل السلاح ويجاهد المحتل حتىٰ يحرر أرضه ممن احتلها، ويعود سيداً علىٰ أرضه؟ إن القول بهذه الفتوىٰ يوجب ترك الجهاد علىٰ المسلمين، وإلقاء السلاح في وجه العدو، وفي ذلك من المفاسد ما لا يتخيله عقل .

التعب يصيب الرب :

(سفر التكوين: ٢: ٢): وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا.

ندم الرب على إهلاك البشر:

ندم الرب علىٰ إهلاكه البشر بالطوفان، فوضع علامة حتىٰ يتذكر إذا غضب مرة أخرىٰ، وهو قوس قزح، جاء في سفر التكوين(٩:١٢):

وقال الله هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم، وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم الىٰ أجيال الدهر، وضعت قوسي في السحاب، فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض، فيكون متىٰ أنشر سحاباً علىٰ الأرض، وتظهر القوس في السحاب، أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم، وبين كل نفس حية في كل جسد، فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً لتُهلك كل ذي جسد، فمتىٰ كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية في كل جسد علىٰ الأرض، وقال الله لنوح: هذه علامة الميثاق الذي أنا أقمته .

حقد الرب على اليهود :

سفر الخروج (٣٢:١١):

وتضرع موسىٰ أمام الرب إلهه قائلاً: لماذا يا رب يحمىٰ غضبك علىٰ شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال، ويفنيهم عن وجه الأرض، ارجع عن حمو غضبك، واندم علىٰ الشر بشعبك، اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك، وقلت لهم: أُكـثِّـر نسلكم كنجوم السماء ، وأُعطي نسلكم كلَّ هذه الأرض الذي تكلمت عنها فيملكونها الىٰ الأبد، فندم الرب علىٰ الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه .

صورة الرب كصورة الإنسان:

سفر التكوين (٣٣:١١):

ويكلم الرب موسىٰ وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه .

إبراهيم يُطعم ربه :

وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه و نظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد الى الأرض، وقال: يا سيد، إن كنتَ قد وجدتَ نعمةً في عينيك فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة، فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم، ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم، فقالوا : هكذا نفعل كما تكلمت، فأسرع إبراهيم الى الخيمة الى سارة وقال: أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً سميذا اعجني واصنعي خبز ملة، ثم ركض إبراهيم الى البقر وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله، ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله، ووضعها قدامهم، وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة اكلوا ... وقالوا له: أين سارة امرأتك؟ فقال: ها هي في الخيمة، فقال: إني أرجع إليك نحو زمان الحياة، ويكون لسارة امرأتك ابنٌ .

قلت: هذا الذي أوردته التوراة المحرفة يصوِّر الإله الرب بصورة البشر، ويسير في الأرض برفقة الملائكة، ويزور نبيه إبراهيم، ويأكل عنده، ثم يهب له ولدا تكرمة له، بعد أن جاوز التسعين من عمره، وزوجته سارة قريبة من هذا السن .

وهذه القصة وردت في القرآن في أكثر من موضع، وأن الذي زار إبراهيم هم الملائكة الذين أمرهم الله بإهلاك قوم لوط، جاؤوه بصورة البشر، فقدَّم إليهم الطعام فلم يأكلوا، ثم أخبروه عن أنفسهم، وبما جاؤوا من أجله، وبشروه بأن الله سيرزقه غلاماً رغم كبر سنه، وهذه الآيات التي بشرته بذلك: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ

إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١].

مصارعة الرب مع يعقوب:

سفر التكوين (٣٢:٢٢):

ثم قام يعقوب في تلك الليلة، وأخذ امرأتيه وجاريتيه، وأولاده الأحد عشر، وعبر مخاضة يبوق [٦٣]، أخذهم وأجازهم الوادي، وأجاز ما كان له، فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتىٰ طلوع الفجر، و لما رأىٰ أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك ؟ فقال: يعقوب، فقال: لا يُدعىٰ اسمك في ما بعد يعقوب؛ بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك، فقال: لماذا تسال عن اسمي، و باركه هناك، فدعا يعقوب اسم المكان " فنيئيل " قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه، ونجيت نفسي، وأشرقت له الشمس .

المتمسلفين:

هذه نصوص من كتب الوهابية وأسلافهم تفيد أن الله عندهم جسم، وله حيز، ويحل في الأمكنة، كما هي عقيدة اليهود :

---

(٦٣) **المخاضة: المياة الخفيفة في النهر، التي يسهل اجتيازها، ويبوق: منطقة شرق نهر الأردن، وتدعى اليوم: "الزرقاء" شمال عمان العاصمة (٣٥) كم تقريباً، والماء المقصود هو نهر الزرقا، الذي يصب في نهر الأردن، وكانت تكثر حوله أشجار البلوط والدفلا، وبقيت هذه الأشجار إلى عهد قريب، حتى سرى الجفاف في النهر فخفت مياهه .**

قال ابن تيمية: فَصْلٌ: وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: الَّذِي نَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَعْتَقِدَهُ أَنْ يَنْفِيَ الْجِهَةَ عَنْ اللَّهِ وَالتَّحَيُّزَ. فَالْجَوَابُ مِنْ وُجُوهٍ. أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ وَمَعْنَاهُ الَّذِي أَرَادُوهُ لَيْسَ هُوَ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ عِنْدِهِ، وَلَا هُوَ مَأْثُورًا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، لَا خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ وَلَا غَيْرِهِ، وَلَا هُوَ أَيْضًا مَحْفُوظًا عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا أَصْلًا، إنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَيْسَ مِنْ دِينِ اللَّهِ، وَلَا مِنْ الْإِيمَانِ، وَلَا مِنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَنْ الْتَزَمَ اعْتِقَادَهُ فَقَدْ جَعَلَهُ مِنْ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ، وَذَلِكَ تَبْدِيلٌ لِلدِّينِ، كَمَا بَدَّلَ مَنْ بَدَّلَ مِنْ مُبْتَدِعَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَمُبْتَدِعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ دِينَ الْمُرْسَلِينَ [٦٤] .

وقال: فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق، فالله ليس داخلا في المخلوقات؛ أم تريد بالجهة ما وراء العالم، فلا ريب أن الله فوق العالم، بائن من المخلوقات. وكذلك يقال لمن قال: إن الله في جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العال، أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات. فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل [٦٥] .

وقال: وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَا فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ، مَا يَدُلُّ نَصًّا وَلَا اسْتِنْبَاطاً عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ الْمَخْلُوقَاتِ [٦٦].

وقال: والبارئ سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية ليست فوقية الرتبة، كما أن التقدم على الشيء قد يقال: إنه بمجرد الرتبة [٦٧] .

---

(٦٤) **الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٤٣):**

(٦٥) **التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع (ص: ٦٦).**

(٦٦) **الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٥٢) .**

(٦٧) **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٩٠) .**

قال ابن باز : وهو المرجع الأعلى للوهابية، ووافقه على ذلك ابن عثيمين، والألباني، تجد ذلك على موقع الأئمة الثلاثة، (١٠٠٧) تاريخ: (٢٢/ ٤/ ٢٠١٩)، تنبيهات هامة على ما كتبه الشيخ محمد علي الصابوني في صفات الله عز وجل:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد: فقد اطلعت على المقابلة التي أجرتها مجلة (المجتمع) مع فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني، ونُشرت في العدد رقم (٦١٣) وتاريخ (٧/ ٦/ ١٤٠٣) هـ، وعلى مقالاته الست المنشورة في أعداد المجتمع: رقم (٦٢٧) وتاريخ (١٧/ ٩/ ١٤٠٣) هـ، ورقم (٦٢٨) وتاريخ (٢٤/ ٩/ ١٤٠٣)هـ، ورقم (٦٢٩) وتاريخ (٩/ ١٠/ ١٤٠٣) هـ، ورقم (٦٣٠) وتاريخ (١٦/ ١٠/ ١٤٠٣)هـ، ورقم (٦٣١) وتاريخ (٢٣/ ١٠/ ١٤٠٣)هـ، ورقم (٦٤٦) وتاريخ (١٧/ ٢/ ١٤٠٤)هـ، وقد اشتملت على أخطاء نبه على بعضها صاحب الفضيلة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان في مقاله المنشور بمجلة الدعوة في عدد ١٥ رقم (٩٠٤) وتاريخ ٢٩/ ١٠/ ١٤٠٣ هـ، وفي مجلة المجتمع بعددها رقم (٦٤٦) وتاريخ ١٧/ ٢/ ١٤٠٤هـ، و(٦٥٠) في ٢٤/ ٢/ ١٤٠٤هـ وقد أجاد وأفاد وأحسن جزاه الله خيراً ونصر به

٩ ـ ثم ذكر الصابوني هداه الله، تنزيه الله سبحانه عن الجسم، والحدقة، والصماخ، واللسان، والحنجرة، وهذا ليس بمذهب أهل السنة، بل هو من أقوال أهل الكلام المذموم وتكلفهم، فإن أهل السنة لا ينفون عن الله إلا ما نفاه عن نفسه أو نفاه رسوله صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم، ولا يثبتون له إلا ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم ولم يرد في النصوص نفي هذه الأمور ولا إثباتها، فالواجب الكف عنها، وعدم التعرض لها لا بنفي ولا إثبات، ويغني عن ذلك قول

أهل السنة في إثبات صفات الله وأسمائه: أنه لا يشابه فيها خلقه، وأنه سبحانه لا ند له ولا كفو له [٦٨] .

الألباني يقول: إن الله على العرش:

(فائدة هامة): اعلم أن قوله في هذا الحديث: «فإن الله قِبَل وجهه»، وفي الحديث [الآخر] «... فإن الله عز وجل بين أيديكم في صلاتكم»، لا ينافي كونه تعالى على عرشه، فوق مخلوقاته [٦٩] .

النُّبوَّات :

وهي جملة العقائد التي يعتقدها المكلف في الأنبياء عليهم السلام، والذي يتصفح كتاب العهد القديم يجد عقيدة اليهود في الأنبياء بصورة تعكس صورة ما بداخلهم من الشر، فوصفوهم بأوصاف أبعد ما تكون عن الأخلاقيات :

اتهامهم لسيدنا نوح عليه السلام:

سفر التكوين (٩:٢٠): وابتدا نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسكر، وتعرى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجا، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما، ومشيا الى الوراء وسترا عورة أبيهما، ووجهاهما الى الوراء فلم

---

(٦٨) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٥١)، تحت عنوان: تنبيهات هامة، على ما كتبه الشيخ \ محمد علي الصابوني في صفات الله عز وجل .

(٦٩) موسوعة الألباني في العقيدة (٦/ ٥٠٦) .

يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان عبداً يكون لعبيد إخوته.

قلت: لا شك أن هذا هو تصور اليهود بشرف الجنس السامي، وأن غيرهم لم يخلق إلا لخدمتهم .

سيدنا لوط عليه السلام :

سفر التكوين(١٩ : ٣٠): وصعد لوط من صوغر[٧٠] وسكن في الجبل، وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو و ابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقي أبانا خمرا، ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها و لم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من

أبيهما، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه: " موآب " وهو أبو الموآبيين الى اليوم، والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه: " بن عمي " وهو أبو بني عمون الى اليوم .

قلت: هذه هي التربية الأخلاقية التي بنى عليها يهود سلوكهم، وهذا اعتقادهم برسل الله وأنبيائه، وهذه تربيتهم في أسرهم وعائلاتهم، فكيف يكون النشء الذي يتربى على عقيدة زنى المحارم؟؟

---

[٧٠] **صوغر: منطقة تقع شمال البتراء، وجنوب البحر الميت .**

إن سيدنا لوطاً عليه السلام لما أراد الله خسف قومه، أمره بالهجرة ومغادرة القرية قبل الفجر، وأن يأخذ أهله والمؤمنين من قومه، فلما صاروا بمنطقة غور الصافي جنوب البحر الميت الآن، وهو منطقة الخسف والعذاب ماتت ابنته الكبرىٰ، واسمها " زُغر" فدفنها بجانب عيم ماء هناك، وسميت العين فيما بعد باسمها، ثم بعد مسافة توفيت البنت الصغرىٰ، فدفنها، ولم يبق من بناته واحدة، وبعدها هاجر إلىٰ مكة، ومكث يعبد الله تعالىٰ في حرم الله حتىٰ أتاه اليقين، هكذا حكاه الأزرقي في تاريخ مكة .

سيدنا هارون عليه السلام :

سفر الخروج:(٣٢: ١) : ولما رأىٰ الشعب أن موسىٰ أبطا في النزول من الجبل اجتمع الشعب علىٰ هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسىٰ الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هأرون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم و بناتكم وأتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها الىٰ هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوَّره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر .

قلت: صرحت التوراة أن الرب المعبود الذي يحبه بنو إسرائيل ويعبدوه هو الذهب، وهو إلههم علىٰ مر الزمن، وقد ألصقوا فرية العجل هذه بسيدنا هارون، مع أن الذي سوىٰ العجل هو السامري، لكن فعلوا ذلك حتىٰ يضيفوا هالة القدسية علىٰ إلههم المزعوم "الذهب" .

سيدنا داود عليه السلام :

سفر صموئيل الثاني:(١١ : ٢): وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشىٰ علىٰ سطح بيت الملك، فرأىٰ من علىٰ السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد: أليست هذه " بثشبع بنت اليعام " امرأة أوريا الحثي؟ فأرسل داود

رسلاً وأخذها، فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت الى بيتها، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حبلى، فأرسل داود الى يوآب يقول: أرسل الي أوريا الحثي، فأرسل يوآب أوريا الى داود، فأتى أوريا اليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب... وحتى يخفي داود جريمته أرسل قائده إلى الحرب حتى يقتل .

وهكذا يصور لنا السفر السموَّ الأخلاقي للقائد، وهو ليس بنبي ولا رسول، وكيف صور أخلاقيات داود النبي الرسول .

سيدنا سليمان عليه السلام :

وفي سفر الملوك الأول يصور لنا السفر أن سليمان كان يحب النساء كثيرا، وأثرن عليه حتى انتهى به الأمر إلى الشرك ...

(١١: ١): وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثِّيات، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبع مئة من النساء السيدات، وثلاث مئة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتروث إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه، حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولمولك رجس بني عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن و يذبحن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين، وأوصاه في هذا الأمر أن لا

يتبع آلهة أخرىٰ، فلم يحفظ ما أوصىٰ به الرب، فقال الرب لسليمان: من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها ، فإني أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك ...

بعد هذه النصوص المقدسة عند اليهود نجد شخصيات الأنبياء والرسل المبعوثين إليهم بمعزل عن الأخلاق، بل أوصلوهم إلىٰ الشرك بالله، وأنهم تسببوا بمعاصيهم غضب الرب علىٰ بني إسرائيل .

ومثل هذا نجد عند أدعياء السلفية، فهم لا يقيمون وزناً لأنبياء الله تعالىٰ :

أبو الأعلىٰ المودودي، هندي الجنسية، وهابي المشرب، منحته الدولة الوهابية جائزة الملك فيصل لجهوده في خدمة الوهابية في الهند ، يصف الأنبياء بمثل ما وصفهم اليهود، دليل واحدية المشرب .

طعنه في الأنبياء عليهم السلام :

قال المودوي في نبي الله يوسف عليه السلام : إن هذه لم تكن مطالبة لمنصب وزير المالية فقط، بل إنها كانت مطالبة بالدكتاتورية، ونتيجة لذلك كان وضع سيدنا يوسف عليه السلام يشبه جداً وضع موسوليني في إيطاليا الآن [71].

وقال: إن سيدنا يونس عليه السلام كانت قد صدرت منه بعض التقصيرات في تبليغ الرسالة [72].

وقال عن نوح عليه السلام : إن سيدنا نوحاً عليه السلام أصبح مغلوباً أمام نزواته، وطغت عليه عاطفة الجاهلية [73] .

---

(71) كتاب: الشقيقان (ص:٢٠) ، المجلس العالمي لصيانة الإسلام، كراتشي، باكستان.

(72) المصدر السابق (ص:٢١) .

(73) المصدر نفسه (ص:٢٣) .

وقال في حق سيدنا رسول الله صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم :

" كان رسول الله صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم يظن خروج الدجال في عهده أو قريباً من عهده، ولكن مضت إلىٰ هذا الظن (١٣٥٠) سنة ، قروناً طويلة ولم يخرج الدجال ، فثبت أن ما ظنه صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم لم يكن صحيحاً. !! " [٧٤] .

وزاد: " وقد مضت ألف ... ولم يخرج الدجال ، فهذه هي الحقيقة " .المرجع السابق في طبعة سنة ١٣٦٢ هـ.

وقال في حق الأنبياء بشكل عام: وليس هذا فقط، بل إن الأنبياء أيضاً تعرضت لهم هجمات هذه النفس الشريرة [٧٥] .

أما ابن تيمية فهو المؤصل لهذه العقائد، ومن كلامه في حق الرسل: "وَالْوَاحِدُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ كَانَ اللهُ لا يُؤَاخِذُهُ بِالنِّسْيَانِ وَالْخَطَأِ بَلْ وَالرَّسُولُ أَيْضاً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يُؤَاخَذُ بِالنِّسْيَانِ وَالْخَطَأِ فِي غَيْرِ مَا يُبَلِّغُهُ عَنِ اللهِ عِنْدَ السَّلَفِ وَالأَئِمَّةِ وَجُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنَّ مَا يُبَلِّغُهُ عَنِ اللهِ لا يَجُوزُ أَنْ يَسْتَقِرَّ فِيهِ خَطَأٌ [٧٦] .

فهو بهذا التعبير يثبت العصمة للأنبياء في تبليغهم عن الله تعالىٰ، ولكن لازم كلامه أنه يجوز الخطأ في ذلك غير أنه يمنع الاستمرار فيه.

وكذلك مـا احتجوا به من أن الذنوب تنافي الكمال، أو أنها ممن عظمت عليه النعمة أقبح، أو أنهـا توجب التنفير أو نحـو ذلك من الحجج العقلية، فهـذا إنما يكون مـع البقاء علىٰ ذلك وعدم الرجوع، وإلا فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلىٰ أعظم مما كان عليه،

---

[٧٤] **كتابه رسائل ومسائل (ص: ٥٧) طبعة (١٣٥١) هـ:.**

[٧٥] **كتاب: تفهيمات (١/ ١٦١) .**

[٧٦] **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٢/ ٣٤) .**

كما قال بعض السلف: كان داود عليه السلام بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة، وقال آخر: لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه[٧٧].

ومن الوهابية القائلين بعدم العصمة عبد الجليل عيسى صاحب كتاب: اجتهاد الرسول، يقول (ص:٢٤): واحتجوا بأن الذنوب تنافي الكمال، وأنها توجب وأنها توجب التنفير ونحو هذا، ورُدَّ بأن هذا إنما يقع مع البقاء على ذلك، وإلا فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع صاحبها إلى أعظم مما كان عليه .

وقد حشى كتابه مسائل وأخطاء أحصاها على الأنبياء، نفتها الأمة عنهم، وأصرَّ على عدم عصمة الأنبياء من الذنب، ولكنه قال: إنهم معصومون من تأخير التوبة، ومن أخرها كفَّر الله عنه بمصيبة كما حصل مع يونس عليه السلام .

قال ابن باز :

" قد أجمع المسلمون قاطبة على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا سيما خاتمهم محمد صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم معصمون من الخطأ فيما يبلغونه عن الله عز وجل من أحكام، كما قال عز وجل: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ(٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ(٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ(٥)»، فنبينا محمد صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم معصوم في كل ما يبلغ عن الله من الشرائع قولاً وعملاً وتقريرا، هذا لا نزاع فيه بين أهل العلم، وقد ذهب جمهور أهل العلم أيضاً إلى أنه معصوم من المعاصي الكبائر دون الصغائر، وقد تقع منه الصغيرة لكن لا يقر عليها، بل ينبه عليها فيتركها [٧٨] .

---

[٧٧] مجموع الفتاوى (٢: ٢٨٣) .

[٧٨] مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٢٩٠) .

قلت: الثالوث العصري: (اليهود، العلمانيون، الوهابية) يعملون سوياً للقضاء على أصل الدين ومنبعه؛ وهم الأنبياء الذين بلَّغوا رسالات الله إلى البشر، فإذا وضعوا الشك في نزاهة المبلغ عن الله، فلا شك أن الشك سيقع فيما يبلغونه عن الله، وبالتالي فقد ألغينا أقوالهم للشك في صدورها منهم .

فالوهابية: أرسلوا محدثهم الألباني ليغير على كتب السنة، وقسمها إلى ضعيف وصحيح، فقبل الصحيح منها ورفض الضعيف، بما في ذلك صحيح البخاري وصحيح مسلم، حيث أغار عليهما وضعف (١٥٠) حديثا .

والعلمانية: شككوا في كتب السنة، وشككوا في كثير من الأحاديث، وتكلموا على وقائع حصلت في السيرة النبوية، بما لا يناسب مقام النبوة ، وغير ذلك مما نراه ونسمع به في مواقع الإنترنت .

واليهود من وراء ذلك، فهم يجنِّدون العملاء الذي دربوهم في الجامعة العبرية، ثم يرسلونهم إلى الديار الإسلامية، لينفذوا البرامج التي أوكلت إليهم .

الباب الثاني

ملفات الحنابلة السوداء

الفصل الأول: جرائم غلاة الحنابلة عبر التاريخ .

الفصل الثاني: غلاة الحنابلة وسلطان العلماء .

الفصل الثالث: جرائم الوهابية داخل الجزيرة .

الفصل الرابع: جرائم الوهابية خارج الجزيرة .

الفصل الأول

جرائم غلاة الحنابلة عبر التاريخ

من تصفح صفحات التاريخ يجد شريحة في مجتمعات الإسلام امتازت بالفوضى، والبطش بالخصم، والعنف والجفاف في أسلوب الدعوة، يتخيلون أنفسهم أوصياء على الإسلام، لا يظهرون إلا حيث انتشر الجهل، وأكثر أتباعهم العوام من المسلمين، الذين يرددون ما يسمعون دون تفكير ولا علم، التصقوا بالإمام أحمد بن حنبل، فسموهم الناس بالحنابلة، تسببوا بشين مذهب هذا الإمام الجليل، وشوهوا صفحات التاريخ لما اقترفته أيديهم من قتل وأذية، وقذفته ألسنتهم بالبهتان لعلماء الأمة وأوليائها، وسأعرض بعض ما جرى على أيديهم في بغداد وحدها، ثم أتبعها بحادثة واحدة حصلت في مصر، حتى لا أطيل البحث، ليرى القارئ أن حنابلة اليوم هم أنفسهم حنابلة الأمس، وإن اختلفت الصورة لكن الفعل واحد، والسلوك واحد، بل ربما كان حنابلة اليوم أشد عنفاً، وأكثر بطشاً لعدم وجود حكومة رادعة لهم .

محمد بن جرير الطبري:

قال عنه البغدادي: كَانَ أحد أئمة العلماء: يُحكم بقوله، ويُرجع لمعرفته وفضله، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وله في ذلك الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وله كتاب في التفسير لم يصنِّف أحد مثله، وكتاب سماه: تهذيب الآثار، لم أر سواه في

معناه إلا أنه لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه [٧٩]

قال ابن الأثير: وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ (٣١٠) هـ تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ، صَاحِبُ التَّارِيخِ، بِبَغْدَاد، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ (٢٢٤)هـ، وَدُفِنَ لَيْلا بِدَارِهِ، لِأَنَّ الْعَامَّةَ اجْتَمَعَتْ، وَمَنَعَتْ مِنْ دَفْنِهِ نَهَارا، وَادَّعَوْا عَلَيْهِ الرَّفْضَ، ثُمَّ ادَّعَوْا عَلَيْهِ الْإِلْحَادَ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ سُئِلَ هَؤُلَاءِ عَنْ مَعْنَى الرَّفْضِ وَالْإِلْحَادِ مَا عَرَفُوهُ، وَلَا فَهِمُوهُ، هَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ مِسْكَوَيْهِ صَاحِبُ " تَجَارِبِ الْأُمَمِ "، وَحُوشِيَ ذَلِكَ الْإِمَامُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ عَنْ تَعَصُّبِ الْعَامَّةِ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا بَعْضُ الْحَنَابِلَةِ تَعَصَّبُوا عَلَيْهِ، وَوَقَعُوا فِيهِ، فَتَبِعَهُمْ غَيْرُهُمْ، وَلِذَلِكَ سَبَبٌ، وَهُوَ أَنَّ الطَّبَرِيَّ جَمَعَ كِتَابا ذَكَرَ فِيهِ اخْتِلَافَ الْفُقَهَاءِ، لَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: لَمْ يَكُنْ فَقِيها، وَإِنَّمَا كَانَ مُحَدِّثا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْحَنَابِلَةِ، وَكَانُوا لَا يُحْصُونَ كَثْرَة بِبَغْدَاذَ، فَشَغِبُوا عَلَيْهِ، وَقَالُوا مَا أَرَادُوا

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ ... فَالنَّاسُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ

كَضَرَائِرِ الْحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا ... حَسَداً وَبَغْيا إِنَّهُ لَدَمِيمُ

---

[٧٩] تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت،الطبعة الأولى، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م) ، (٢/ ٥٤٨)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٢/ ١٩٢)، طبقات الفقهاء الشافعية (١/ ١٠٨)، سير أعلام النبلاء ط الحديث (١١/ ١٦٦)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص: ١٥٠)، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ١٠٧)، لسان الميزان (٥/ ١٠١)، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (٨/ ٢١٦)، طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ١١٢).

وَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ: أَوَّلُ مَا سَأَلَنِي الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ قَالَ لِي: كَتَبْتَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ؟ قلت: لَا قَالَ: لِمَ؟ قلت: لَا يَظْهَرُ، وَكَانَتِ الْحَنَابِلَةُ تَمْنَعُ مِنَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ. [٨٠] .

قال ياقوت الحموي [٨١]: فلما قدم "الطبري" إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها تعصب عليه أبو عبد الله الجصاص، وجعفر بن عرفة والبياضي، وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع يوم الجمعة، وعن حديث الجلوس على العرش، فقال أبو جعفر: أما أحمد بن حنبل فلا يعدّ خلافه، فقالوا له: فقد ذكره العلماء في الاختلاف، فقال: ما رأيته روي عنه، ولا رأيت له أصحاباً يعوّل عليهم، وأما حديث الجلوس على العرش فمحال ثم أنشد:

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس

فلما سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث وثبوا ورموه بمحابرهم، وقيل كانت ألوفا، فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره، فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتلّ العظيم، وركب نازوك صاحب الشرطة في عشرات ألوف من الجند يمنع عنه العامة، ووقف على بابه يوماً إلى الليل وأمر برفع الحجارة عنه، وكان قد كتب على بابه:

---

[٨٠] **الكامل في التاريخ (٦/ ٦٧٨) .**

[٨١] **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٦/ ٢٤٥٠) .**

قلت: هذا هو الإرهاب الفكري والدموي الذي عليه الحنابلة، لا يقبلون بالرأي الآخر، ومن خالفهم في ذلك آذوه وربما قتلوه، وفعلهم هذا مع الإمام الطبري، بقذف بيته بالحجارة حتى صارت الحجارة أمام بيته كالتل العظيم، إنما هو فعل صبياني، لا يقدم عليه إلا سفيه، وخالفوا بذلك قول النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم : «لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ» (٨٢) .

فتنة الجلوس على العرش:

يعتقد الحنابلة أن المقام المحمود الذي وعد اللهُ نبيَّه محمداً صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم في قوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُوداً ﴾ [الإسراء:٧٩]، أن يُجلسه بجانبه علىٰ العرش، أي أن الله تعالىٰ بنظر الحنابلة جسم علىٰ صورة الإنسان، وسيُجلس نبيَّه محمداً صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم علىٰ العرش عن يمينه، تكريماً له، وَفِيهَا وَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بِبَغْدَاد؛ بَيْنَ أَصْحَابِ أَبِي بَكْرٍ الْمَرْوَزِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَامَّةِ، وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْجُنْدِ فِيهَا، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَصْحَابَ الْمَرْوَزِيِّ قَالُوا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ [الإسراء:٧٩]، هُوَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُقْعِدُ النَّبِيَّ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّم مَعَهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَقَالَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَىٰ: إِنَّمَا هُوَ الشَّفَاعَةُ، فَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَاقْتَتَلُوا، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَىٰ كَثِيرَةٌ (٨٣) .

---

(٨٢) المسند للشاشي (٣/ ١٨٤)، مكارم الأخلاق للطبراني (ص: ٣٦٧)، التدوين في أخبار قزوين (٤/ ١٧٦) .

(٨٣) الكامل في التاريخ (٦/ ٧٤٦) .

قلت: إن القول بإقعاد النبي صلَّىٰ اللهُ علَيهِ وسلَّم علىٰ العرش هي عقيدة نصرانية تسربت إلىٰ الإسلام من أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام، فبقيت عندهم مخلّفات من دينهم القديم، فنشروها بين المسلمين، فتلقفها أصحاب البدع، واعتقدوها وآمنوا بها علىٰ أنها حق من عند الله تعالىٰ.

جاء في إنجيل مرقس (١٦ : ١٩): ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع الىٰ السماء وجلس عن يمين الله . أي أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدما أراد اليهود قتله رفعته الملائكة إلىٰ العرش وجلس عن يمين الله تعالىٰ .

هكذا يعتقد الحنابلة، وهكذا يتبنون عقائد أهل الكتاب، ويدافعون عنها، ويؤذون العلماء بسبب عدم اعتقادهم هذه العقيدة التجسيمية الإنجيلية المحرفة .

فِتْنَةِ الْحِسْبَةَ:

وأقصد بالحسبة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، احتساباً لله تعالىٰ، وهي وظيفة العلماء العاملين، الذي يطبقون ما يأمرون الناس به حتىٰ يتبعهم الناس، ومن شروطها:
اللطفف ولين الجانب لمن يأمره أو ينهاه، وإن كان سراً كان أحسن لعدم التشهير بالمسلمين، وأما تغيير المنكر باليد فهو من جانب ولي أمر المسلمين أو من ينوب عنه، لكن الحنابلة تجاوزوا كل هذا، وأرادوا تغيير المنكرات بأيديهم باستعمال البطش والقوة، فقابلهم الناس بردة فعل عنيفة تسببت بحدوث فتن وقتل وجراحة .

قال ابن الأثير: وَفِيهَا (سنة: ٣٢٣)هـ عَظُمَ أَمْرُ الْحَنَابِلَةِ، وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ، وَصَارُوا يَكْبِسُونَ مِنْ دُورِ الْقُوَّادِ وَالْعَامَّةِ، وَإِنْ وَجَدُوا نَبِيذاً أَرَاقُوهُ، وَإِنْ وَجَدُوا مُغَنِّيَةً ضَرَبُوهَا وَكَسَرُوا آلَةَ الْغِنَاءِ، وَاعْتَرَضُوا فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَمَشْيِ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فَإِذَا رَأَوْا ذَلِكَ سَأَلُوهُ

عَنِ الَّذِي مَعَهُ مَنْ هُوَ، فَأَخْبَرَهُمْ، وَإِلَّا ضَرَبُوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى صَاحِبِ الشُّرْطَةِ، وَشَهِدُوا عَلَيْهِ بِالْفَاحِشَةِ، فَأَرْهَجُوا بَغْدَاد.

فَرَكِبَ بَدْرٌ الْخَرْشَنِيُّ، وَهُوَ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ، عَاشِرَ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ وَنَادَىٰ فِي جَانِبَيْ بَغْدَاد، فِي أَصْحَابِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَرْبَهَارِيِّ الْحَنَابِلَةِ، أَلَا يَجْتَمِعُ مِنْهُمُ اثْنَانِ وَلَا يَتَنَاظَرُوا فِي مَذْهَبِهِمْ، وَلَا يُصَلِّي مِنْهُمْ إِمَامٌ إِلَّا إِذَا جَهَرَ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءَيْنِ، فَلَمْ يُفِدْ فِيهِمْ، وَزَادَ شَرُّهُمْ وَفِتْنَتُهُمْ، وَاسْتَظْهَرُوا بِالْعُمْيَانِ الَّذِينَ كَانُوا يَأْوُونَ الْمَسَاجِدَ، وَكَانُوا إِذَا مَرَّ بِهِمْ شَافِعِيُّ الْمَذْهَبِ أَغْرَوْا بِهِ الْعُمْيَانَ، فَيَضْرِبُونَهُ بِعِصِيِّهِمْ، حَتَّىٰ يَكَادَ يَمُوتُ .

فَخَرَجَ تَوْقِيعُ الرَّاضِي بِمَا يُقْرَأُ عَلَىٰ الْحَنَابِلَةِ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ فِعْلَهُمْ، وَيُوَبِّخُهُمْ بِاعْتِقَادِ التَّشْبِيهِ وَغَيْرِهِ، فَمِنْهُ تَارَة أَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ صُورَةَ وُجُوهِكُمُ الْقَبِيحَةِ السَّمِجَةِ عَلَىٰ مِثَالِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهَيْئَتكُمُ الرَّذْلَةِ عَلَىٰ هَيْئَتِهِ، وَتَذْكُرُونَ الْكَفَّ وَالْأَصَابِعَ وَالرِّجْلَيْنِ وَالنَّعْلَيْنِ الْمُذَهَّبَيْنِ، وَالشَّعْرَ الْقَطَطِ، وَالصُّعُودَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَالنُّزُولَ إِلَىٰ الدُّنْيَا، تَبَارَكَ اللهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ عُلُوّا كَبِيرا، ثُمَّ طَعْنُكُمْ عَلَىٰ خِيَارِ الْأَئِمَّةِ، وَنِسْبَتُكُمْ شِيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّم إِلَىٰ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، ثُمَّ اسْتِدْعَاؤُكُمُ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ الدِّينِ بِالْبِدَعِ الظَّاهِرَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْفَاجِرَةِ الَّتِي لَا يَشْهَدُ بِهَا الْقُرْآنُ، وَإِنْكَارُكُمْ زِيَارَةَ قُبُورِ الْأَئِمَّةِ، وَتَشْنِيعِكُمْ عَلَىٰ زُوَّارِهَا بِالِابْتِدَاعِ ، وَأَنْتُمْ مَعَ ذَلِكَ تَجْتَمِعُونَ عَلَىٰ زِيَارَةِ قَبْرِ رَجُلٍ مِنَ الْعَوَامِّ لَيْسَ بِذِي شَرَفٍ وَلَا نَسَبٍ، وَلَا سَبَبٍ بِرَسُولِ اللهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّم وَتَأْمُرُونَ بِزِيَارَتِهِ، وَتَدَّعُونَ لَهُ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، فَلَعَنَ اللهُ شَيْطَانا زَيَّنَ لَكُمْ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ، وَمَا أَغْوَاهُ.

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً جَهْداً إِلَيْهِ يَلْزَمُهُ الْوَفَاءُ بِهِ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا عَنْ مَذْمُومِ مَذْهَبِكُمْ وَمُعْوَجِّ طَرِيقَتِكُمْ لَيُوسِعَنَّكُمْ ضَرْباً وَتَشْرِيداً، وَقَتْلاً وَتَبْدِيداً، وَلَيَسْتَعْمِلَنَّ السَّيْفَ فِي رِقَابِكُمْ، وَالنَّارَ فِي مَنَازِلِكُمْ وَمَحَالِّكُمْ.

فتنة الجهر بالبسملة:

البسملة ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من سورة الفاتحة، بل آية من كل سورة في القرآن إلا سورة التوبة، وقراءتها في الصلاة واجبة عند الشافعية، لا تصح الصلاة إلا بها، فإن جهر الإمام في القراءة فيجهر بالبسملة لكونها من الفاتحة، وإن أسر بالقراءة أسر بالبسملة، وعند الحنابلة لا يجهرون بالبسملة، ويرون الجهر بها جريمة لا تغتفر، فأرادوا تغيير هذا المنكر بنظرهم، فمنعوا الأئمة في بغداد من الجهر بالبسملة بالقوة .

فِي هَذِهِ السَّنَةِ أي (٤٤٧)هـ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ بِبَغْدَاد، وَمُقَدَّمُ الْحَنَابِلَةِ أَبُو يَعْلَىٰ بْنُ الْفَرَّاءِ، وَابْنُ التَّمِيمِيِّ، وَتَبِعَهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ الْجَمُّ الْغَفِيرُ، وَأَنْكَرُوا الْجَهْرَ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَمَنَعُوا مِنَ التَّرْجِيعِ فِي الْأَذَانِ، وَالْقُنُوتِ فِي الْفَجْرِ، وَوَصَلُوا إِلَىٰ دِيوَانِ الْخَلِيفَةِ، وَلَمْ يَنْفَصِلْ حَالٌ، وَأَتَىٰ الْحَنَابِلَةُ إِلَىٰ مَسْجِدٍ بِبَابِ الشَّعِيرِ، فَنَهَوْا إِمَامَهُ عَنِ الْجَهْرِ بِالْبَسْمَلَةِ، فَأَخْرَجَ مُصْحَفاً وَقَالَ: أَزِيلُوهَا مِنَ الْمُصْحَفِ حَتَّىٰ لَا أَتْلُوهَا [٨٤].

قلت: إن الجهر بالقراءة هيئة من هيئات الصلاة، فمن جهر فله ذلك، ومن أسرَّ فله ذلك، والبسملة هي الآية الأولىٰ من الفاتحة، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]، لا تجوز الصلاة لمن تركها لقوله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وسلَّم : «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»، فالذي يجهر بقراءة الفاتحة يجهر بالبسملة لأنها أول آية فيها، والذي يُسر بالفاتحة يُسر بالبسملة، وعلىٰ كل الأحوال فالمسألة فرعية من فرعيات الفقه التي اختلف فيها العلماء، لا نلزم عالماً بقول عالمٍ آخر، ولا نُلزم العامة بالتزام مذهبٍ معيَّن، أو تقليد مجتهد بعينه،

---

(٨٤) **الكامل في التاريخ (٨/ ١٢٩)** .

فاختلاف الأئمة هي رحمة بالأمة، لكن الحنابلة لا يريدون استقراراً في المجتمع، بل يريدون زرع بذور الشر والفتن، لا يعرفون من الدين غير هذا .

تعرض الحنابلة لابن القشيري:

قال ابن الأثير: فِي هَذِهِ السَّنَةِ (٤٦٩)هـ وَرَدَ بَغْدَاد أَبُو نَصْرِ ابْنُ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ حَاجّاً، وَجَلَسَ فِي الْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ يَعِظُ النَّاسَ، وَفِي رِبَاطِ شَيْخِ الشُّيُوخِ، وَجَرَىٰ لَهُ مَعَ الْحَنَابِلَةِ فِتَنٌ، لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَىٰ مَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ وَنَصَرَهُ [٨٥] وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ وَالْمُتَعَصِّبُونَ لَهُ، وَقَصَدَ خُصُومُهُ مِنَ الْحَنَابِلَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ، سُوقَ الْمَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ وَقَتَلُوا جَمَاعَة، وَكَانَ مِنَ الْمُتَعَصِّبِينَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ، وَشَيْخُ الشُّيُوخِ، وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَعْيَانِ، وَجَرَتْ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ، فلما سمع به شيخ الحنابلة أبو جعفر أنكر عليه فعلته، ودخل الطرفان في مصادمات عنيفة، قُتل فيها نحو عشرين شخصاً من الجانبين، وجُرح آخرون، ثم توقفت الفتنة لما مالت الكفة لصالح الحنابلة، وفي نفس العام وقعت الفتنة الثانية ببغداد، حينما أقدم فقيه أشعري على تكفير الحنابلة، فتصدوا له ورموه بالحجارة، فهرب ولجأ إلى أحد أسواق بغداد واستغاث بأهله، فأغاثوه واندلع قتال بين الطرفين، وعم النهب واشتد القتال، ولم تتوقف المواجهات إلّا فرآهم القضاة والشهود، وكتبوا محضرا ضمّنوه ما جرىٰ، وسجله المؤرخون [٨٦].

قلت: أبو نصر هو ابن الأستاذ عبد الكريم بن هوازن القشيري صاحب الرسالة، والتفسير وغيرهما من المؤلفات، له ترجمة جميلة في كتب الرجال، قال عنه تاج الدين السبكي: الإِمَام

---

(٨٥) **مذهب الأشعري قائم على تنزيه الله تعالى عن الجسم والصورة، والحركة والتحيز، وعن كل وصف من أوصاف المخلوقين، استناداً لقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير} [الشورى: ١١] .**

(٨٦) **الكامل في التاريخ (٨/ ٢٦١)، تاريخ الخلفاء (ص: ٣٠٢)، تاريخ الإسلام ت تدمري (٣١/ ٣٤) .**

الْعلم بَحر مغدق زخار، وَحبر هُوَ فِي زَمَانه رَأس الْأَحْبَار إِذا قيل كَعْب لأحبار، وَهمَّام مقدم وَإِمَام تقتدي بِهِ الهداة وتأتم، نما من تِلْكَ الْأُصُول الطاهرة غصنه المورق، عَليُّ الأنجم الزاهرة بدره الْمشرق، ورع يأنف أَن يعد غير دَار السَّلَام دَارا، ويستقل الجوزاء إِذا هُوَ جاوزها أَن يتَّخذ فِيهَا قرارا، مجل مَا ادلهمَّ ليل المشكلات وأمسى، ومصل يسمع النَّاس لكَلَامه فَلَا تسمع لَهُم إِلَّا همسا، تلْتَقط الدُّرَر من كلِمه، ويتناثر الْجَوْهَر من حكمه ويؤوب المذنب عِنْد وعظه، وَيَتُوب العَاصِي بِمُجَرَّد سَماع لَفظه، ينطبع فِي الْقلب من كَلِمَاته صُورَة، وَيحدث للأنفس الزكية مِنْهُ عظات إِذا مدها لم تكن على أهل الطَّاعَة مَقْصُورَة، كم من فَاسق تَابَ فِي مَجْلِسه وَدخل فِي الطَّاعَة، وَكم من كَافِر آب إِلَى الْحق سَاعَة وعظه وآمن فِي السَّاعَة، بِمن بعث بَين يَدي السَّاعَة صلى الله عَلَيهِ وسلَّم لَو اسْتمع لَهُ الصخر لانفلق، وَلَو فهم كَلَامه الْوَحْش لاستحسنه وَقَالَ صدق، يصدع الْقلب القاسي خطابُه، ويكاد يجمع عِظَام ذَوي الْغَفْلَة النخرة عتابه، ويشتت شَمل الشَّيَاطِين مَا يَقُول، ويفتت الأكباد مَا يجمعه من الْحق المقبول .

وقال عنه الذهبي : الشَّيْخُ الإِمَامُ، الْمُفَسِّرُ العَلاَّمَة، أَبُو نَصْرٍ عَبْد الرحيم بن الإِمَامِ شَيْخِ الصُّوْفِيَّةِ أَبِي القَاسِمِ عَبدِ الكَرِيْمِ بن هوزان القُشَيْرِيّ، النَّيْسَابُوْرِيّ، النَّحْوِيّ، الْمُتَكَلِّم، وَهُوَ الوَلَدُ الرَّابع مِنْ أَوْلاَد الشَّيْخ .

اعْتَنَى بِهِ أَبُوْهُ، وَأَسْمَعَهُ، وَأَقرَأَه حَتَّى بَرَعَ فِي العَرَبِيَّة وَالنَّظم وَالنَّثر وَالتَّأْوِيْل، وَكَتَبَ الكَثِيْرَ بِأَسرعِ خطّ، وَكَانَ أَحَدَ الأذكياء، لازم إمام الحَرَمَيْنِ، وَحصل طرِيقَة الْمَذْهَب وَالخلاَف، وَسَاد، وَعَظُمَ قَدْرُهُ، وَاشْتُهِرَ ذِكْرُهُ[87] .

ورغم هذه الترجمة الزكية لهذا العالم الكبير، لم يأبه الحنابلة لهذه الفضائل كلها، بل رموا بذلك

---

[87] سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٤/ ٣٢١) .

عُرض الحائط، وتعرضوا لأبي نصر بما حكاه كتّاب التاريخ من الأذىٰ والفحش من القول، والسفه الذي نُجلُّ علماءنا أن يتعرضوا لمثله، مانعين له ولأمثاله من الكلام، والجهر بما يمليه عليه العلم من عدم كتمانه، وتعليمه لمن أراده، ولأن هذه العقائد تخالف عقيدة هؤلاء الحنابلة، أرادوا أن يكمموا فاه ولو بالقوة، وحدث لذلك شجار وعراك من أصحاب مذهب الأشعري وهؤلاء الرعاع، سقط فيه قتلىٰ، وسالت دماء بريئة زكية .

ولم يمض سنة علىٰ انطفاء الفتنة حتىٰ اشتعلت مرة ثانية وأدت إلىٰ حرب بين الطرفين كان ضحيتها عشرين قتيلا .

يقول ابن كثير وهو يتحدث عن حوادث سنة (٤٧٠هـ): وفي شوال منها وقعت فتنة بين الحنابلة وبين فقهاء النظامية ، وحمىٰ لكل من الفريقين طائفة من العوام ، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلا وجرح آخرون ، ثم سكنت الفتنة.

نص ما ذكره الأشاعرة ضد الحنابلة [88] :

ومن الوثائق المهمة وثيقة صدرت عن أبي نصر القشيري ووقع عليه جماعة من علماء الأشاعرة ضد الحنابلة ، ومما جاء فيها كما نقل الحافظ أبي محمد القاسم ابن الحافظ ابن عساكر في تبيين كذب المفتري حيث ذكره إستدراكا لما لم يذكره أبوه :

بِسم اللهَّ الرَّحْمَن الرَّحِيم، يشْهد من ثَبت اسْمه وَنسبه، وَصَحَّ نهجه ومذهبه، واختُبر دينه وأمانته من الْأَئِمَّة الْفُقَهَاء، والأماثل الْعلمَاء، وَأهل الْقُرْآن والمعدلين الْأَعْيَان، وَكَتَبُوا خطوطهم الْمَعْرُوفَة بعباراتهم المألوفة، مسارعين إِلَىٰ أَدَاء الْأَمَانَة، وتوخوا فِي ذَلِك مَا تحظره الدّيانَة، مَخَافَة قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾، إِن جمَاعَة من الحشوية والأوباش

---

[88] تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري (ص: ٣١٠)

الرعاع، المتوسمين بالحنبلية، أظهرُوا بِبَغْدَادَ من الْبدع الفظيعة، والمخازي الشنيعة مالم يتسمح بِهِ ملحد فضلا عَن موحد، وَلَا تجوز بِهِ قَادِح فِي أصل الشَّرِيعَة وَلَا معطل، ونسبوا كل من ينزه الْبَارِي تَعَالَىٰ وَجل عَن النقائص والآفات، وينفىٰ عَنهُ الْحُدُوث والتشبيهات، ويقدسه عَن الْحُلُول والزوال، ويعظمه عَن التَّغَيُّر من حَال إِلَىٰ حَال، وَعَن حُلُوله فِي الْحَوَادِث وحدوث الْحَوَادِث، فِيهِ إِلَىٰ الْكفْر والطغيان ومنَافاة أهل الْحق وَالْإِيمَان، وتنَاهوا فِي قذف الْأَئِمَّة الماضين وثلب أهل الْحق وعصابة الدّين، ولعنهم فِي الْجَوَامِع والمشاهد والمحافل والمساجد، والأسواق والطرقات وَالْخلْوَة وَالْجَمَاعَات، ثمَّ غرهم الطمع والإهمال ومدهم فِي طغيانهم الغي والضلال، إِلَىٰ الطعْن فِيمَن يعتضد بِهِ أَئِمَّة الْهدىٰ وَهُوَ للشريعة العروة الوثقىٰ، وَجعلُوا أفعاله الدِّينِيَّة معاصي دنية، وترقوا من ذَلِك إِلَىٰ الْقدح فِي الشَّافِعِي رَحْمَة الله عَلَيْهِ وَأَصْحَابه، وَاتفقَ عود الشَّيْخ الإِمَام الأوحد أَبِي نصر ابْن الْأُسْتَاذ الإِمَام زين الْإِسْلَام أبي الْقسم الْقشيرِي رَحْمَة اللهَّ عَلَيْهِ من مَكَّة حرسها اللهَّ، فَدَعَا النَّاس إِلَىٰ التَّوْحِيد وَقدس الْبَارِي عَن الْحَوَادِث والتحديد، فَاسْتَجَاب لَهُ أهل التَّحْقِيق من الصُّدُور الْأَفَاضِل السَّادة الأماثل، وتمادت الحشوية فِي ضلالتها والإصرار علىٰ جهالتها، وَأَبُو إِلَّا التَّصْرِيح بِأَن المعبود ذُو قدم وأضراس ولهوات وأنامل، وَأَنه ينزل بِذَاتِهِ ويتردد علىٰ حمَار فِي صُورَة شَاب أَمْرَد بِشعر قطط، وَعَلِيهِ تَاج يلمع وَفِي رجلَيْهِ نَعْلَانِ من ذهب، وَحفظ ذَلِك عَنْهُم وعللوه، ودونوه فِي كتبهمْ وَإِلَىٰ الْعَوام ألقوه، وَأَن هَذِهِ الْأَخْبَار لَا تَأْوِيل لَهَا، وانها تجرىٰ علىٰ ظواهرها، وتعتقد كَمَا ورد لَفظهَا وانه تَعَالَىٰ يتَكَلَّم بِصَوْت كالرعد كصهيل الْخَيل، وينقمون علىٰ أهل الْحق لقَولهم إِن اللهَّ تَعَالَىٰ مَوْصُوف بِصِفَات الْجلَال، منعوت بِالْعلمِ وَالْقُدْرَة والسمع وَالْبَصَر والحياة والإرادة وَالْكَلَام، وهَذِهِ الصِّفَات قديمَة وانه يتعالىٰ عَن قبُول الْحَوَادِث، وَلَا يجوز تَشْبِيه ذَاته بِذَات المخلوقين، وَلَا تَشْبِيه كَلَامه بكلام المخلوقين، وَمن الْمَشْهُور الْمَعْلُوم أَن الْأَئِمَّة الْفُقَهَاء علىٰ اخْتِلَاف مذاهبهم فِي الْفُرُوع، كَانُوا يصرحون بِهَذَا

الاِعْتِقَاد، ويدرِّسونه ظَاهراً مكشوفاً لأصحابهم وَمن هَاجر من الْبِلَاد إِلَيْهِمـ وَلم يتجاسر أحد علىٰ إِنْكَاره، وَلَا تجوز متجوز بِالرَّدِّ عَلَيْهِم دون الْقدح والطعن فيهم، وَإِن هَذِهِ عقيدة أَصْحَاب الشَّافِعِي رَحْمَة اللهَّ عَلَيْهِ، يدينون اللهَّ تَعَالَىٰ بهَا ويلقونه باعتقادها، ويبرؤون إِلَيْهِ من سواهَا من غير شكّ وَلَا انحراف عَنْهَا، وَمَا لهَذِهِ الْعِصَابَة مُسْتَند وَلَا للحق مغيث يعْتَمد، إِلَّا اللهَّ تَعَالَىٰ ...

صُورَة الخطوط:

الْأَمر علىٰ مَا ذكر فِي هَذَا الْمحْضر من حَال الشَّيْخ الإِمَام الأوحد: أَبِي نصر عبد الرَّحِيم بن عَبْدِ الْكَرِيم الْقشيرِي أَكثر اللهَّ فِي أَئِمَّة الدّين مثله، من عقد الْمجَالِس وَذكر الله عز وجل بِمَا يَلِيق بِهِ من توحيده وَصِفَاته، وَنفىٰ التَّشْبِيه عَنهُ وقمع المبتدعة من المجسمة والقدرية وَغَيرهم، وَلم أسمع مِنْهُ غير مَذْهَب أهل الْحق من أهل السّنة وَالْجَمَاعَة، وَبِه أدين الله عزوجل وأياه أعتقد، وَهُوَ الَّذِي أدْركْت أَئِمَّة أصحابْنَا عَلَيْهِ، واهتدىٰ بِهِ خلق كثير من المجسمة، وصاروا كلهم علىٰ مَذْهَب أهل الْحق، وَلم يبْق من المبتدعة إِلَّا نفر يسير، فحملهم الْحَسَد والغيظ علىٰ سبِّه وَسَبِّ الشَّافِعِي، وأئمة أَصْحَابه ونصار مذْهبه،،،

وَكتب إِبْرَاهِيم بن عَليّ الفيروزأباذي

وَكتب الْحُسَيْن بن مُحَمَّد الطَّبَرِيّ

وَكتب عبيد اللهَّ بن سَلامَة الْكَرْخِي

وَكتب مُحَمَّد بن أَحْمَدَ الشَّاشِي

وَكتب سعد اللهَّ بن مُحَمَّد الْخَاطِب

وَكتب الْحُسَيْن ابْن أَحْمَدَ الْبَغْدَادِيّ .

تكفير الحنابلة للمسلمين :

من الأمور التي يظهر منها حِدَّة الخلاف بين الحنابلة وسائر المسلمين، أنه كان في الري[89] يُمنع غير الحنابلة من الحديث ، وكان شيخ الحنابلة في الري أبو حاتم أحمد بن الحسن الرازي المعروف بـ خاموش، وكان يمنع الجميع بأمر من السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي من التدريس، ويصف غير الحنابلة بالكفر والعياذ بالله تعالىٰ، وكان أبو إسماعيل الأنصاري يقره علىٰ تلك المقولة، وهو الذي يصف الأشاعرة بشياطين البشر.

ومنع سائر الفرق الكلام علىٰ المنابر غير أبي حاتم، وكان من دخل الري من سائر الفرق يعرض اعتقاده عليه ، فان رضيه أذن له في الكلام علىٰ الناس، وإلا منعه ، وكان يقول: **كل من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم** [90].

وقال أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه ذم الكلام أيضاً نقلاً عن أبي حاتم خاموش الحنبلي الرازي أيضاً أنه كان يلعن الأشاعرة ، حيث قال: وسمعت أحمد بن الحسن الخاموشي الفقيه الرازي في داره بالري في محفل يلعن الأشعرية ، ويطري الحنابلة .

منع الحنابلة للأشاعرة من حضور الصلاة:

يقـول ابن كثير أثناء حديثـه عن أحداث سنة (٤٤٧ هـ) ببغداد : وفيها وقعت الفتنة بين الأشـاعرة والحنابلـة ، فقـوي جانب الحنابلة قـوة عظيمـة ، بحيث أنه كان ليس لأحد من الأشاعرة أن يشهـد الجمعة ولا الجماعات.

---

[89] مدينة تاريخية، أضحت اليوم جزءاً من الجنوب الشرقي لمدينة طهران، فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، بقيادة نعيم بن مقرن، ينسب إليها عدد من علماء المسلمين، منهم فخر الدين الرازي صاحب تفسير مفاتيح الغيب، والكيميائي محمد بن زكريا الرازي والفلكي عبد الرحمن الصوفي.

[90] تاريخ الإسلام ت بشار (٩/ ٤٨٤) .

ويقول ابن الجوزي أثناء حديثه عن أحداث هذه السنة : ووقعت بين الحنابلة والأشاعرة فتنة عظيمة حتى تأخر الأشاعرة عن الجمعات خوفاً من الحنابلة.

ويقول ابن خلدون أثناء كلامه عن هذه الفتن : ... وبين الحنابلة والشافعية وغيرهم من تصريح الحنابلة بالتشبيه في الذات والصفات، ونسبتهم ذلك إلى الإمام أحمد، وحاشاه منه ، فيقع الجدال والنكير ، ثم يفضي إلى الفتنة بين العوام ...[91]

فتنة الحنابلة مع البكري المغربي:

ذكر هذه الفتنة الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة البكري المغربي ، وذكر أنه أشعري ووصفه بالواعظ العالم وقال : وفد على النظام الوزير فنفق عليه وكتب له توقيعا بأن يعظ بجوامع بغداد ، فقدم وجلس واحتفل الخلق، فذكر الحنابلة وحط وبالغ ونبزهم بالتجسيم ، فهاجت الفتنة وغلت بها المراجل ، وكفّر هؤلاء هؤلاء، ولما عزم على الجلوس بجامع المنصور **قال نقيب النقباء**: قفوا حتى أنقل أهلي ، فلا بد من قتل ونهب ، ثم أغلقت أبواب الجامع وصعد البكري وحوله الترك بالقسي، ولقب بعلم السنة، فتعرض لأصحابه طائفة من الحنابلة، فشدت الدولة منه وكبست دور بني القاضي ابن الفراء، وأخذت كتبهم وفيها كتاب فكان يقرأ بين يدي البكري وهو يشنع ويشغب، ثم خرج البكري إلى المعسكر متشكياً من عميد بغداد أبي الفتح بن أبي الليث.

وقيل : إنه وعظ وعظّم الإمام أحمد ثم أصحهما ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾، فجاءته حصاة ثم أخرى، فكشف النقيب عن الحال فكانوا ناساً من الهاشميين حنابلة، قد تخبئوا

---

[91] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٥/ ٣٤٧) .

في بطانة السقف فعاقبهم النقيب، ثم رجع البكري عليلا وتوفي في جمادىٰ الآخرة سنة ست وسبعين وأربع مئة.

فتنة الحنابلة مع القيرواني:

وصف الذهبي أبا عبد الله محمد بن عتيق القيرواني التميمي المعروف بابن أبي كديه بقوله : العالم الأصولي شيخ القراء.

وقال فيه شيخ الحنابلة ابن عقيل : هو شيخ هش حسن العارضة، جاري العبارة، حفظة متدين صلف، تذاكرنا فرأيته مملوءاً علماً وحفظا.

قال الذهبي في ترجمته : وقال السلفي : كان مشاراً إليه في الكلام قال لي : أنا أدرس الكلام من سنة ثلاث وأربعين، جرت بينه وبين الحنابلة فتن وأوذي غاية الإيذاء سألته عن مسألة الاستواء ، فقال : أحد الوجهين للأشعري أنه يحمل علىٰ ما ورد ولا يفسر.

قال الذهبي : وقال أحمد بن شافع : قال ابن ناصر وجماعة : كان أصحاب القيرواني يشهدون عليه أنه لا يصلي ولا يغتسل من جنابة في أكثر أحواله ، ويرمىٰ بالفسق مع المرد واشتهر بذلك، وادعىٰ قراءة القرآن علىٰ ابن نفيس.

قال الذهبي بعد ذلك : **قلت** : هذا كلام بهوىٰ.

الفصل الثاني

غلاة الحنابلة وسلطان العلماء

العز بن عبد السلام، أصوله من الأردن، بلدة كفر الماء، من مواليد دمشق، شافعي المذهب، أشعري العقيدة، شاذلي الطريقة، ملقب بسلطان العلماء، وبائع الملوك، زاهد عابد، له كرامات، مستجاب الدعوة، قوي الشخصية، لا تأخذه في الله لومة لائم، كانت بداية امتحانه مع الحنابلة في دمشق، حرضوا عليه السلطان، وقالوا: أنه يقول بأن الأسباب لا تؤثر بنفسها، وكلام الله ليس بصوت، والله ليس بجسم، ولا يشار إليه بالجهة، ودسوا له ورقة بصورة سؤال ليجيب عنها، ثم يوصلونها للسلطان، فأجاب بما هو عقيدة الأشاعرة، قَالَ وَلَده الشَّيْخ شرف الدّين عبد اللَّطِيف: فَلَمَّا فرغ من كِتَابَة مَا راموه رَمَاه إِلَيْهِم وَهُوَ يضْحك عَلَيْهِم، فطاروا بِالْجَوَابِ وهم يَعْتَقِدُونَ أَن الْحُصُول على ذَلِك من الفرص الْعَظِيمَة الَّتِي ظفروا بهَا، ويقطعون بهلاكه واستئصاله واستباحة دَمه وَمَاله، فأوصلوا الْفتيا إِلَى الْملك الْأَشْرَف ، فَلَمَّا وقف عَلَيْهَا استشاط غَضباً وَقَالَ: صَحَّ عِنْدِي مَا قَالُوهُ عَنهُ، وَهَذَا رجل كُنَّا نعتقد أَنه متوحد فِي زَمَانه فِي الْعلم وَالدّين، فَظهر بعد الاختبار أَنه من الْفجار لَا بل من الْكفَّار، وَكَانَ ذَلِك فِي رَمَضَان عِنْد الْإِفْطَار، وَعِنْده على سماطه عَامَّة الْفُقَهَاء من جَمِيع الأقطار، فَلم يسْتَطع أحد مِنْهُم أَن يرد عَلَيْهِ، بل قَالَ بعض أعيانهم: السُّلْطَان أولى بِالْعَفو والصفح، وَلَا سِيمَا فِي مثل هَذَا الشَّهْر، وموَّه آخَرُونَ بِكَلَام موجه يُوهم صِحَة مَذْهَب الْخصم، ويظهرون أَنهم قد أفتوا بموافقته ،فَلَمَّا انفصلوا تِلْكَ اللَّيْلَة من مَجْلِسه بالقلعة اشْتغل النَّاس فِي الْبَلَد بِمَا جرى فِي تِلْكَ اللَّيْلَة عِنْد السُّلْطَان، وَأقَام الْحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الشَّيْخ الْعَلامَة جمال الدّين أَبَا عَمْرو بن الْحَاجِب الْمَالِكِي،

وَكَانَ عَالم مذْهبه فِي زَمَانه، وَقد جمع بَين الْعلم وَالْعَمَل رَحمَه الله تَعَالَى فِي هَذِه الْقَضِيَّة، مضى إِلَى الْقُضَاة وَالْعُلَمَاء الْأَعْيَان الَّذين حَضَرُوا هَذِه الْقَضِيَّة عِنْد السُّلْطَان، وشدد عَلَيْهِم النكير، وَقَالَ: الْعجب أَنكُمْ كلكُمْ على الْحق، وغيركم على الْبَاطِل، وَمَا فِيكُم من نطق بِالْحَقِّ، وسكتم وَمَا انتخبتم لله تَعَالَى، وللشريعة المطهرة، وَلما تكلم مِنْكُم من تكلم قَالَ: السُّلْطَان أولى بالصفح وَالْعَفو، وَلَا سِيمَا فِي مثل هَذَا الشَّهْر، وَهَذَا غلط يُوهم الذَّنب، فَإِن الْعَفو والصفح لَا يكونَانِ إِلَّا عَن جرم وذنب، أما كُنْتُم سلكتم طَرِيق التلطف بإعلام السُّلْطَان بِأَن مَا قَالَه ابْن عبد السَّلَام مذهبكم، وَهُوَ مَذْهَب أهل الْحق، وَأَن جُمْهُور السّلف وَالْخلف على ذَلِك، وَلم يخالفهم فِيهِ إِلَّا طَائِفَة مخذولة يخفون مَذْهَبهم ويدسُّونه على تخوف إِلَى من يستضعفون علمه وعقله، وَقد قَالَ تَعَالَى: «وَلَا تلبسوا الْحق بِالْبَاطِلِ وتكتموا الْحق وَأَنْتُم تعلمُونَ» وَلم يزل يعنفهم ويوبخهم إِلَى أَن اصْطلحَ مَعَهم على أَن يكْتب فتيا بِصُورَة الْحَال، ويكتبوا فِيهَا بموافقة ابْن عبد السَّلَام فوافقوه على ذَلِك، وَأخذ خطوطهم بموافقته، وَالْتمس ابْن عبد السَّلَام من السُّلْطَان أَن يعْقد مَجْلِساً للشَّافِعِيَّة والحنابلة، ويحضره الْمَالِكِيَّة وَالْحَنَفِيَّة وَغَيرهم من عُلَمَاء الْمُسلمين، وَذكر لَهُ أَنه أَخذ خطوط الْفُقَهَاء الَّذين كَانُوا بِمَجْلِس السُّلْطَان لما قُرِئت عَلَيْهِ الْفتيا بموافقتهم لَهُ، وَأَنَّهُمْ لم يُمكنهُم الْكَلَام بِحَضْرَة السُّلْطَان فِي ذَلِك الْوَقْت لغضبه، وَمَا ظهر من حِدته فِي ذَلِك الْمجْلس، وَقَالَ الَّذِي نعتقد فِي السُّلْطَان أَنه إِذا ظهر لَهُ الْحق يرجع إِلَيْهِ، وَأَنه يُعَاقب من موّه الْبَاطِل عَلَيْهِ، وَهُوَ أولى النَّاس بموافقة وَالِده السُّلْطَان الْملك الْعَادِل تغمده الله برحمته ورضوانه، فَإِنَّهُ عزّر جمَاعَة من أَعْيَان الْحَنَابِلَة المبتدعة تعزيراً بليغاً رادعاً وبدع بهم وأهانهم .

فَلَمَّا اتَّصل ذَلِك بالسلطان استدعى دَوَاة وورقة وَكتب فِيهَا: بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم، وصل إِلَيّ مَا التمسه الْفَقِيه ابْن عبد السَّلَام أصلحه الله من عقد مجْلِس، وَجمع الْمُفْتِينَ وَالْفُقَهَاء، وَقد وقفنا على خطه وَمَا أفتى بِهِ، وَعلمنَا من عقيدته مَا أغْنى عَن الِاجْتِمَاع بِهِ، وَنحن فنتبع مَا عَلَيْهِ

الْخُلَفَاء الراشدون الَّذين قَالَ ﷺ فِي حَقهم: «عَلَيْكُم بِسنتي وَسنة الْخُلَفَاء الرَّاشِدين من بعدِي» وعقائد الْأَئِمَّة الْأَرْبَعَة فِيهَا كِفَايَة لكل مُسلم يغلب هَوَاهُ، وَيتبع الْحق ويتخلص من الْبدع، اللَّهُمَّ إِلَّا إِن كنت تَدعِي الِاجْتِهَاد، فَعَلَيْك أَن تثبت ليَكُون الْجَواب على قدر الدَّعْوَى، لتكون صَاحب مَذْهَب خَامِس، وَأما مَا ذكرته عَن الَّذِي جرى فِي أَيَّام وَالِدي تغمده الله برحمته، فَذَلِك الْحَال أَنا أعلم بِهِ مِنْك، وَمَا كَانَ لَهُ سَبَب إِلَّا فتح بَاب السَّلامَة لَا لأمر ديني:

وجرمٌ جَرّه سُفَهَاء قوم ... فَحل بِغَيْر جانيه الْعَذَاب

وَمَعَ هَذَا فقد ورد فِي الحَدِيث: «الْفِتْنَة نَائِمَة لعن الله مثيرها» وَمن تعرض إِلَى إثارتها قَاتَلْنَاهُ بِمَا يخلصنا من الله تَعَالَى، وَمَا يعضد كتاب الله تَعَالَى وَسنة رَسُوله ﷺ ثمَّ استدعى رَسُولا وصير الرقعة مَعَه إِلَيْهِ، فَلَمَّا وَفد بهَا عَلَيْهِ فضها وَقرأَهَا وطواها، وَقَالَ للرسول: قد وصلت وقرأتها وفهمت مَا فِيهَا فَاذْهَبْ بِسَلام، فَقَالَ: قد تقدّمت الْأَوَامِر المطاعة السُّلْطَانِيَّة إِلَيّ بإحضار جوابها فَاسْتَحْضر الشَّيْخ دَوَاة وورقة وَكتب فِيهَا جواب رسالة السلطان، وما يرى من عقيدته التي كفره السلطان بها، وطلب منه أن يبعث بفتواه إلى علماء المسلمين في جميع الأمصار، فإن وافقوه على الحق، وإلا يفعل السلطان به ما شاء، وَكَانَ يَكْتُبهَا وَهُوَ مسترسل من غير توقف وَلَا تردد وَلَا تلعثم، فَلَمَّا أنهى كتَابَتهَا طواها وختمها وَدفعهَا إِلَى الرَّسُول .

وَكَانَ عِنْده حَالَة كتَابَتهَا رجل من الْعلمَاء الفضلاء، وَمِمَّنْ يحضر مجْلِس السُّلْطَان، فَوَقفهُ على الرقعة الَّتِي وَردت من الْملك الْأَشْرَف فتغير لَونه، واعتقد أَن الشَّيْخ يعجز عَن الْجَواب لما شَاهد فِي ورقة السُّلْطَان من شَدِيد الْخطاب، فَلَمَّا خطّ الشَّيْخ الْكتاب مسترسلاً عجِلاً وَهُوَ يُشَاهد مَا يَكْتُبهُ بَطل عِنْده مَا كَانَ يحسبه، وَقَالَ لَهُ ذَلِك الْعَالم: لَو كَانَت هَذِه الرقعة الَّتِي وصلت إِلَيْك وصلت إِلَى قس بن سَاعِدَة لعجز عَن الْجَواب، وَعُدم الصَّوَاب، وَلَكِن هَذَا تأييد إلهي .

فَلَمَّا عَاد الرَّسُول إِلَىٰ السُّلْطَان رَحمَه الله، وأوصله الرقعة فعندما فضها وقرئت عَلَيْهِ اشتدت استشاطته، وَعظم غَضَبه، وتيقن الْعَدو تلف الشَّيْخ وعطبه، ثمَّ استدعىٰ الغرز خَلِيلًا، وَكَانَ إِذْ ذَاك أستاذ دَاره، وَكَانَ من المحبين للشَّيْخ، والمعتقدين فِيهِ، فَحَمَّله رِسَالَة إِلَىٰ الشَّيْخ وَقَالَ لَهُ: تعود إِلَيّ سَرِيعا بِالْجَوَابِ .

فَذهب الغرز إِلَيْهِ وَجلسَ بَين يَدَيْهِ، بِحسن تودد وتأدب وتأن، ثمَّ قَالَ لَهُ: أَنا رَسُول {وَمَا علىٰ الرَّسُول إِلَّا الْبَلَاغ الْمُبين} وَالله لقد تعصبوا عَلَيْك، وأعنتهم أَنْت علىٰ نَفسك بِعَدَمِ اجتماعك فِي مبدإ الْأَمر بالسلطان، وَلَو كَانَ رآك وَلَو مرّة وَاحِدَة لما كَانَ شَيْء من هَذِه الْأُمُور أصلاً، وَكنت أَنْت عِنْده الْأَعْلَىٰ، فَقَالَ لَهُ: أد الرسَالَة كَمَا قيلت لَك وَلَا تسْأَل، فَقَالَ لَا تسْأَل مَا حصل عِنْد السُّلْطَان عِنْد وُقُوفه علىٰ ورقتك، وَلَا سِيمَا أَنه وجد فِيهَا مَا لَا يعهده من مُخَاطبَة النَّاس للملوك، مُضَافاً إِلَىٰ مَا ذكرته من مُخَالفَة اعْتِقَاده، فَقَالَ لي اذْهَبْ إِلَىٰ ابْن عبد السَّلَام وَقل لَهُ: إِنَّا قد شرطنا عَلَيْهِ ثَلَاثَة شُرُوط؛ أَحدهَا: أَنه لَا يُفْتِىٰ، وَالثَّانِية: أَنه لَا يجْتَمع بِأحد، وَالثَّالِثَة: أَنه يلْزم بَيته .

فَقَالَ لَهُ: يَا غرز، إِن هَذِه الشُّرُوط من نعم الله الجزيلة عَليّ، الْمُوجبَة للشكر لله تَعَالَىٰ علىٰ الدَّوَام، أما الْفتيا فَإِنِّي كنت وَالله متبرماً بهَا وأكرهها وأعتقد أَن الْمُفْتِي علىٰ شَفير جَهَنَّم، وَلَوْلَا أَنِّي أعتقد أَن الله أوجبهَا عَليّ لتعيُّنها عَليّ فِي هَذَا الزَّمَان لما كنت تلوثت بهَا، والآن فقد عذرني الْحق وَسقط عني الْوُجُوب، وتخلصت ذِمَّتِي وَللهَّ الْحَمد والْمِنَّة، وَأما ترك اجتماعي بِالنَّاسِ ولزومي لبيتي فَمَا أَنا فِي بَيْتِي الْآن، وَإِنَّمَا أَنا فِي بُسْتَان، وَكَانَ فِي تِلْكَ السّنة اسْتَأْجر بستاناً متطرفاً عَن الْبَسَاتِين، وَكَانَ مخوفاً، فَقَالَ لَهُ الغرز: الْبُسْتَان هُوَ الْآن بَيْتك .

فَقَالَ لَهُ: يَا غرز، من سعادتي لزومي لبيتي، وتفرغي لعبادة رَبِّي، والسعيد من لزم بَيته وَبكىٰ علىٰ خطيئته، واشتغل بِطَاعَة الله تَعَالَىٰ، وَهَذَا تسليك من الْحق، وهدية من الله تَعَالَىٰ إِلَيّ أجراها

علىٰ يَد السُّلْطَان، وَهُوَ غَضْبَان وَأَنا بهَا فرحان، وَالله يَا غرز لَو كَانَت عِنْدِي خلعة تصلح لَك علىٰ هَذِه الرسَالَة المتضمنة لهَذِهِ الْبشَارَة لخلعت عَلَيْك، وَنحن علىٰ الْفتُوح، خُذ هَذِه السجادة صل عَلَيْهَا، فقبلها وَقبَّلهَا وودعه وَانْصَرف إِلَىٰ السُّلْطَان، وَذكر لَهُ مَا جرىٰ بَينه وَبَينه، فَقَالَ لمن حَضَره: قُولُوا لي: مَا أفعل بِهِ؟ هَذَا رجل يرىٰ الْعقُوبَة نعْمَة اتركوه بَيْننَا وَبَينه الله .

ثمَّ إِن الشَّيْخ بَقِي علىٰ تِلْكَ الْحَالة ثَلَاثَة أَيَّام، ثمَّ إِن الشَّيْخ الْعَلامَة جمال الدّين الحصيري شيخ الْحَنَفِيَّة فِي زَمَانه، وَكَانَ قد جمع بَين الْعلم وَالْعَمَل، ركب حماراً لَهُ وَحوله أَصْحَابه، وَقصد السُّلْطَان، فَلَمَّا بلغ الْملك الْأَشْرَف دُخُول الحصيري إِلَىٰ القلعة أرسل إِلَيْهِ خاصته يتلقونه، وَأمرهمْ أَن يدخلوه إِلَىٰ دَار الْإِمَارَة رَاكِبًا علىٰ حِمَاره، فَلَمَّا رَآهُ السُّلْطَان وثب قَائِماً وَمَشىٰ إِلَيْهِ وأنزله عَن حِمَاره، وَأَجْلسهُ علىٰ تكرمته، واستبشر بوفوده عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي رَمَضَان قريب غرُوب الشَّمْس، فَلَمَّا دخل وَقت الْمغرب وَأذن الْمُؤَذّن صلوا صَلَاة الْمغرب، وأُحضر للسُّلْطَان قدحُ شراب فتناوله وناوله للشَّيْخ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخ: مَا جِئْت إِلَىٰ طَعَامك وَلَا إِلَىٰ شرابك، فَقَالَ لَهُ السُّلْطَان: يرسم الشَّيْخ وَنحن نمتثل مرسومه، فَقَالَ لَهُ: أيش بَيْنك وَبَين ابْن عبد السَّلَام، وَهَذَا رجل لَو كَانَ فِي الْهِنْد أَو فِي أقْصَىٰ الدُّنْيَا كَانَ يَنْبَغِي للسُّلْطَان أَن يسْعَىٰ فِي حُلُوله فِي بِلَاده لتتم بركته عَلَيْهِ وعَلىٰ بِلَاده، ويفتخر بِهِ علىٰ سَائِر الْمُلُوك؟

قَالَ السُّلْطَان: عِنْدِي خطه باعتقاده فِي فتيا وخطه أَيْضاً فِي رقْعَة جَوَاب رقْعَة سيرتها إِلَيْهِ، فيقف الشَّيْخ عَلَيْهِمَا، وَيكون الحكم بيني وَبَينه، ثمَّ أحضر السُّلْطَان الورقتين فَوقف عَلَيْهِمَا وقرأهما إِلَىٰ آخرهما، وَقَالَ: هَذَا اعْتِقَاد الْمُسلمين، وشعار الصَّالِحين، ويقين الْمُؤمنِينَ، وكل مَا فيهمَا صَحِيح، وَمن خَالف مَا فيهمَا وَذهب إِلَىٰ مَا قَالَه الْخصم من إِثْبَات الْحَرْف وَالصَّوْت فَهُوَ حمَار

فَقَالَ السُّلْطَان رَحمَه الله: نَحن نَسْتَغْفِر الله مِمَّا جرىٰ، ونستدرك الفارط فِي حَقه، وَالله لأجعلنه أغْنىٰ الْعلمَاء، وَأرْسل إِلَىٰ الشَّيْخ واسترضاه وَطلب محاللته ومخاللته. وَكَانَت الْحَنَابِلَة قد

استنصروا علىٰ أهل السّنة، وعلت كلمتهم بِحَيْثُ إِنَّهُم صَارُوا إِذا خلوا بهم فِي الْمَوَاضِع الخالية يسبُّونهم ويضربونهم ويذمونهم، فعندما اجْتمع الشَّيْخ جمال الدّين الحصيري رَحمَه الله بالسلطان، وَتحقّق مَا عَلَيْهِ الجم الْغَفِير من اعْتِقَاد أهل الْحق، تقدم إِلَى الْفَرِيقَيْنِ بالإمساك عَن الْكَلَام فِي مَسْأَلَة الْكَلَام، وَأَن لَا يُفْتِي فِيهَا أحد بِشَيْء سداً لباب الْخِصَام، فَانْكَسَرت المبتدعة بعض الانكسار وَفِي النُّفُوس مَا فِيهَا، وَلم يزل الْأَمر مستمراً علىٰ ذَلِك إِلَى أَن اتّفق وُصُول السُّلْطَان الْملك الْكَامِل إِلَى دمشق من الديار المصرية، وَكَانَ اعْتِقَاده صَحِيحا، وَهُوَ من المتعصبين لأهل الْحق، قَائِل بقول الْأَشْعَرِيّ ' فِي الِاعْتِقَاد، وَكَانَ وَهُوَ فِي الديار المصرية قد سمع مَا جرىٰ فِي دمشق فِي مَسْأَلَة الْكَلَام، فرام الِاجْتِمَاع بالشيخ فَاعْتَذر إِلَيْهِ، فَطلب مِنْهُ أَن يكْتب لَهُ مَا جرىٰ فِي هَذِه الْقَضِيَّة مستقصىٰ مُسْتَوفىٰ، فَأمرنِي وَالِدي ' بكِتَابَة مَا سقته فِي هَذَا الْجُزْء من أول الْقَضِيَّة إِلَى آخرهَا، فَلَمَّا وصل ذَلِك إِلَيْهِ ووقف عَلَيْهِ، أسرَّ ذَلِك فِي نَفسه إِلَى أَن اجْتمع بالسلطان الْملك الْأَشْرَف ' وَقَالَ لَهُ: يَا خَوند، كنت قد سَمِعت أَنه جرىٰ بَين الشَّافِعِيَّة والحنابلة خصام فِي مَسْأَلَة الْكَلَام، وَأَن الْقَضِيَّة اتَّصَلت بالسلطان، فَمَاذَا صنعت فِيهَا؟ فَقَالَ: يَا خَوند، منعت الطَّائِفَتَيْنِ من الْكَلَام فِي مَسْأَلَة الْكَلَام، وَانْقطع بذلك الْخِصَام .

فَقَالَ السُّلْطَان الْملك الْكَامِل: وَالله مليح ، مَا هَذِه إِلَّا سياسة وسلطنة، تُسَاوِي بَين أهل الْحق وَالْبَاطِل، وتمنع أهل الْحق من الْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَن الْمُنكر، وَأَن يكتموا مَا أنزل الله عَلَيْهِم، كَانَ الطَّرِيق أَن تمكن أهل السّنة من أَن يلحنوا بحججهم، وَأَن يظهروا دين الله، وَأَن تشنق من هَؤُلَاءِ المبتدعة عشْرين نفساً ليرتدع غَيرهم، وَأَن تمكن الْمُوَحِّدين من إرشاد الْمُسلمين، وَأَن يبينوا لَهُم طَرِيق الْمُؤمنِينَ (٩٢) .

---

(٩٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٢١٨، إلى ص:٢٣٩) .

الفصل الثالث

جرائم الوهابية داخل الجزيرة

إن هذه الحركة منذ نشأتها، ومنذ الخطوة الأولىٰ لها قامت علىٰ أشلاء المسلمين من الشيوخ والنساء والأطفال الذين لا ذنب لهم ولا قدرة علىٰ القتال، زيادة علىٰ ما قتلوه من العلماء والصلحاء والشبان، حتىٰ أصبحت هذه الحركة لا تذكر إلا ويذكر معها شبح الرعب الدموي الذي صار ملازما لها .

قال الشيخ احمد زيني دحلان: مفتي السادة الشافعية في مكة المكرمة، في كتابه خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، فقال تحت عنوان فتنة الوهابية:

«فتنة الوهابية التي كانت في الحجاز، حتىٰ استولوا علىٰ الحرمين، ومنعوا وصول الحج الشامي والمصري، كان ابتداء القتال فيها بينهم وبين أمير مكة، مولانا الشريف غالب بن مساعد، وهو نائب من جهة السلطنة العليَّة علىٰ الأقطار الحجازية، وابتداء القتال بينهم وبينه من سنة (١٢٠٥)هـ، وكان ذلك في مدة سلطنة مولانا السلطان سليم الثالث، ابن السلطان مصطفىٰ الثالث بن أحمد .

وأما أول ظهور فتنة الوهابية فكانت قوَّتُهم وشوكُتهم في بلادهم أولاً، ثم كثر شرُّهم وتزايد ضررُهم، واتسع ملكهم، وقتلوا من الخلائق ما لا يُحصَون، واستباحوا أموالهم وسبَوا نساءهم، وكان مؤسس مذهبهم الخبيث: محمد بن عبد الوهاب، وأصله من المشرق من بني تميم، وكان من المعمِّرين، عاش قريب مائة سنة، حتىٰ انتشر عنه ضلالهم، كانت ولادته سنة (١١١١) هـ، وهلك سنة (١٢٠٦)هـ وأرخه بعضهم بقوله: بدء هلاك الخبيث (١٢٠٦)هـ، وكان في

ابتداء أمره من طلبة العلم بالمدينة المنورة علىٰ ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام، وكان أبوه رجلاً صالحـاً من أهل العلم، وكذا أخوه الشيخ سليمان، وكان أبوه وأخوه ومشايخه يتفرَّسون فيه أنه سيكون منه زيغ وضلال، لِما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزعاته في كثير من المسائل، وكانوا يُوبِّخونه ويحذِّرون الناس منه، فحقَّق الله فراستهم فيه لما ابتدع من الزَّيغ والضَّلال الذي أغوىٰ به الجاهلين، وخالف فيه أئمة الدِّين، وتوصَّل بذلك إلىٰ تكفير المؤمنين، فزعم أن زيارة قبر النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم والتوسُّل به وبالأنبياء والأولياء والصَّالحين، وزيارة قبورهم شرك، وأن نداء النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم عند التَّوسُّل بهم شرك، وكذا نداء غيره من الأنبياء والأولياء الصالحين عند التَّوسُّل بهم شرك، وأن من أسند شيئاً لغير الله ولو علىٰ سبيل المجاز العقلي يكون مشركاً، نحو نفعني هذا الدواء، وهذا الولي الفلاني عند التَّوسُّل به في شيء، وتمسك بأدلة لا تنتج له شيئاً من مرامه، وأتىٰ بعبارات مزوَّرة زخرفها ولبَّسَ بها علىٰ العوام حتىٰ تبعوه، وألَّف لهم في ذلك رسائل حتىٰ اعتقدوا كفر أكثر أهل التوحيد، واتصل بأمراء المشرق أهل الدِّرعيَّة، ومكث عندهم حتىٰ نصـروه وقاموا بدعوته، وجعلوا ذلك وسيلة إلىٰ تقويـة ملكهم واتساعه، وتسلَّطوا علىٰ الأعراب وأهـل البوادي حتىٰ تبعوهم وصاروا جنداً لهم بلا عوض، وصاروا يعتقدون أن من لَمْ يعتقد ما قاله ابن عبد الوهاب فهـو كافر مشـرك مهـدور الدم والمال، وكان ابتداء ظهور أمـره سنة (١١٤٣)هـ وابتداء انتشاره من بعد (١١٥٠) هـ.

ولما قام ابن عبد الوهاب ومن أعانه بدعوتهم الخبيثة التي كفَّروا بسببها المسلمين، ملكـوا قبائـل الشرق قبيلة بعـد قبيلة، ثم اتسع مُلكهـم فملكوا اليمـن، والحرمين، وقبائل الحجاز، وبلغ مُلكهم قريباً من الشام، فإن مُلكهم وصل إلىٰ المزيريب، وكانوا في ابتداء أمرهم أرسلوا جماعـة من علمائهم، ظناً منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين، ويُدخِلون عليهم الشُّبهة بالكذب والميْن، فلما وصلوا إلىٰ الحرمين، وذكروا لعلماء الحرمين عقائدهم وما تملكوا به، ردَّ

عليهم علماء الحرمين، وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها، وتحقَّق لعلماء الحرمين جهلهم وضلالهم، ونظروا إلىٰ عقائدهم فوجدوها مشتملة علىٰ كثير من المكفِّرات، فبعد أن أقاموا البرهان عليهم، كتبوا عليهم حجة عند قاضي الشرع بمكة، تتضمن الحكم بكفرهم بتلك العقائد، ليشتهر بين الناس أمرُهم، فيعلم بذلك الأول والآخر، وكان ذلك في مدة إمارة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد المتوفىٰ سنة (١١٦٥)هـ، وأمر بحبس أولئك الملحدة، فحُبسوا وفرَّ بعضهم إلىٰ الدِّرعيَّة، فأخبرهم بما شاهدوا، فازدادوا عتوّاً واستكباراً، وصار أمراء مكة بعد ذلك يمنعون وصولهم للحج، فصاروا يُغِيرون علىٰ بعض القبائل الداخلين تحت طاعة أمير مكة، ثم انتشب القتال بينهم وبين أمير مكة، مولانا الشريف غالب، وكان ابتداء القتال بينهم وبينه من (١٢٠٥)هـ، ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة، قُتل فيها خلائق كثيرون، ولَم يزل أمرهم يقوىٰ، وبدعتهم تنتشر، إلىٰ أن دخل تحت طاعتهم أكثر القبائل والعربان الذين كانوا تحت طاعة أمير مكة .

وفي سنة (١٢١٧)هـ، ساروا بجيوش كثيرة حتىٰ نازلوا الطائف، وحاصروا أهله في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، ثم تملكوهُ وقتلوا أهله رجالاً ونساءً وأطفالاً، ولا نجا منهم إلا القليل، ونهبوا جميع أموالهم، ثم أرادوا المسير إلىٰ مكة، فعلموا أن مكة في ذلك الوقت فيها كثير من الحجاج، ويقدم إليها الحاج الشامي والمصري، فيخرج الجميع لقتالهم، فمكثوا في الطائف إلىٰ أن انقضىٰ شهر الحج، وتوجه الحجاج إلىٰ بلادهم، وساروا بجيوشهم يريدون مكة، ولَم يكن للشريف غالب قدرةٌ علىٰ قتال جيوشهم، فنزل إلىٰ جدة، فخاف أهل مكة أن يفعل الوهابية معهم مثل ما فعلوا مع أهل الطائف، فأرسلوا إليهم وطلبوا منهم الأمان لأهل مكة، فأعطوهم الأمان، ودخلوا مكة ثامن محرم من السنة (١٢١٨)هـ، ومكثوا أربعة عشر يوما يستتيبون الناس، ويجدِّدون لهم الإسلام علىٰ زعمهم، ويمنعونهم من فعل ما يعتقدون

أنه شرك، كالتَّوسُّل وزيارة القبور، ثم ساروا بجيوشهم إلى جدة لقتال الشريف غالب، فلما أحاطوا بجدة رمى عليهم بالمدافع والقلل فقتل كثيراً منهم، ولَم يقدروا على تملك جدة فارتحلوا بعد ثمانية أيام، ورجعوا إلى بلادهم، وجعلوا لهم عسكراً بمكة، وأقاموا لهم أميراً فيها وهو الشريف عبد المعين أخو الشريف غالب، وإنما قبل أمرهم ليرفق بأهل مكة، ويدفع ضرر أولئك الأشرار عنهم، وفي شهر ربيع الأول من السنة المذكورة سار الشريف غالب من جدة ومعه والي جدة من طرف السلطنة العلية، وهو شريف باشا ومعهما العساكر، فوصلوا إلى مكة وأخرجوا من كان بها من عساكر الوهابية، ورجعت إمارة مكة للشريف غالب، ثم بعد ذلك تركوا مكة واشتغلوا بقتال كثير من القبائل، وصار الطائف بأيديهم، وجعلوا عليه أميراً «عثمان المضايفي»، فصار هو وبعض جنودهم يقاتلون القبائل التي في أطراف مكة والمدينة، ويُدخلونهم في طاعتهم، حتى استولوا عليهم وعلى جميع الممالك التي كانت تحت طاعة أمير مكة، فتوجه قصدهم بعد ذلك للاستيلاء على مكة، فساروا بجيوشهم سنة عشرين، وحاصروا مكة، وأحاطوا بها من جميع الجهات، وشدَّدوا الحصار عليها، وقطعوا الطرق ومنعوا الميرة عنها، فاشتد الحصار على أهل مكة حتى أكلوا الكلاب لِشِدَّة الغلاء وعدم وجود القوت، فاضطر الشريف غالب إلى الصلح معهم، وتأمين أهل مكة، فوسَّط أناساً بينه وبينهم، فعقدوا الصلح على شروط فيها رفق بأهل مكة، فمن تلك الشروط: أن إمارة مكة تكون له، فتم الصلح، ودخلوا مكة في أواخر ذي القعدة سنة عشرين، وتملكوا المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام، وانتهبوا الحجرة، وأخذوا ما فيها من الأموال، وفعلوا أفعالاً شنيعة، وجعلوا على المدينة أميراً منهم: مبارك بن مضيان، واستمر حكمهم في الحرمين سبع سنين، ومنعوا دخول الحج الشامي والمصري مكة، وصاروا يصنعون للكعبة المعظمة ثوباً من العباء

القيلان الأسود، وأكرهوا الناس على الدخول في دينهم، ومنعوهم من شرب التنباك، ومن فعل ذلك وأطّلعوا عليه عزروه بأقبح التعزير، وهدموا القبب التي على قبور الأولياء .

وكانت الدولة العثمانية في تلك السنين في ارتباك كثير، وشدة قتال مع النصارى، وفي اختلاف في خلع السلاطين وقتلهم، ثم صدر الأمر السلطاني من خليفة رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلَّم سلطان محمود خان ثاني بن عبد الحميد خان أول سلطان أحمد لصاحب مصر محمد علي باشا بالتجهيز لقتال الوهابية، وكان ذلك في سنة (١٢٢٦)هـ فجهز محمد علي باشا جيشاً، فيه عساكر كثيرة، جعل عليهم ولده طوسون باشا، فخرجوا من مصر في رمضان من السنة المذكورة ولَم يزالوا سائرين براً وبحراً، حتى وصلوا إلى ينبع، فملكوه من الوهابية، ثم لما وصلت العساكر إلى الصفرا والحديدة، وقع بينهم وبين العرب الذين في الحربية قتال شديد بين الصفرا والحديدة، وكانت تلك القبائل كلها في طاعة الوهابي، وانضم إليها قبائل كثيرة فهزموا ذلك الجيش، وقتلوا كثيراً منهم، وانتهبوا جميع ما كان معهم، وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة (٢٦)، ولَم يرجع من ذلك الجيش إلى مصر إلا القليل، فجهز جيشاً غيره سنة سبع وعشرين، وعزم محمد علي باشا على التوجه إلى الحجاز بنفسه، وتوجهت العساكر قبله في شعبان في غاية القوة والاستعداد، وكان معهم من المدافع ثمانية عشر مدفعاً وثلاث قنابل، فاستولت العساكر على ما كان بيد الوهابية، وملكوا الصفراء والحديدة وغيرهما في رمضان بلا قتال، بل بالمخادعة ومصانعة العرب، بإعطاء الدراهم الكثيرة، حتى أنهم أعطوا شيخ مشايخ حرب مائة ألف ريال، وأعطوا شيخاً من صغار مشايخ حرب أيضاً ثمانية عشر ألف ريال، ورتبوا لهم علائف تصرف لهم كل شهر، وكان ذلك كله بتدبير شريف مكة: الشريف غالب، وهو في الظاهر تحت طاعة الوهابي، وأما المرة الأولى التي هُزموا فيها فلم يكونوا كاتبوا الشريف غالب في ذلك حتى يكون الأمر بتدبيره، ودخلت العساكر المدينة المنورة في

أواخر ذي القعدة، واستولت العساكر السائرة من طريق البحر علىٰ جدة في أوائل المحرم سنة ثمان وعشرين، ثم طلعوا إلىٰ مكة واستولوا عليها أيضاً، وكل ذلك بلا قتال بتدبير الشريف سرّاً، ولما وصلت العساكر إلىٰ جدة، فرَّ مَن كان بمكة من عساكر الوهابية وأمرائهم، وكان سعود أمير الوهابية حج في سنة سبع وعشرين ثم ارتحل إلىٰ الطائف، ثم إلىٰ الدِّرعيَّة ولَمْ يعلم باستيلاء العساكر السلطانية علىٰ المدينة إلا بعد ذلك، ثم لما وصل إلىٰ الدِّرعيَّة علم باستيلائهم علىٰ مكة ثم الطائف، ولما وصلت العساكر إلىٰ جدة ومكة فر من الطائف أميرُها عثمان المضايفي، وفرَّ مَن كان بها من عساكر الوهابية وأمرائهم .

وفي شهر شوال سنة ثمان وعشرين توجه محمد علي باشا بنفسه إلىٰ الحجاز، وقبل توجهه من مصر قبض الشريف غالب علىٰ عثمان المضايفي الذي كان أميراً علىٰ الطائف للوهابية، وكان من أكبر أعوانهم وأمرائهم فقيَّده بالحديد وبعثه إلىٰ مصر، فوصل في ذي القعدة بعد توجه الباشا إلىٰ الحجاز، ثم أُرسل إلىٰ دار السلطنة فقتلوه، ووصل محمد علي باشا في ذي القعدة إلىٰ مكة، وقبض علىٰ الشريف غالب بن مساعد، وبعثه إلىٰ دار السلطنة، وأقام لشرافة مكة ابن أخيه الشريف يحيي بن سرور بن مساعد، وفي شهر محرم من سنة (٢٩) بعثوا إلىٰ السلطنة مبارك بن مضيَّان، الذي كان أميراً علىٰ المدينة المنورة للوهابية، فطافوا به في القسطنطينية في موكب ليراه الناس، ثم قتلوه وعلقوا رأسه علىٰ باب السرايا، وفعل مثل ذلك بعثمان المضايفي، وأما الشريف غالب فأرسلوه إلىٰ سلانيك، وبقي بها مكرماً إلىٰ أن توفي سنة إحدىٰ وثلاثين، ودفن بها وبني عليه قبة تزار، ومدة إمارته علىٰ مكة ست وعشرون سنة.

ثم إن محمد علي باشا وجه كثيراً من العساكر إلىٰ تربة وبيشة، وغامد وزهران وعسير، لقتال طوائف الوهابية وقطع دابرهم، ثم سار بنفسه في أثرهم في شعبان سنة تسع وعشرين، ووصل إلىٰ تلك الديار، وقتل كثيراً منهم وأسر كثيرا، وخرَّب ديارهم، ورجع محمد علي باشا عند إقبال

الحج، وحج ومكث بمكة إلى رجب سنة ثلاثين، ثم توجه إلى مصر وترك بمكة حسن باشا، ووصل الباشا إلى مصر في منتصف رجب سنة (١٢٣٠)هـ، فتكون إقامته بالحجاز سنة وسبعة أشهر، وما رجع إلى مصر إلا بعد أن مهَّد أمور الحجاز، وأباد طوائف الوهابية التي كانت منتشرة في جميع قبائل الحجاز والشرق[٩٣] . انتهى كلام العلامة زيني دحلان رحمه الله .

سأذكر نصوصاً من كتاب: «عنوان المجد في تاريخ نجد»[٩٤]، لمؤلفه: عثمان بن بِشْر، وهو من الموالين للوهابية، قال محقق الكتاب: مما لا ريب فيه أن هذا الكتاب من أهم كتب التاريخ التي دَوَّنت لتأريخ قيام الدولة السعودية، ذلك أن عثمان عالم فاضل، يتحرَّى الصدق فيما ينقل، غير متهم في دينه، فضلاً عن كونه معاصراً لمعظم الحوادث، وشاهد عيان لها، وأورد الحوادث حسب سنوات التأريخ الهجري، ومما أرخه: اعتباره أن نجداً كانت بلاد كفر، ولما تمت البيعة بين محمد بن سعود، وابن عبد الوهاب، أعلنا الجهاد، وبدأوا بغزو من والاهم من قبائل نجد

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٥٩) هـ :

قتلوا دهام، شيخ قبيلة آل ظفير، بالمنشار، لأنه لَم يتبع مذهب الوهابية، وقتلوا عدداً من رجال قبيلته، ثم وقعة الشباب بين الوهابية وابن دواس، في منطقة الوشم، وقتلوا عدداً كبيراً من رجاله ثم وقعة العبيد، وسميت بذلك لكثرة من قتل من عبيد منطقة الرياض .

---

[٩٣] [خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، ذكر فتنة الوهابية سنة (١٢٠٥)هـ (ص: ٢٢٨)].

تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ، ط٤، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٦٠) هـ :

وفيها وقعة «دلقا»، بين الوهابية وأهل حريملا ومنفوحة، راح ضحيتها أبرياء .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٦١) هـ :

وفيها وقعة البنية، بين الوهابية وأهل الرياض، ثم قاتلوا أهل حريملا، وقتلوا منهم (٢٥) نفساً، ثم هدموا بلدة «البنية» كاملة، ثم وقعة الخريزة، بين الوهابية وأهل الرياض، ووقعة البطين، مع أهل ثرمدا، فقتلوا عامة أهل البلد، حتىٰ خلت من أهلها تماماً، فكان أهلها بين قتيلٍ ومُشـرَّد، واستولوا علىٰ أرضهم وأموالهم، ونظم شعراء الوهابية بهذه الوقعة شعراً مفتخرين بقتلهم أهل ثرمدا، ثم حاربوا بلدة «ثادق» فقتلوا من رجالها، واستلبوا ماشيتهم .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٦٢) هـ :

وفيها وقعة الحبونية، فقتلوا من بها، وهدموا منازلها، وصارت من أهلها خلاء، ثم قتل أهل منفوحة .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٦٣) هـ :

وفيها قتل ابن عبد الوهاب الشيخ عثمان بن معمر، شيخ بلدة العُيَيْنة، لرفضه اتباع مذهب الوهابية، فقتلوه وهو في صلاة الجمعة، واستولوا علىٰ العُيَيْنة، ثم وقعة البطحاء بين الوهابية وأهل الرياض، ثم وقعة الوطية، مع أهل ثرمدا مجددا، قتلوا فيها العشرات من رجال البلدة .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٦٥) هـ :

وفيها قتالهم أهل ضرما، فقتلوا غالب رجالها، ثم قاتلوا بلدة الخرج، فقتلوا عامة أهل البلد، واستلبوا أموالهم، ثم أغاروا علىٰ قبيلة دهيمان من البدو، فقتلوهم عن آخرهم، وأخذوا أموالهم ونساءهم، ثم أهل حريملا مرة أخرىٰ .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٦٨) ه:

وفيها وقعة الغفيلي، بين الوهابية وأهل ثرمدا، قتلوا كثيراً من رجالها، ثم استيلاؤهم على مدينة حريملا، واستولوا على جميع ما فيها من أموال، ثم وقعة الدار بين الوهابية وأهل تادر وسدير، واستولوا عليها .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٧٠) هـ :

وفيها وقعة الرشا، بين الوهابية وأهل منفوحة، ووقعة القراين، بين الوهابية وأهل الوشم، ووقعة باب القبلي في الرياض، ثم قتال أهل أشيقر، ثم أهل ثادق، ثم غزوهم جلاجل، قرية معروفة في سدير .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٧١) هـ :

وفيها وقعة البطيحا في ثرمدا، ثم قتالهم سدير، واستيلاؤهم على بلد الحوطة، والجنوبية، ثم قاتلوا أهل جلاجل، واستلبوا أموالهم، ثم وقعة أم العصافير، والبنية بينهم وبين أهل الرياض.

حَوَادِثُ سَنَةَ ١١٧٦ هـ :

وفيها سار عبد العزيز بالجيوش غازياً إلى الأحساء، وأناخ بالموضع المعروف بالمطيرفي، ومعه من الخيل نحو الثلاثين، وصبّحهم وقتل منهم رجالاً كثيرة على نحو السبعين رجلاً، وأخذ أموالاً كثيرة، ثم أغار على المبرز فقتل من أهلها رجالاً، ثم ظهر من الأحساء راجعاً، فلمَّا وصل العرمة وافق قافلة لأهل الرياض، وأهل حرمة معها أموال كثيرة، فأخذ أهل الرياض، وترك أهل سدير لأجل هدنة بينه وبينهم .

قال حسين غنَّام عن هذه الهجمة : ثم غزا المسلمون – وأميرهم عبد العزيز – الأحساء وكانت خيلهم نحو ثلاثين، فأناخ في مكان يسمى المطيرفي، وهجم على من كان فيه من المشركين (!!)

فقتل منهم نحو سبعين رجلاً، وأخذ المسلمون كثيراً من الأسلحة والأمتعة والدواب، فلما أرادوا الرجوع إلى نجد، أغاروا على أهل المبرز، وقتلوا منهم رجالاً [٩٥].

قال الفاخري في تاريخه أحداث سنة (١١٧٦ هـ) : وفيها غزا المسلمون الأحساء وأخذوا المطيرفي وذبحوا أهلها [٩٦] .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٩٨) هـ :

وفيها سار سعود بالمسلمين، وقصد ناحية الأحساء، وصبَّح أهل العيون ولَم يبلغهم عنه خبر، وأخذ كثيراً من الحيوانات، وأخذ من بيوتها أزواداً وأمتعة.

قال حسين غنام عن هذا الهجوم : وسار سعود بالمسلمين إلى الأحساء، فجدَّ في سيره حتى وصل ليلاً إلى قريةٍ يقال لها «العيون» فلم يفطن أهل القرية لوصوله، فلما أصبحوا هجم عليهم المسلمون، فاستولوا على ما كان خارج الحصن من المساكن، وأخذوا جميع ما كان فيها من الحيوانات والأمتعة والقوت .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١١٩٩) هـ :

وفيها سار سعود بجنود المسلمين إلى جهة الخرج، فذُكر له في أثناء طريقه: أن قافلة حافلة من أهل الخرج وغيره ظاهرة من الأحساء، فرصد لهم سعود على الثليما المعروفة قرب الخرج، فأقبلت القافلة وكانت على ظمأ، وقدَّموا لهم ركاباً ورجالاً إلى الماء، فأغار عليهم سعود

---

[٩٥] تاريخ ابن غنام، حسين بن أبي بكر بن غنّام، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، الرياض، (ص: ٨٥٠).

[٩٦] [تاريخ الفاخري، (ص:١٣٩) محمد بن عامر الفاخري، تحقيق د. عبد الله الشبل، سنة (١٤١٩هـ١٩٩٩م) الرياض].

فقتلهم، ثم أناخت الحدرة فنازلهم سعود، واستمروا ساعة في جلاد وقتال، واقتتلوا قتالاً شديداً، قتل بينهم قتلىٰ كثيرة، والقافلة قريب ثلاثمائة رجل، فحمل عليهم المسلمون، وأخذوا جميع ما معهم من الأموال والقماش والمتاع والإبل .

حَوَادِثُ سَنَةَ (١٢٠٢) هـ :

وفيها سار ـ أي سعود بن عبد العزيز ـ وقصد الأحساء، وأغار علىٰ أهل «الجشة» القرية المعروفة، فقتل منهم رجالاً . وذكرها الشيخ حسين غنام في تاريخه (ص:٨٦٦).

حَوَادِثُ سَنَةَ (١٢٠٣) هـ :

وفيها سار سعود بجنود المسلمين من الحاضر والبادي، وقصد الأحساء ونازلَ أهل المبرز، ووقع بينه وبين أهلها رمي بالبنادق، ثم رحل منه ونازل أهل قرية الفضول في شرقي الأحساء، فأخذها وقتل من أهلها نحو ثلاثمائة رجل.

حَوَادِثُ سَنَةَ (١٢٠٨) هـ :

واجتمع أهل قرىٰ شمال الأحساء في قرية «القُرين» فسار إليها سعود فنزلها، وحاصرها أشد الحصار، وحاصر أهل بلد «المطيرفي» المعروفة، فصالحوه علىٰ نصف أموالهم، وسار سعود بتلك الجنود إلىٰ «المبرز» فخرج عليهم زيد بن عريعر بما عنده من الخيل، فحصل بينهم قتال، قتل من قوم زيد غديرُ بن عمر وحمود بن غرمول وانهزم زيد ومن معه إلىٰ البلد، ثم بعد أيام سارت الجموع إلىٰ المبرز، فكمنوا لهم، فجرت وقعة «المحيرس» قُتل فيها من أهل المبرز مقتلة عظيمة، قيل إن القتلىٰ ينيفون عن المائة رجل، وسارت الجنود إلىٰ بلاد ابن بطال، تسمىٰ الآن بـ البطاليّة، شمال شرق الهفوف، فوقع فيها قتال، فانهزم أهلها، وقُتل منهم عدد كثير، وأخذ سعود ما فيها من الأمتعة والطعام والحيوان والأموال، ثم ساروا إلىٰ بلدان الشرق، فحصل فيها قتال وجلاد،

فارتجف أهلُ الشرق، هذا وجميع البوادي الذين مع سعود وغيرهم يدمِّرون في الأحساء، ويصرمون النخيل، ويأخذون من التمر يبيعونه أحمالاً، ويأكلون ويطعمون رواحلهم من الحاضر والبادي، واكتالوا جميع البوادي من الأحساء نهباً .

السَّيطَرَةُ على الأَحْسَاء سنة (١٢١٠) هـ :

فلمَّا طلع الصباح رحل سعود بعد صلاة الصبح، فلما كان قبل طلوع الشمس ثوّر المسلمون بنادقهم دفعة واحدة، فأرجفت الأرض وأظلمت السماء، وثار عجّ الدخان في الجو، وأسقط كثير من الحوامل في الأحساء، ثم نزل سعود في «الرقيقة» المذكورة، فسلم له، وظهر عليه جميع أهل الأحساء وأمرهم بالخروج فخرجوا، فأقام في ذلك المنزل مدة شهر، يقتل من أراد قتله، ويجلي من أراد إجلاءه، ويحبس من أراد حبسه، ويأخذ من الأموال، ويهدم من المحالّ، ويبني دوراً ويهدم ثغوراً، وضرب عليهم ألوفاً من الدراهم وقبضها منهم، وأكثر سعود فيهم القتل ... الخ

حَوَادِثُ سَنَةَ (١٢٠٦) هـ :

وفيها سار سعود غازياً بالجنود المنصورة من البادي والحاضر، وقصد القطيف وحاصر أهل سيهات، وتسوَّر المسلمون جدارها، وأخذوها عنوةً، وأخذوا ما فيها من الأموال، وغير ذلك مما لا يُعد ولا يُحصىٰ، وأخذوا «عَنَك» عنوةً وقتل منهم خمسمائة رجل، ثم سار إلىٰ «القديح» وأخذه عنوة، وأخذ منه كثيراً من الأموال، وقتل منهم رجالا، واستولىٰ علىٰ عنك والعوّامية، وحاصروا الفرضة، لأن أكثر أهل القطيف هربوا إليها، فصالحوه بثلاث آلاف زر وأزال المسلمون جميع ما في القطيف من الأوثان والمتعبدات والكنائس، وأحرقوا كتبهم القبيحة بعدما جمعوا منها أحمالاً .

وذكر الحادثة ابن غنّام في تاريخه: قال بأن عدد الضحايا كان أكثر من (٥٠٠) رجل .

وفيهـا سار سعود بالمسلمين إلىٰ القطيف، يريد أن يطهّر بلدانها من الأصنام والأوثان، فأحاط المسلمون ببلدة «سيهات» وحاصروها ثم تسوّروها، وقتلوا من وجدوا فيها وكانوا نحو ألف وخمسمائة قتيل، واستولوا علىٰ جميع ما فيها من الأموال التي لا تعد ولا توصف. ثم قصد المسلمون «القديح» فدهموا أهلها واستولوا كذلك علىٰ ما فيها من الأموال، فأصاب حينئذٍ الذعر بلدان القطيف، فتهاوت أمام المسلمين، فاستولوا علىٰ العوَّاميَّة وعنك وغيرها .

وهكذا أرخ ابن بشر حرب الوهابيين مع أهل نجد، قرية قرية، وقبائل البدو، القبيلة تلو القبيلة، يقتلون الرجال، ويسبون النساء، وينتهكون الأعراض، وينتهبون الأموال، ويحرقون الزروع، كقطاع الطرق واللصوص المجرمين، الذين يتلذذون بقتل البشر وإبادة الشجر، وهدم والبيوت لأجل النهب والسلب والحكم، وكلُّ ذلك باسم الدِّين حتىٰ دانت لهم كافة مناطق نجد ، واستمر قتالهم إلىٰ سنة (١٢٣٧)هـ، أي أن ابن عبد الوهاب رفع سيفه في وجه المسلمين الموحدين مدة (٧٩) سنة من عمره .

«تاريخُ ابن غنَّام» :

واسمه حسين بن أبي بكر التميمي، من الأحساء، وهو ممن أرَّخ للوهابية، وممن اعتنق مذهبهم، وكتابه هذا يعتبره الوهابية من أهم المصادر التاريخية التي أرَّخت للحركة الوهابية، وذلك لتسطيره لسيرة ابن عبد الوهاب، وعرضه أهم المبادئ التي جاء بها، وقد أطلق علىٰ الجزء الأول منه لقب: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، وأطلق علىٰ الجزء الثاني منه لقب: «الغزوات البيانية، والفتوحات الربانية»، أرَّخ في الجزء الثاني منه حرب الوهابية لأهل نجد والحجاز لغاية عام (١٢١٢) هـ، وسمَّىٰ حرب الوهابية للمسلمين «غزوات»، تشبها بغزوات النَّبيّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم مما يُشتم منه رفع إمامهم إلىٰ مصاف النبوة، وإن لَمْ يصرحوا بذلك، لكن تعظيمهم الفعلي له زاد علىٰ تعظيمهم للنبي صلَّىٰ

اللهُ عليه وسلَّم، وكتابه هذا لا يخلو من السجع الممل، لذا لَمْ أنقل منه شيئا، إلا أني أشرت إليه لمن أراد الاطلاع، وأن حرب الوهابية ضد الموحدين، وقتلهم المسلمين في المساجد مما يتباهون به، ويعتبرونه حرباً مقدسة ضد الكفار والمشركين .

جَرَائِمُ الوَهَّابيَّةِ في الطَّائِفِ[٩٧] :

هاجم الوهابية الطائف ليحرِّروها من الشِّرك !! وكانت تحت حكم الشريف غالب حاكم مكة، وكان بينه وبين الوهابية المواثيق، ولكنهم غدروا فتمكنوا من الاستيلاء على الطائف، إذ دخلوها عنوة في ذي القعدة (١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م)، فقتلوا الناس قتلاً عاماً بدون تمييز بين رجل وامرأة وشيخ وطفل، حتى أنهم كانوا يذبحون الرضيع على صدر أمه، وكان جماعة من أهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين، فأدركتهم الخيل وقتلت أكثرهم، وفتشوا عمن توارى في البيوت وقتلوهم، وقتلوا من كان في المساجد يصلي، ونهبوا ما كان فيها من الأرزاق، حتى كانت كأمثال الجبال، فأخذ ابن سعود الخمس ووزع الباقي على الأعراب ، ولاحقوا الفارِّين من المدينة فقتلوا أكثرهم، وأعطوا الأمان للبعض، فلما استسلموا ضربوا أعناق فريق منهم، وأخرجوا فريقاً إلى أحد الأودية، واسمه وادي «وَج»، فتركوهم مكشوفي العورة ومعهم النساء، وأخذت الأعراب تروح وتغدو إلى الطائف، فتحمل المنهوبات الهائلة التي كانت تخمَّس، ويرسل خمسها إلى الأمير ويقتسمون ما بقى، كما عبثوا بالمصاحف والكتب الدِّينية ورموها، بعد أن مزقوها ورموها في الأزقة، وعمدوا أخيراً إلى حفر بيوت المدينة حتى

---

[٩٧] [كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب، محسن الأمين الحسيني، بيروت (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص:٢٠)} . صفحات من تاريخ الجزيرة الحديث، محمد عوض الخطيب، مركز غدير للدراسات الإسلامية، قم، ط٢، (١٤١٦خـ/ ١٩٩٦م)، (ص: ١٧٨)] .

المراحيض، بحثاً عن المال الذي قيل لهم أنه خبئ في الأرض .

قال ناصر السعيد: إن هؤلاء الأعراب بعد أن قتلوا وذبحوا الرجال والنساء والأطفال والصلحاء عمدوا إلى قطع أيدي النساء لانتزاع الحليِّ منها، كما كانوا يتوضؤون بدماء الآدميين بعد صبه في صهاريج الماء [٩٨] .

قال الجبرتي: حاربوا الطائف ثلاثة أيام حتى غلبوا، فأخذ البلدة الوهابيون، واستولوا عليها عنوة، وقتلوا الرجال، وأسروا النساء والأطفال، وهذا دأبهم مع من يحاربهم [٩٩] .

وقُتل خلال هذه المجزرة الشيخ عبدالله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة، والشيخ عبدالله أبو الخير قاضي مكة، والشيخ جعفر الشيبي وغيرهم ذبحوهم بعد أن أمَّنوهم عند أبواب بيوتهم [١٠٠].

ولما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلاً عامّاً، واستوعبوا الصغير والكبير، والمأمور والأمير، والشريف والوضيع، وصاروا يذبحون الطفل الرضيع، ويصعدون البيوت، يخرجون من توارى منهم فيها ويقتلونهم، ووجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم، حتى أبادوا من في البيوت جميعا، ثم خرجوا إلى الحوانيت والمساجد، وقتلوا من فيها، وكانوا يقتلون

---

[٩٨] **[تاريخ آل سعود، ناصر سعيد، (ص:١٣٠)] .**

[٩٩] **[عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (المتوفى: ١٢٣٧هـ) دار الجيل بيروت، (٢/ ٥٥٤)] .**

[١٠٠] **[السيد إبراهيم الراوي الرفاعي، الأوراق البغدادية في الحوادث النجدية، (ص ٢-٤)، مطبعة النجاح، بغداد، ١٣٤٥هـ.] .**

الرجل في المسجد وهو راكع أو ساجد، فلم يبق من أهل الطائف إلا شرذمة قدر نيف وعشرين ...الخ

وقاتل جماعة في بيت الفعر، يبلغون (٢٧٠) الوهابية ثلاثة أيام، فعلم ابن شكبان أن لا سبيل إليهم إلا المكر والخديعة، فأمَّنهم فكفوا عن القتال، فأدخلوا عليهم جماعة وأخذوا منهم السلاح، ثم أمرهم بالخروج لمقابلة الأمير، ولما مثلوا بين يديه أمر بقتلهم، بمنطقة «دقاق اللوز» فقُتلوا جميعا .

وكان جماعة يبلغون الخمسين في بيوت ذوي عيسىٰ، فأخرجوهم أيضاً بالأمان إلىٰ وادي وجّ، وهناك جردوهم من ثيابهم وتركوهم عراة، في البرد والثلج، رجالاً ونساءً، مكشوفو السوآت، وبعد ثلاثة عشر يوماً أخذوا يُشغِّلونهم بالطين بدون أجرة، فصاروا يستعطون الناس فيحسنوا إليهم بقبضة من الذرة يقضمونها، وعربان الوهابية كل يوم تدخل الطائف وتنقل الأموال من نقود وعروض، وفرش وأثاث، حتىٰ تكدست الأمتعة في مخيمهم، أي عند خيامهم كالتلول، وأما الكتب فنثروها في الأسواق والبطاح تحت الأقدام، وكان فيها المصاحف وكتب الحديث [١٠١] .

احْتِلالُ مَكَّةَ المكَرَّمَةِ :

بلغ أهلَ مكة قدومُ الوهابيين عليهم فداخلهم الفزع، والاضطراب الشديد، خصوصاً الحجاج الذين أتوا لأداء فريضة الحج من سائر أقطار الدنيا، وكان الحجاج المغاربة بمكة نحو

---

[١٠١] **انظر: [صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر، الشريف عبد الله بن حسن باشا، مطبعة كرمين، اللاذقية، سوريا، (ص:١٣٣) وما بعدها] .**

(١٥٠٠٠)، وحج في تلك السنة إمام مسقط سلطان بن سعيد، ونقيب المكلّا، وكان أمير الحاج الشامي إذ ذاك عبد الله باشا العظم، وأمير الحاج المصري عثمان فرجي بك، وكان معهما كثير من العساكر، فكثر الناس في مكـة واشتد الزحام ، فلما كان يوم التروية بلغ الناس أن ابن سعود خيم بجموعه في عرفات، ولكثرة العساكر الشامية والمصرية اضطر ابن سعود للتراجع عن عرفة، فحج الناس براحة وهدوء، ثم إن الشريف غالب أمير مكة حثَّ الناس خصوصاً أمراء المحملين على الخروج لمقاتلة الوهابيين، فتعللوا بعدم وجود ذخائر حربية، فتعهد لهم بكل ما يلزم، فارتأوا قبل الخروج إليهم أن يكاتبوهم، وينصحوهم عن الدخول إلى مكة، فلما وصلت إلى الأمير سعود رسلُهم وكتبُهم، علم أن عصبة عزمهم ضعفت، فأعاد إليهم الرسل وهددهم، ثم كاتبوه مرة أخرى، فأعاد إليهم رسلهم إليهم وتوعدهم بالمحو إن هم بقوا مُصرِّين على مقاومته، ففزعوا وأدركهم الخوف، وعالجهم أمير مكة على الثبات فلم ينجح، وبعده شكَّل أهل مكة وفداً من أشرافها ومقدميها وذهبوا لمقابلة سعود، فأعطوهم الأمان ودخلوها، ثم مكثوا أربعة عشر يوما يُشهدون الناس على أنفسهم أنهم كانوا كافرين، وبايعوه على الإسلام الوهابي، وبعدها أمرهم بهدم ما في الحرم من قباب، إذ اعتبرها طواغيت تُعبد من دون الله، فهدموا جميع ما في المعلَّى من آثار الصالحين، وكانت كثيرة، ثم، ثم هدموا قبة مولد النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثم قبة مولد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، والمشهور بمولد سيِّدنا علي عليه السَّلام، وقبة السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وتتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين، وهم في أثناء هدمهم لها يضربون الطبول، ويرتجزون مبالغين في شتم القبور التي هدموها، ولم تمض ثلاثة أيام إلا وقد محو عموم تلك الآثار المباركة، ولم يتركوا منها شيئا.

وفي اليوم السادس أمر بمنع صلاة الجماعة للأئمة الأربعة في المسجد الحرام، كما منع المؤذنين من التسبيح على المنائر في جوف الليل، ومنعهم من إعلان الصَّلاة على النَّبيّ ﷺ والترضي

عن الآل والأصحاب، وقال: إن هذا العمل شرك أكبر، ثم أمر جميع علماء مكة أن يدرّسوا للعامة عقائد ابن عبد الوهاب التي سماها «كشف الشبهات» ففعلوا ذلك مكرهين [١٠٢] .

قلت: حاصر الوهابيون مكة حصاراً شديداً حتى يضطر أهلها للاستسلام، فقطعوا جميع الطرق المؤدية إليها، وأرخ عثمان بن بشر لفتح مكة بقوله:

وأما مكة فكان الأمر فيها أعظم، حيث سُدَّت الطرق كلها عن مكة، من جهة اليمن وتهامة والحجاز ونجد، واشتدَّ الغلاء في مكة بشكل فاحش لَمْ تشهده من قبل، وبيعت لحوم الحمير والجيف فيها بأعلى الأثمان، وأُكلت الكلاب [١٠٣] .

ومن شنيع أفعال الوهابية خلال غاراتهم على مكة والمشاعر العظام، أن توجه اثنان من قادتهم وهما: عثمان المضايفي – والذي أصبح أمير الطائف بعد الاستيلاء عليها – وابن شكبان، إلى عرفة، فقتلا من لَمْ يُطعهما، وأسرا الكثير من الناس، ثمَّ انتقلا إلى وادي مرّ، ينهبون ويقتلون الواردين إلى مكة المكرمة، مما أدى إلى امتناع أهل الحجاز عن الحج، وأُحرق المحمل المصري رمز اجتماع الحجيج، ولقد رفض أمير الحج الشامي شروط الوهابية وعاد إلى بلاده ومن معه [١٠٤] .

وكان من نتيجة استيلائهم على مكة المكرمة ومنطقتها أن انفلت حبل الأمن فانتشر السَّلْب والنَّهْب، واضطربت السُّبُل، ولَمْ يستطيعوا ضبط الوضع بوضع حدٍّ لهذا الفلتان، وما لبث

---

(١٠٢) انظر: [صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر، للشريف عبد الله بن حسن باشا، مطبعة كرمين، اللاذقية، سوريا، (ص:١٣٧) وما بعدها] .

(١٠٣) [عنوان المجد حوادث سنة (١٢٢٠)هـ (١/ ٢٨٥)] .

(١٠٤) [كشف الارتياب (ص: ٢٧)].

الوهابية أن زهدوا في مكة بعد أن عاثوا فيها فسادا ؛ فتركوها عندما سمعوا أن العجم غزو عاصمتهم: «الدِّرعيَّة» كما يروي الجبرتي، فعاد إليها الشريف غالب، وحاول استعادة الطائف، ولكنه فشل بعد أن استطاع حماية جدَّة من هجماتهم الشرسة [105] .

قلت: إن الله تعالىٰ جعل مكة حرماً آمنا، وسجَّل ذلك في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]، قال العلماء: سماها تعالىٰ بكة، لأنها تبك أعناق الجبابرة، أي تقطعها. ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ فمن دخل حرم الله تعالىٰ فهو آمن بأمان الله، حتىٰ أن الطير فيها آمن، فيحرم فيه التعرض لصيده، أو تنفيره وتخويفه، حتىٰ الشجر والشوك يحرم اقتلاعه، ومن أصاب حداً خارج الحرم، ثم لجأ إلىٰ الحرم فهو آمن، لا يقام عليه الحد حتىٰ يخرج، ويحرم التقاط لقطته إلا لتعريفها، فقد حرم الله تعالىٰ مكة يوم خلق السماوات والأرض، لكن الوهابية لم يراعوا له حرمة أبدا، وتجاهلوا كل هذا، فتعرَّضوا لأهل حرم الله وجيرانه، بالقتل والتجويع، والتضييق، ولم يراعوا فيهم حرمة، ولا ذمة .

الإِرْهَابُ الدَّمَوِيُّ بوَصْفِ نَاصِرِ السَّعِيد

وَقْعة تُربة:

عقد الإنجليز اجتماعاً في القاهرة بتاريخ (٢٣/ ٣/ ١٩١٨)م بدائرة المخابرات المسمىٰ: «المكتب العربي» برئاسة السير «ريجنلد ونجت» المندوب السامي في مصر، وحضور الجنرال «كليتون»، والكومودور «هوجارت» والميجر «كورنوالس»، والكولونيل «سيريل ولسون»

---

(١٠٥) [د. محمد عوض الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية (ص:١٧٩)].

ممثل الحكومة البريطانية لدىٰ الشريف في الحجاز، والسير «برسي كوكس» وكيل وزارة المستعمرات البريطانية في الشرق الأوسط، ومساعديه: الميجر «كتليف أوين»، والميجر «هاملتون»، و «اللورد بلهافن»، وعبد العزيز آل سعود، لمناقشة مسألة الشريف حسين بن علي، وحُكمه علىٰ الحجاز، وإبداله بحكم آل سعود، وكانوا جميعاً وعلىٰ رأسهم فيلبي وكوكس يؤيدون عبد العزيز دون غيره من الحكام... فقال كوكس: إني أكَّدت لكم أن ابن سعود أصلح لنا من الشريف حسين، الذي رفض التوقيع أو الموافقة لإقرار وضع اليهود في فلسطين، ولهذا نريد أن نرسل ابن سعود لتأديب الشريف حسين واخضاعه لنا، وإذا لَمْ يخضع فسيرىٰ الجميع آنذاك أن استئصاله أصلح لنا مع الاستفادة من أبنائه في أماكن غير الحجاز وتسليم الحجاز لابن سعود!..

كان هذا هو رأي السير كوكس في ابن سعود، إلا أن الأغلبية من رجال المخابرات البريطانية الذين حضروا هذا المؤتمر رأوا تأجيل موضوع إرسال ابن سعود لتأديب الحسين إلىٰ بضعة أشهر، حتّىٰ يعاودوا الاتصال مع الحسين، لعلَّه يوافق علىٰ موضوع حق اليهود في فلسطين، ولكنهم عادوا من جديد ونفذوا رأي كوكس، و«كوكس» يهودي صهيوني، فأخذوا يَعُدُّون العُدَّة، وعرف الحسين بن علي بالأمر، فأخذ يعدُّ هو الآخر عُدَّته لِصَدِّ العدوان السعودي، فأعد جيشاً قوامه (٤٠) ألفا بقيادة ابنه عبد الله، وهكذا رأت بريطانيا التي كانت تمشي علىٰ قدمين في الجزيرة العربية، أن تركل الهاشميين من الحجاز بقدمها الثانية ابن سعود فأمرته بالزَّحف علىٰ الحجاز، وكان جيش الحسين بن علي قد زحف هو الآخر وعسكر في «تربة والخرمة» وهي واحة تقع بين الحجاز ونجد... وفي ليلة (٢٥) شعبان سنة (١٣٣٧ هـ/ ١٩١٩) م كانت مجزرة تربة الشهيرة، وكانت غدراً أكثر منها شجاعة، فقد وضع الانكليز خطة من أسهل الخطط للقضاء علىٰ الـ (٤٠) ألف جندي من جنود الشريف ونجحت الخطة...

والمعروف أن قبيلة عتيبة تنقسم إلى قسمين: قسم يعيش في الحجاز ويؤيد بعضُه الأشراف، والقسم الاخر يعيش في نجد ويؤيد بعضُه آلَ سعود، وقائد هذا القسم كان فيصل الدويش، فخطط جون فيلبي لذلك الهجوم، وأرسل جنديين من جنود عتيبة نجد ليندسَّا بين صفوف أبناء عمهم من جنود الشريف حسين من عتيبة الحجاز، وأمر أحد الجنديين أن يقف في ميمنة الجيش الهاشمي، وان يقف الآخر في الميسرة، ويطلق كل واحد منهما النار صوب الآخر، في ظلام الليل، تم يصرخ الأيمن في الجند الهاشمي النائم ليلاً قائلا بأعلى صوته «ارموا... ارموا... جند ابن سعود هجم من اليسار»، ويصرح الأيسر بالقول نفسه: «ارموا... جند ابن سعود هجم من اليمن»، فيباغَت الجيشُ الهاشمي ويذبح بعضُه بعضا، كما أرسل الانكليز والسعوديون عدداً من الجواسيس السعوديين للتسلل إلى داخل صفوف جيش عبد الله بن الحسين، ليبثوا فيه الرعب والتخاذل، بل واستطاعوا أن يرسلوا بعض الجواسيس للتسلل إلى المدافع والرشاشات وإفسادها، وجعلها غير صالحة للإطلاق...

أضف إلى ذلك أن عبد الله بن الحسين لَم يكن هو نفسه صالحاً لقيادة الجيوش، حيث لَم يعدَّ للأمر عُدَّته من التدبير والحنكة، فأغضب كثيراً من القبائل الموالية لأبيه، وفي مقدمتها عتيبة في الحجاز.. كما أغضب بعض الأشراف من أبناء عمومته وفي مقدمتهم الشريف خالد بن لؤي، واستطاع الانكليز المؤيدون لابن سعود أن يستغلُّوا هذا الخلاف، ويستميلوا الأشراف الغاضبين إلى صف آل سعود، كما استمالوا القبائل الغاضبة من الشريف للصف السعودي..

أما عبد الله بن الحسين فقد جعل كل اعتماده على الجيش النظامي، المزوَّد بكل المدافع والأسلحة التي اكتسبها أبوه من تركيا، بالإضافة إلى ما كان لديه من بقايا الأسلحة الإنكليزية، التي كان قد تزوَّد بها عند ثورته على الأتراك، فكبسته ثلة من البدو الذين سعدنهم الإنكليز، «أي صاروا موالين لآل سعود» وخططوا لهم وعلى رأسهم الشريف خالد بن لؤي، وسلطان

بن بجاد، فهبَّ الجيش من نومه مذعورا، وأخذ يصوب أسلحته إلىٰ نفسه بدون وعي في ظلمة الليل، فكان رصاص البنادق وطعنات الخناجر تصيبه نفسه بنفسه وتحصده...

وكان جيش ابن سعود بقيادة جون فيلبي يكمن له من خلف التلال، والجبال المحيطة بالوادي الفسيح، وما أن أسفر الفجر حتّىٰ رأىٰ الجيش الهاشمي نفسه يضرب بعضُه بعضا، وقبل أن يفيق من هول الصدمة، فاجأه الجيش السعودي بالضربة القاضية، ولَمْ ينجُ عبد الله بن الحسين من المعركة المهولة الا بالهرب هو وحرسه الخاص، واستولىٰ الجيش الإنجليزي السعودي علىٰ كل ما تركه الجيش الهاشمي من سلاح وخيام وأموال وغير ذلك .

ولكن الغدر الانكليزي السعودي لَمْ يقف عند حد الانتصار علىٰ عبد الله وجيشه، بل أبىٰ إلا أن يهجم علىٰ القريتين الكبيرتين ـ الخرمة وتربة ـ ويقتل السكان المدنيين العزَّل: نساء وشيوخاً وأطفالا، ولَمْ يكتف بذلك بل نهب الماشية، وأحرق النخيل والمزارع، واعتدىٰ علىٰ الأعراض .

لقد كانت «تربة» واحة خصبة، وكان فيها أكثر من مليون نخلة، فأصبحت بعد هذه الواقعة مشوَّهة من كل جانب، لقد أحصوا أنفس من قتلوهم من الأطفال والنساء والرجال والشيوخ في «تربة» من السكان المدنيين فقط بما يزيد علىٰ ثلاثة آلاف نفس، أزهقوا أرواحهم، وذلك خلاف جيش الشريف عبد الله بن الحسين البالغ (٤٠ ألفا)، قُتلوا جميعا، ولَمْ ينج منهم الا ما يقارب الخمسمائة، الذين هربوا مع عبد الله [١٠٦] انتهىٰ كلام ناصر سعيد

---

(١٠٦) [ناصر السعيد، تاريخ آل سعود، (ص:١٦٤) من النسخة الورقية التي بحوزتي .

الفصل الرابع

جرائم الوهابية خارج الجزيرة

امتدت فتـنة الوهابية حتىٰ وصلت البلدان المجاورة للجزيرة مـن جميع جهـاتها، وقد أرَّخ عددٌ لا بأس به من المؤرخين لهذه الحركة، وما ارتكبته مـن سفكٍ للـدمـاء البريئة من المسلمين، وهذا عرض سريع لما فعلوه :

غَزْوُ العِرَاق :

يقول المؤرخون: إن الهجمات المستمرة التي شنها الوهابيون علىٰ العراق وعشائره، والقسوة التي مارسـوها باسم نـشر نور الله وهديه زوراً وبهتانا، قد جعلت عشائر العراق تقاتل الوهابيين كما تقاتل اللصوص، لذلـك صبَّ الوهابيون جام غضبهم علىٰ العراق، علىٰ اختلاف مذاهبهم، فساءت أحوال العراق خلال السنوات (١٧٩٢-١٧٩٧)م، لأن الوهابيين كانوا يهاجمون العشائر العراقية التي كانت تبحث عن الكلأ في جنوب غرب العراق، وكانت تلك الغزوات سريعـة وقاسية، ولَمْ تكد تمر سنة واحدة دون أن يسجل الوهابيون حـادثة من حوادث فتكهم بالأموال والأعراض في العراق، ولَمْ يكن الباشا المملوك الذي يسيطر علىٰ ولاية بغداد قادراً علىٰ المقاومة، فقد بلغ مـن الكبر عِتـيًّا، وأصبحت أكثر شؤونه بأيدي موظفيه، فتصدىٰ لمقاومة الوهابيين الشيخ «ثويني» شيخ المنتفك، وهو أول عراقي قاد عملية التصدي لهم، فتجمع الناس حوله من عرب عقيل من بغداد، وجاءته النجدات من مدن العراق الأخرىٰ وبخاصة الكويت والزبير، وحاول التوغل في الاحساء لقتال الوهابيين، لكنه اغتيل علىٰ يد زنجي سخَّره الوهابيون بوسائلهم المعروفة، واستمرَّت الغزوات الوهابية الوحشية علىٰ

عشائر غربي العراق، فتقرر إرسال حملة عراقية جديدة، وكان ذلك في صيف عام (١٧٩٨) م وتجمعت العشائر من عقيل والعبيد وشمَّر وغيرهم بقيادة محمد بك الشناوي، وتقدمت الى البصرة، فانضمت إليها قبائل الظفير والمنتفك وبني خالد، فخشي ابن سعود قائد جيش الوهابيين من مقابلتهم، وقبل بالشروط التي عرضها عليه وهي، عدم غزو العراق، ومعاملة الحجاج العراقيين بالحسنى، وإرجاع المدافع التي استولى عليها، ودفع الغرامة، فوافق ابن سعود، ووقع الاتفاق في سنة (١٧٩٩) م لكن الوهابيين خرقوا الاتفاق، وبدأوا يهاجمون الحجاج بعد عام واحد، ففي بداية القرن التاسع عشر هاجم الوهابيون حجاج الخزاعل من العراق، وهم بالقرب من نجد، ثم أغاروا على مدينة «عانة» سنة (١٨٠٠)م وقتلوا مَن ظفروا به، ونهبوا ما استطاعوا إليه سبيلا، وأغاروا على قرية «كبيسة» فقاومهم أهلها بقوة .

وفي عام (١٨٠١) م هاجم الوهابيون «كربلاء»، وكانت هذه الهجمة كما وصفها المؤرخون أشدَّ الحملات شناعة ووحشية، فقد استباحوا أهلها، وتتبعوا الفارِّين من أهلها، ولَمْ ينجُ منهم إلا النادر، وتتبَّعوا الذين التجأوا الى ضريح الحسين وقتلوهم عن آخرهم، فكان عدد القتلى في الضريح خمسين، وفي صحن المسجد خمسمائة، وغصَّت المدينة بأشلاء القتلى المسلمين، ونُهبت جميعُ دور المدينة وحوانيتها، كما نهبوا ضريح الحسين وما فيه من النفائس [١٠٧]

أَخْـذُ الثَّـأْرِ:

لَمْ يُمهل العراقيون عبد العزيز بن سعود كثيراً، فما مضى عـام واحـد إلا وقد لقي الوهابي حتفه على يـد أحـد العراقيين، الذين ذُبحت زوجـته وأبناؤه أمام عينيه، فذهب العراقي إلى

---

(١٠٧) [كشف الارتياب، محسن الأمين، (ص:١٥)] .

الدِّرعيَّة، وتسلل لبيت عبد العزيز بن سعود، وذبحه بسكينه انتقاماً لشعبه.

غَزْوُ البُصْرةِ:

قال مؤرخ الوهابية عثمان بن بِشـر: وفي هذه السنة (أي سنة ١٢١٨)هـ كانت غزوة البصرة، وهدّ قصر الدريهمية، مشرب أهل الزبير، وقتل من كان فيه، وذلك أن سعود سار من الدِّرعيَّة، واستلحق جميع رعاياه من البادي والحاضر، فنهض بجيوشه المنصورة، والخيل العتاق المشهورة، وقصد ناحية الشمال، حتىٰ نزل علىٰ القرية المعروفة بالتنومة عند القصيم، فعيَّد فيها عيد الأضحىٰ، ونحر بها ضحاياه، ثم أرخص لغزوان عربان الشمال من الظفير، وذكر لهم أنه يريد الرجوع والقفول إلىٰ وطنه .

وكان قصده بذلك أن يخبروا بذلك أهل البصرة والزبير، ومن في جهتهم إذا رجعوا إليهم أنه قفل، حتىٰ يبغتهم مِن حيث لا يعلمون، ثم إن سعود رجع عادياً إلىٰ البصرة، فلما أتىٰ قربها وافق كتيبة خيل للمنتفق، رئيسهم منصور بن ثامر، ظاهرين من البصرة، فأغارت عليهم خيل المسلمين، وقتلوا من قتلوا، وأخذوا منصورا أسيراً ، ثم نزل سعود قرب الزبير، فنهضت جموع المسلمين إلىٰ البصرة، فداهموا جَنوبها، ونهبوها وقتلوا من أهلها قتلىٰ كثيرة، ثم إن سعود أمر المسلمين أن يحشدوا علىٰ القصر، فحشدوا علىٰ قصر الدريهمية، فهدموه وقتلوا أهله، فلما كان وقت غروب الشمس أمر سعود مناديه ينادي أن يثور كل رجل من المسلمين بندقه، فثوروها دفعة واحدة .

قال لي رجل من أهل الزبير: لما ثارت البنادق شبت النار في الأرض والجو، وأظلمت السماء، ورجفت الأرض بأهلها، وانزعج أهل الزبير انزعاجاً عظيما، وصعد النساء في رؤوس

السطوح، ووقع فيهم الضجيج، وألقت بعض الحوامل، فأقام محاصرهم اثنا عشر يوما، وحصد جميع زروعهم، ورحل قافلا إلى وطنه [١٠٨].

حَرْبُهُمْ في حَضَرَمَوْتَ :

ذكر علي بن حسين بن محمد بن جعفر العطاس في الجزء الأول من كتابه: «تاج الأعراس بمناقب الحبيب صالح بن عبد الله بن أحمد العطاس» شرحاً تفصيلياً لموقعة بحران، وهي أرض منبسطة قريبة من مدينة «حريضة» بحضرموت، التي حدثت عام (١٢٢٤) من الهجرة، بين ناجي بن قملا وجيشه من جهة، وبين آل عطاس وقبائل وادي عمد من جهة ثانية، بقيادة السيد علي بن جعفر بن محمد العطاس فقال:

أخبرني المقدم الثقة عِلي «بكسر العين» بن سالِم بن سليمان بن حمد الجعيدي، ساكن قرن بن عدوان من وادي عمد، من رواية والده، لأنه كان أحد قواد جيش المنطقة في تلك الحرب: أن الحبيب علي بن جعفر العطاس هو الذي تولى القيادة العامة للجيش المكوَّن من قبائل الجعدة والسادة آل عطاس، حينما هاجم ناجي بن قملا وجيشه حريضة ووادي عمد، بعد أن استولوا على أسفل حضرموت، وحبسوا علماءها وعظماءها في مصنعة حورة، ولما كانت «حريضة» هي العاصمة اجتمعت فيها قبائل الجعده، والسادة آل عطاس، وكان عادة أهل حضرموت كغيرهم من العرب؛ أن الجيش يهاجم العدو دفعة واحدة، ويدافع كذلك، فلهذا يسري فيهم الضعف إذا طال عليهم أمد القتال، فقال لهم الحبيب علي بن جعفر العطاس: هل تريدون أن يكون الدفاع على قواعدكم، أو تحبون أني أتولى القيادة؟ فقالوا له بصوت

---

[١٠٨] [عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٢٨٠) حوادث سنة ١٢١٨هـ].

وأحد: رضينا أن تكون أنت القائد العام، فعند ذلك أمر أولا بإرسال النساء والصبيان إلى وادي عمد، ثم مشى بنفسه على جميع البيوت التي في «حريضة»، وضبط ما فيها من الأطعمة لأجل تموين الجيش، ثم جعل الجيش ثلاث فرق:

الأولى: قلب الجيش .

والثانية: جناحه الأيمن .

والثالثة: جناحه الأيسر، وعرَّفهم كيف تكون مواصلة الفِرق لبعضها، وجعل خط الدفاع من غمدان إلى الطويل، أي من الجبل الشرقي إلى الجبل الغربي وتقلَّد هو بندقه المعروف بالمظفري المشهور بالإصابة، وجعل مركزه الفرقة الأولى، المكونة من السادة آل عطاس وقبيلة آل سِلِمه «بكسر السين واللام والميم مع سكون الهاء» من الجعدة، وهم سكان أواسط وادي عمد، كما أنه جعل قائد الفرقة الثانية المكونة من آل محمد بن حمد الجعده، سكان أعلى الوادي الحبيب عيدروس بن الحبيب القطب صالح بن عبد الله بن سالم بن عمر الحامد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وليد عمد ودفينها، وجعل الحبيب عبد الله بن طالب بن الحسين بن عمر العطاس، وليد حريضة ودفينها قائداً على الفرقة الثالثة المكونة من آل عِلّ، بكسر العين وسكون اللام بعد حذف الياء، بن عبد الله الجعده وهم سكان تبرعه من أسفل وادي عمد، فجعل الحبيب علي بن جعفر العطاس على كل قبيلة من تعتقده وتحترمه من السادة المتقدم ذكرهم زيادة على غيره، وهناك ابتدأ جيش بن قملا يهاجمون الثكنة الأولى من خط الدفاع بأجمعهم، وحمي الوطيس بين الفريقين، فلما كادوا يخترقونها بعد التعب الشديد، جاء المدد بالجنود النشيطة، وهكذا استمر القتال على تلك الحال ستة أشهر، حتى انهزم بن قملا شر هزيمة .

وبما يجدر بالذكر هنا أن المقـدَّم عمر بـن علي با صليب المشجري، لما بلغه الخبر بهجوم بن قملا على بلد حريضة، جاء إليها في ثلاثمائة رامي، من قومه آل با صليب، سكان حالة با صليب والمعقل، بوادي عمد منجدا للسادة آل عطاس وقبائل الجعدة، ففرحوا بهم ومنهم، وشكر الحبيب علي بن جعفر المقدم با صليب وقومه على غيرتهم، ثم قال لهم إن الزاد الموجود الآن عندنا في حريضة غير كاف لنا ولكم، وطلب منهم العودة إلى منازلهم، وقال لهم: نحن نكفي العدو للدفـاع إن شاء الله، وإن دعت الحاجة عندنـا سنرسل لكم، فلما رجعوا إلى وطنهم أمر المقدم المذكور أصحابه أن يـأتي كل واحد منهم بجراب أي عرَق «بالتحريك» من التمر فجمعوا ثلاثمائة جراب على عددهم وأرسلوها إلى حريضة مساعدة منهم في تموين الجيش، ثم كتب الحبيب على بن جعفر كتاباً إلى «ريدة الصَّيعر» يستنجدهم لإطلاق الأسرى الذي حبسهم بن قملا في مصنعة «حوره»، فلبَّى دعوته المقدم بن رميدان، والحكم سليمان بن جربوع في خمسمائة رامي من قومهما: «آل عَلّ»، بفتح العين وسكون اللام بالليث، يقود آل عل بلّيث بن رميدان وآل حـاتم بن جربوع، وفعلاً هاجموا مصنعة حورة، وقد بدأ أثر الضعف يدب في جيش بن قملا، وذلك حينما ابتدأ محمد علي باشا صراعه مع قيادتهم، واحتـلَّ الجيشُ الصَّيعَريّ حوره، وأطلق الأسرى منها بأجمعهم، وأهل حضـرموت يُسمُّون جيش بن قملا، في هذه الحروب «قوم بن قمله» باسم قائدهم العام ناجي بن قمّلا، ويقلبون الألف هاء . اهـ

تَخريبُهُم في تَريمٍ :

وذكر باحنان الكندي في تاريخه المسمى: «جواهر تاريخ الأحقاف» فقال مانصه: في سنة (١٢٢٤)هـ وصل إلى حضرموت ناجي بن قملا النَّجْديّ بجيش عرمرم من قبائل الدِّرعيَّة، فاكتسحوا القُطر الحضرمي، واضطر القبائل من نهد ويافع والشَّنافر إلى محالفتهم، ودخلوا

تريم وكسروا قبابها، وحرقوا بعض كتبها كما قيل وتوابيتها، وكسـروا ألواح قبورها، وحبسوا بعض مناصب الجهة، ومنعوا الأذكار والتذكير والحضرات والطرائق.

ولما أرادوا دخول عينات، وبلغهم أن السادة آل الشيخ أبو بكر بن سالم مستعدون لحربهم وخلافهم، في جند عظيم من الصيعر والعوامر والمناهيل والحموم ويافع وآل تميم، وأنهم لا يسمحون لهم بالدخول إليها، وصدُّوهم عن دخولها، طلبوا وصول السيدين المنصَّبين: أحمد بن سالم بن أحمد منصَّب الشيخ الحسين، وسالم بن أحمد بن الشيخ عمر بن الحامد منصَّب آل حامد، وطلب المُكرَّمي وصولهما إلى تريم بواسطة غرامة، وبقية يافع بتريم على أنهما آمنين على أنفسهما وأموالهما حتى يرجعا إلى عينات، فأطمأن المنصَّبان من جانب المُكرَّمي لتوسط اليافعي، فتوجها إلى تريم لملاقاة المُكرَّمي، فتفاوض معهما في أن يخلياه من الدخول إلى عينات فأبيا عليه، فكتب المُكرَّمي إلى عينات يتهدد أهلها فيه بقتل المنصَّبين أولاً، ثم الهجوم على عينات إن لم يخلوا بينه وبينها، فعقدت المؤامرة في ذلك، واتفقوا على ردِّهم ومحاربتهم ثم ثابوا فارتضوا بدخوله خوفاً على المنصَّبين، فكتبوا له برضاهم بذلك، بشـرط أنَّ من دخل ثلاثاً من ديارها وهي: دار الشيخ الحسين، ودار منصَّبه، ودار منصَّب الشيخ الحامد فهو آمن، لأن أهل البلد سيتحوَّلون إليها حالة الهجوم، وسيُخَلُّون بينهم وبين باقي البلد، فرضي المُكرَّمي بذلك وقبل دخوله أزيلت التوابيت، وجعلت في بعض بيوت السادة لتسلم من الإحراق، ثم دخل البلاد وخرب وكسر وغير اهـ.

قَتْلُهُمُ النَّاسَ عِنْدَ قَبْرِ نَبِيِّ اللهِ هُودٍ:

ذكر سالم بن محمد بن سالم بن حميد في كتابه: «العدة المفيدة في تاريخ حضـرموت» ما نصه: وفي سنة (١٢٢٤) هـ كان وصول بن قملا وجيوشه من قبائل الدِّرعيَّة إلى الجهة الحضـرمية، واستولى على الكسور مثل: هينن وحوره وحواليها، معه قاضيه سُبيت، وفي ذلك الوقت كان

المعلم عبد الله بن سعد بن سمير قاضياً «بهينن» من زمن السلطان جعفر بن علي الكثيري، فبقي هناك فقرَّبه بن قملا، وصالح بن قملا القبائل أي حملة السلاح، من يافعي ونهدي وشنفري، وحبسوا له أي أخذ منهم الرهائن، وهدم غالب رؤوس القبب المبنية على القبور، حتى بلغ إلى قبة نبي الله هود عليه السَّلام ووقع من أقوامه السفك لدماء المسلمين، وانزعج بسببه البلاد والعباد إلى غاية أن أهـل السَّواد والخلاء ـ يعني الفلاحين ـ انتقلـوا إلى البلدان والحصون، خوفاً من جيوشه وتعدِّيهم الحدود . اهـ

قلت : فجيوش الوهـابية استحلت دم هؤلاء الأبرياء رغم أنهم من العامة، ومن الفلاحين ولَم تفرق بين الجميع في القتل وإهلاك الحرث والنسل، كما أنها لم تأخذ لمقام نبيٍّ مرسَلٍ أيَّ اعتبار، أو حرمة أو جوار .

غَزْوُهُمُ اليَمَنَ :

قال العلامة محمد الشاطري في كتابه: «أدوار التاريخ الحضـرمي» مؤرخاً لهذا الحادث الأليم : ومع الأسف أن المكتبتين العيدروسية، والهندوانية أتلفها فيها بعد النَّجْديّون الذين غزوا حضرموت، ويعرفون بآل قملة اهـ

وفي الختام أشار الشاطري الى بن قملة قائلا في الهامش: قوم من بادية نجد، هاجموا حضرموت هجمات خاطفة ثلاث أو أربع مرات، في أوائل القرن الثالث عشـر، وأعظمها سنة: (١٢٢٤)هـ، وهي الهجمة الثانية، وعمَّت معظم حضرموت، وفيها وقع التخريب والتحريق والتغريم، ولَم تدم أكثر من شهر ونصف .

وجاء في: «السجل التاريخي للخليج وعُمان وأواسط الجزيرة العربية» تاريخ: (٤/ ٢٥١)، تحت عنوان: استيلاء الوهابيين على المدينة (١٨٠٤) هـ، ذكر فيه : وفي العام نفسه، قام أبو نقطة الشيخ الأول لعسير باسم الوهابيين، باجتياح ساحل اليمن، من القنفذة الى بيت الفقيه،

ونهب موانئ لاهية والحديدة ،وخلال السنوات الأربع التي تلت، قام بتكرار تلك الغزوات عدة مرات على البقعة نفسها .

قال عثمان النَّجْديّ مؤرخ الوهابية: وفيها (أي سنة ١٢٢٠ هـ) أمر سعود على عبد الوهاب ورعاياه من عسير وألمع وغيرهم، وفهَّاد بن شكبان ورعاياه من بيشة وغيرها، وعبيدة وأهل سنجان ووادعة وقراها، وأهل وادي الدواسر ومن تبعهم، قيمة ثلاثين ألف مقاتل، وذكر لهم يصدون نجران لقتال أهله، فسار هؤلاء الجموع ونازلوا أهل بدر «من قرى نجران» مدة أيام، وجرى بينهم وقائع وقتلى بين الفريقين، وأكثر القتل فيهم [109].

ويُضيف مؤرِّخهم ابن بشر: ثم إن إمام صنعاء «أي المستعمر الوهابي» سَيَّر عساكر عظيمة، وحاصروا بندر الحديدة وأخذوه، فتجهز صالح المذكور إلى زَبيد وجنوده وقومه، فسار إليه بجيش عديد، من قبائل عديدة حاضرة وبادية نحو ثلاثة آلاف مقاتل، فنازل أهل زَبيد وأخذوه عنوة، ونهبوا منها من الأموال والأمتاع شيئاً كثيرا، ولم يمتنع إلا القلعة الأمامية وما تحميه، ثم خرجوا عنها، وعزل صالح الأخماس وبعثها إلى الدِّرعيَّة .

قَتْلُهُمْ قَافِلَة حُجَّاجٍ يَمنيِّين :

عمد الوهـابيون لقتل الحجاج اليمنيين، ففي عام (١٣٤١هـ) التقت سرية من الوهابيين، بقوافل حجاج قادمين من اليمن، فسايروهم في الطريق، وأعطوهم الأمان، فلما وصلوا إلى وادي «تنومة» في عسير، غدروا بهم، وأطلقوا عليهم الرصاص حتى قتلوهم، ولم ينج منهم إلا اثنان، جُرحوا فظنُّوهم أمواتا، وكانوا (١٠٠٠) شخص [110] .

---

(109) **انظر: [عنوان المجد (١ / ١٤٦)] .**

(110) **انظر: [صفحات من تاريخ جزيرة العرب، محمد عوض الخطيب، (ص:١٩٩)] .**

غَزْوُهُمُ الأُرْدُنَّ :

في عام (١٩٢٣م/ ١٣٤٣هـ) هاجم جماعة من الوهابيين فجأة أعراب شرق الأردن، فهجموا على أم العَمَد، وهي بلدة قريبة من عَمان العاصمة، فقتلوا من ظفروا به، ونهبوا ما استطاعوا، فتصدَّت لهم الطائرات البريطانية التي كانت محتلةً للأردن في تلك الفترة فقصفتهم بالقنابل، وانجلت المعركة عن قتل (٣٠٠) من الوهابيين و (٢٥٠) من أهل شرق الأردن . وفي عام (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٦م) جهز الوهابيون حملة أخرى قوامها (٣٠) ألفا ووصلوا معان، لكن المرحوم الشيخ عودة أبو تايه، شيخ عشيرة الحويطات تصدَّى لهم بقوة، بعدد كبير من أبناء عشيرته، والبدو في تلك المنطقة، وأوقعوا بهم خسائر جسيمة، أجبرتهم على الفرار، وقد أخبرني أحد أبناء تلك المنطقة، بسبب نصر الشيخ عودة عليهم، ووصف المعركة التي حصلت، وهو أن المعركة حصلت بين عشائر بدوية من كلا الطرفين، وهم يعرفون أساليب بعضهم في القتال، فكانت خطة الوهابية مكشوفة لهم، وأما الشيخ عودة فكان خبيراً بطبيعة التضاريس لتلك المنطقة، فألجأهم لمنطقة ضيقة حصرهم بها، وأوقع بهم القتل، يقول الراوي: بقينا نرى شعورهم وأظفارهم تتطاير في الأرض، تعصف بها الريح الشرقية عدة سنوات، والهياكل العظمية بقيت حتى بليت بعد عشرات السنين .

غَزْوُهُمْ سَوريا :

هاجم الوهابية حوران سنة: (١٢٢٥هـ / ١٨١٠)م فأحرقوا ونهبوا وسبوا، بعد أن قتلوا الناس، حتى الأطفال، ناهيك عن الكبار، وهدموا البيوت، وعـاثوا فيها فسادا، وقُدِّرت قيمة الخسائر غير البشـرية بتلك المنطقة بثلاثة ملايين درهم حينذاك[١١١].

ثمَّ توسعت الغزوات الوهابية حتى بلغت مدينة حلب، وقطعوا الطريق بين الشام والعراق، وكانت سراياهم تصل إلى القادسية، وقد قتلوا خلقاً كثيراً خلال غاراتهم تلك.

غَزْوُهُمْ عُمان :

جاء في [السجل التاريخي للخليج وعُمان وأواسط الجزيرة العربية (١ - تاريخ، ٤ / ٢٥٩)] تحت عنوان: «عمل الوهابيين في مسقط » وذكر فيه : وفي عام (١٨١٢) م استعاد السيد حصن سمائل بمساعدة فرقة فارسية، وقد تلا هذا النجاح اشتباك عنيف في جوارازكي، حيث تلقى العثمانيون وحلفاؤهم هزيمة قاسية، وفي السنة نفسها، أو ربما سنة: (١٨١٣)م، انتقم الوهابيون من السيد سعيد انتقاماً رهيباً، اذ قامت قواتهم برفقة تركي وفيصل ابني الأمير الوهابي، بتدمير مناطق مسقط والحجّر الشرقي، وخيموا فترة من الزمن في جعلان، التي جعلوا منها قاعدة لغاراتهم المدمرة . اهـ

---

(١١١) **انظر: [صفحات من تاريخ الجزيرة العربية (ص: ١٧٥)] .**

قطر والبحرين

يقول ابن بشر الوهابي في أحداث سنة (١٢٠٢)هـ: وفيها غزا سليمان بن عفيصان بأمر عبدالعزيز إلى جهة الشرق، فأوقع بأهل قطر الناحية المعروفة قرب البحرين، فقتل منهم قتلى كثيرة من آل أبي رميح، وأخذ أموالهم..

وفي أحداث سنة (١٢٠٦)هـ: وفيها غزا سليمان بن عفيصان بأمر عبدالعزيز بجيش من أهل الخرج وغيرهم، وقصد قطر المعروف بين عُمان والبحرين، فصادف منهم غزواً نحو خمسين مطية فناوخهم، فقاتلوا وهزمهم سليمان، وقتلهم إلا القليل، وأخذ ركبهم [112].

ويقول كذلك في أحداث (١٢٠٩) هـ:..ثم سار بهم إبراهيم بن عفيصان، فقصد ناحية قطر، وأغار على أهله فأخذ إبلا كثيرة من بواديهم وأموالهم، فأقبل بها وباعها في الإحساء . [113]

والحقيقة أن الجيش الوهابي هذا بدأ يغير على قطر منذ سنة (١٢٠٨)هـ، حيث قاتل ابن عفيصان بني عتبة (العتوب) في (الزبـارة) [114] من قطر، وحاصرهم، ومنع الناس من الدخول إليها أو الخروج منها، حتى اضطر العتوب [115] للهجرة إلى البحرين هرباً بنسائهم وأطفالهم سنة (١٢١٢)هـ، ولم يعودوا حتى دخلوا مكرهين في المذهب الوهابي، وهاجم الوهابية كذلك

---

[112] عنوان المجد: (١/ ٨٨) .

[113] المرجع السابق:(١/ ١٠٣) .

[114] المرجع نفسه: (١/ ١٥٠)، الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية: (ص: ١٧٣).

[115] العتوب من آل خليفة تخصيصاً ؛ وقد كان هؤلاء هم حكام قطر قبل آل ثاني حتى احتلال الوهابية لقطر عام (١٧٩٢).

مناطق أخرىٰ في قطر حيث تقيم قبائل فريحة والحويلة واليوسفية والرويضة وغيرها، وأخذوا يثيرون الشقاق والضغائن بينهم[116].

وهاجموهم سنة (١٢٦٧)هـ بقيادة الأمير عبدالله بن فيصل، وأوقعوا فيهم الذعر حتىٰ طلبوا الأمان مـن فيصل، وادَّعـوا أنهم مغلوبون مغصوبون، فقبل منهم وبايعوه [117] ودخل بذلك كثير من أهل قطر الديانة الوهابية مكرهين، وبايعوهم علىٰ الإسلام[118]!! والسمع والطاعة – كما يقول ابن بشر – ولكن المؤسف أن الوهابية اغتصبوا منهم ثلاثمائة سفينة وذلك بعد دخول الديانة الوهابية [119] .

فمتىٰ كان أهل قطر كفاراً تحلُّ دماؤهم وأموالهم، وما هو حال قاتلهم عند الله؟ ومتىٰ كان إرعاب المؤمنين جائزاً حتىٰ يضطروا للهجرة والخروج من ديارهم؟ ومتىٰ كان تغيير المذهب بل الدين جائزاً بالإكراه، والله سبحانه وتعالىٰ يقول {لا إكراه في الدين} ؟ ومتىٰ كانت إثارة الشحناء والبغضاء بين المسلمين جائزة؟

ويكفي الوهابية عاراً إلىٰ يوم الدين تشريدهم للشيخ (يعقوب بن يوسف) من قطر إلىٰ البحرين لأنهم لم يستطيعوا نشر باطلهم وهو هناك ،حيث كان يفنِّد شبههم، ومات وهو يتحرَّق

---

(١١٦) **أبو حاقة، لمع الشهاب، دار الثقافة بيروت، بدون تاريخ، (ص: ٧٨) وما بعدها، إبراهيم عبدالعزيز عبدالغني، صراع الأمراء، دار الساقي، لندن (١٩٨٨)، (ص: ٢٣)، صفحات من تاريخ الجزيرة (ص: ١٧٣) ، رياض نجيب الريِّس، رياح السموم، ط٣، (ص: ٣٠٥) .**

(١١٧) **ابن بشر، عنوان المجد، ٢/ ١٣١، وانظر كذلك غزو الوهابية لقطر بقيادة جلوي في نفس الصفحة.**

(١١٨) **حيث يعتبرونهم كفاراً قبل الدخول في الديانة الوهابية!**

(١١٩) **عنوان المجد ٢/ ١٣٢**

شوقاً للعودة إلىٰ بلده انتقم الله من ظالمه (١٢٠) .

البحرين:

امتنع العتوب عن دفع الجزية، فهاجمهم الوهابية وقتلوا منهم الكثير، وأوقعوا بهم خسائر جسيمة (١٢١) .

يقول ابن بشر في أحداث سنة (١٢٦٧)هـ: وأقام الإمام ـ يعني فيصل ـ علىٰ ذلك الماء قريب شهر، وكان قد قصد أهل البحرين، لأنه بلغه عنهم بعض المخالفة، وقطْع شيء من الخراج الموضوع عليهم(!!)؛ فلما وصل ذلك الماء أرسلوا إليه يطلبون المصالحة والمسامحة عمَّا مضىٰ فلم يقبل منهم.. (١٢٢) هكذا يتعامل الوهابية مع المسلمين بفرض الجزية وعدم الصفح؛ وقد حاول الشيخ سعيد بن طحنون رئيس أبو ظبي أن يثنيهم عن أكل أموال أهل البحرين، وأن يرجعوا فأبوا ذلك، وطلبوا حضوره الشخصي، فطلب منهم الأمان لأنهم أهل غدر، فذهب إليهم ومعه الهدايا الكثيرة، يطلب المصالحة لأهل البحرين، ولكنه لم يحصل سوىٰ الخيبة علىٰ حد قول ابن بشر وأن علىٰ أهل البحرين أن يؤدوا الجزية السابقة واللاحقة، وما طلب منهم من النكال

ولا عجب فقد اعتدوا علىٰ البحرين قبل ذلك مراراً؛ حتىٰ بلغ بهم الحال أن اقتادوا آل خليفة أسرىٰ وسجنوهم في الدرعية، ولم يطلقوا سراحهم إلا سنة (١٢٢٦)هـ ليهاجموهم بقيادة إبراهيم بن عفيصان، فقتل الوهابية من أهل البحرين وأتباعهم ألفاً وأربعمائة (١٤٠٠) رجل، منهم الشيخ راشد بن عبدالله بن خليفة، والشيخ دعيج صاحب بلد الكويت، وكان من أعوان

---

(١٢٠) **راجع مقال (كنت وهابياً) .**

(١٢١) **إبراهيم عبدالغني، صراع الأمراء، (ص: ٣٣). الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة، (ص: ١٧٤)**

(١٢٢) **عنوان المجد: (٢/ ١٣٠) .**

أهل البحرين، وشاء الله العزيز أن ينتقم لأهل البحرين، فانفجر البارود داخل السفن الوهابية المغيرة، فمات الجند الوهابي حرقاً وغرقا، والحمد لله رب العالمين .

ويصر ابن بشر على تسمية هؤلاء البغاة بالمسلمين، لتمييزهم عن أهل الجزيرة ومن حولها ممن يشهدون أن لا إله إلا الله، فهو عندما يذكر قتلاهم يقول: وممن قتل من المسلمين فلان مع أن هؤلاء ليسوا إلا قطّاع طرق يقتلون ويسلبون(١٢٣)؛ فهل من معتب على أسود بني ياس أن يقتلوهم ظمأ !

رأس الخيمة:

رفض القواسم الانصياع للوهابية بادئ الأمر، فأُرسل إليهم من الدرعية جيش يقوده راشد بن سنان المطيري، وبعد معارك عديدة وحصار دام (٢٧) يوماً رضخ الحاكم القاسمي بعد أن أعطي الأمان، وبعد أن اشترط على الوهابية أن يبقى حاكماً ولا تغيِّر حكومة الدرعية من وضعه كزعيم لقبيلة القواسم، وكان هذا الاستسلام والدخول في الدين الوهابي في عام (١٢١٤)هـ.(١٢٤) ومما قاله زعيم الوهابية لقواته بالبريمي: أنتم المجاهدون الموحدون، أريد منكم أن تكتبوا لصقر بن راشد القاسمي(١٢٥) بالطاعة، وتبذلوا له النصيحة بأن يتبع ديننا ويبدي الطاعة، وإلا فحاربوه بقدر ما يمكن، وإذا أعياكم قهره هذا أنا أمدكم بعسكر من الدرعية (١٢٦) ، وفعلاً قهروه فأخمد الوهابية جهاد القواسم ضدَّ النصارى في البحر، كما قال أمير الوهابية في

---

(١٢٣) عنوان المجد: (١/ ١٧٥)، (١/ ١٨٠)، (٢/ ٤٨)، (٢/ ٧٦)، (٢/ ١٢٣) .

(١٢٤) أبو حاقة، لمع الشهاب، ص:٧٨) ، وعبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، (ص:٩٣-٩٤ و٢٥٨). ود. فؤاد سعيد العابد، سياسة بريطانية في الخليج، (ص: ٣٦) .

(١٢٥) وهو حاكم رأس الخيمة وزعيم القواسم.

(١٢٦) أبو حاقة، لمع الشهاب: (ص:٧٨)، وعبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى: (ص:٩٣) .

رسالته الموجهة إلى الإنجليز سنة (١٨١٠): ..وأني منعت أتباع عقيدة محمد من أن يقوموا بأي تنكيل بسفنكم [١٢٧]، فكان الجهد مركّزاً للإغارة على باقي ربوع عمان، وأصبحت رأس الخيمة مركز إمداد وهابي؛ حتى اضطر سلطان عمان لمهاجمة الوهابية هناك وإخماد فتنتهم، مستغلاً سوء التفاهم بين الإنجليز والوهابية في تلك الفترة. هذا وقد أصبحت بلدان القواسم من بعد ملجأ للوهابية عند كل محنة وانهيار دولة[١٢٨].

واحة البريمي:

في سنة (١٢٠٧) هـ تعرضت البريمي لغزو وهابي شرس بقيادة مطلق المطيري، الذي ما يزال العمانيون يضربون به المثل في الفساد والإفساد، وكذلك من بعده ابنه سعد سنة (١٢٦٤) هـ، حيث وقعت معركة العاتكة [١٢٩]، وذلك طمعاً في ضم هذه الواحة للنفوذ الوهابي، فتعرضت قبائل النعيم وبني كعب وبني قتب، لحرب شرسة وسلب ونهب ورشاوٍ، مما اضطرهم للخضوع لسلطانهم إلى أمد، مع دفع الجزية [١٣٠]!! وهكذا اتخذت البريمي قاعدة للهجوم الوهابي على عمان، وفعلوا ما لم يفعله البوكيرك البرتغالي أثناء هجومه.

---

(١٢٧) **موجز تاريخي عن القبائل الوهابية العربية، في مجموعة: مختارات من سجلات بومباي، منشورات المكتبة السرية والسياسية بومباي (١٨٥٦)، (٢٤/ ٤٥٦) باللغة الإنكليزية.**

(١٢٨) **عنوان المجد: (١/ ٢١٥).**

(١٢٩) **وهي معركة هزم فيها الوهابية بقيادة سعد بن مطلق المطيري. عنوان المجد (٢/ ١١٧) ثم استطاعوا التغلب على سعيد بن طحنون ومن معه من أهل البريمي بعد أن جاءتهم الإمدادات من بعض الأماكن التي احتلوها.**

(١٣٠) **لمع الشهاب (ص:٨٠)، وصفحات من تاريخ الجزيرة (ص: ١٧٤)، وعبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى،(ص: ٩٤-٩٥).**

صحـار:

بين سنة (١٢٢٢) وسنة (١٢٢٥)هـ وجه الوهابية قواتهم مرة أخرىٰ إلىٰ عمان، ولندع مؤرخهم عثمان بن بشر النجدي مرة أخرىٰ يُفصح عن بعض بغْيِهم؛ لتكون الشهادة من ألسنتهم مع التنبيه إلىٰ خلطه عند ذكر بعض أسماء القادة، ولكن العبرة فيما يشهدون به علىٰ أنفسهم من همجية ...ثمَّ سعود أرسل إلىٰ عمان عبدالله بن مزروع صاحب منفوحة، وعدة رجال من أهل نجد، و أمرهم بنـزول قصر البريمي المعروف في عمان، مطلق المطيري بجيش من أهل نجد...، فقاتل أهل الباطنة سحار (صحار) ونواحيها، ورئيسهم يومئذ عزان بن قيس.

وقاتلوا سعيد بن سلطان صاحب مسكة (مسقط) ودام القتال بينهم، وقتل من عسكر عزان مقتلة عظيمة، بلغت القتلىٰ نحو خمسمائة رجل، ثم أنه اجتمع مع مطلق المطيري جميع من هو من رعية سعود من أهل عمان، فنازل أهل سحار بألوف من المقاتل، ودخلت سنة خمس وعشرين وهم علىٰ ذلك يقتلون ويغنمون، وأخذ مطلق ومن معه قرىٰ كثيرة من نواحىٰ سحار من أهل الباطنة، وبايع غالبهم علىٰ دين الله ورسوله والسمع والطاعة!!! ولم يبق محارب إلا مسكة ونواحيها مملكة سعيد وما تحت ولاية عزان من سحار، وغنموا منها غنائم كثيرة، وبعثوا الأخماس إلىٰ سعود في الدرعية.

والذي نعلمه أن الإمام عزان بن قيس تم تنصيبه سنة (١٢٨٥هـ / ١٨٦٩م)؛ فهناك فترة ليست بالقصيرة بين عهده وعهد السلطان سعيد بن سلطان (١٨٠٦-١٨٥٦)، والمؤكد أن قبائل البريمي التي كانت تعاني من الاحتلال الوهابي استغاثت بالإمام عزان سنة (١٨٦٩)م حيث طلب ذلك زعيمها محمد بن علي النعيمي، فما كان من الإمام الذي انتخب حديثاً إلا أن هبَّ لنجدتهم في (١٨/ ١/ ١٨٦٩)، وبعد أربعة أيام من هجوم قوي، حررت البريمي من الاحتلال، وباشر الإمام علىٰ الفور بردِّ ما بقي من الأموال التي اغتصبها الوهابية لأصحابها

الأصليين، وعيَّن عليها ولاة وقضاة من السكان[131]، فلا غرابة أن يلتصق اسمه بِخَلَدِ الوهابية فيتمثَّل لهم من الفَرَقِ في كل زمان!

شناص:

قلنا في مقال آخر إن الوهابية كانوا صنيعة للنصارىٰ يتآزرون ويتناصرون، وهكذا كان حالهم في مدينة شناص حيث هجم عليها الإنجليز حوالي عام (١٢٢٥هـ/ ١٨١٠)م، وخاضوا حرباً شرسة ضدَّ أهلها، بعد أن استعصت علىٰ مطلق المطيري، ثمَّ سلموها لمطلق بعد أن أنهكتها البحرية البريطانية بالقصف.

صور:

هاجم الوهابية ساحل صور بشرقية عمان، عام (١٢٨٢)هـ، منطلقين من واحة البريمي، واستطاعوا احتلالها وتقتيل الكثير من أهلها، واستولوا علىٰ أموال التجار، وكان من حسن حظ أهل صور أن بعض هؤلاء التجار كانوا هنوداً من رعايا الدولة البريطانية فهددتهم بالهجوم علىٰ الدمام إن أعادوا الكرَّة، وبدأت إرعابهم ليخرجوا من صور بقصفهم من البوارج البريطانية في (١١/ ٢/ ١٨٦٥)م [132].

---

[131] د. حسين عبيد غباش، عمان الديمراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي، ط. دار الجديد، (ص: ٢٢٣).

[132] موجز تاريخي عن القواسم، مجموعة مختارات سجلات بومباي، منشورات المكتبة السرية والسياسية بومباي (١٨٥٦)، (٢٤/ ٣١٩) باللغة الإنجليزية. والعقيد لويس بيلي (المقيم السياسي في بوشهر)، رحلة إلى الرياض والأوراق الخاصة، ترجمة: د. عيسى أمين، (ص: ٨٨).

جعلان:

يقول ابن بشر في أحداث ذي القعدة سنة (١٢٢٧)هـ: ..أمر سعود على مطلق أن يقصد عمان، وأمر على جيش يسير معه ويكون رئيس جيوش المسلمين!! في عمان، فسار بالجيوش، وقصد جعلان البلد المعروفة في تلك الناحية، فحاصرهم حصاراً شديداً، وأخذ عليهم غنائم كثيرة، فلما رحل عنهم اجتمع جموع منهم ومن غيرهم وتبعوا مطلقاً ومن معه من جيوش المسلمين فحصل بينهم وقعة عظيمة، ومقتلة شديدة قتل فيها من المسلمين عدة قتلى وقتل مطلق المذكور، وهكذا هزم هؤلاء اللصوص الذين يظنون أنهم قد أفلتوا بسرقتهم من النوق والمواشي ولله الحمد.

مسقط ومطرح وبركاء وسمائل والظاهرة:

وقد غزا الوهابية بقيادة مطلق سمائل[١٣٣] من داخلية عمان وبركاء من الباطنة وأغاروا على مطرح، فقتلوا ونهبوا ثمَّ توجهوا إلى مسقط، ولما عجزوا عن اقتحام سورها، أحرقوا البيوت التي خارج السور[١٣٤] .

يقول ابن بشر في أحداث سنة (١٢٢٥)هـ: وصار تركي رئيس الجميع فسارت تلك الجنود إلى عمان، ونازلوا أهل بلد مطرح المعروف على الساحل وأخذوه عنوة، وقتلوا من أهله قتلى كثيرة، وغنموا منه أموالاً عظيمة، ثم ساروا على ساحل البحر وفي باطنة عمان وظاهرتها فأخذوا بلد

---

(١٣٣) عبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى: (ص:٩٧). وأبو حاقة، لمع الشهاب: (ص: ٨٥) عنوان المجد (١/ ١٥٦) .

(١٣٤) أبو حاقة، لمع الشهاب: (ص: ٨٩).الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة: (ص: ١٧٥)، خليفة فهد، جحيم الحكم السعودي ونيران الوهابية، (ص:١٦٠).

خلفان عنوة، ثم ساروا إلىٰ جعلان وسور (صور) وسحار وغيرها وأخذوها عنوة، وأوغلوا في عمان وأخذوا أموالاً عظيمة، فلما بلغ سعود الخبر وهو في الحج أفزعه ذلك وغضب غضباً شديداً!! وهذا يريك مدىٰ تخبط الوهابية، فغاراتهم ليست سوىٰ للنهب كل يحاول أن يأخذ سهمه بأي سبيل، ولكن ماذا حدث بعد غضب الزعيم؟! لقد تدخل زعماء النحلة الوهابية للعفو عن المجرمين، وكأن دماء المسلمين التي أهرقت في عمان دماؤهم والأموال أموالهم، يقول ابن بشر: فضاق الأمر بالأبناء، وشفع فيهم رؤساء المسلمين من أهل الدرعية وغيرهم فهؤلاء هم رؤساء الوهابية أهل الدرعية يشفعون في حدود الله فقبلت الشفاعة!!

ظفار:

هاجم الوهابية ظفار في أوائل القرن العشرين الميلادي، بقيادة رجل يدعىٰ صوَيّان، وسرقوا الإبل حيث قدِموا عبر نجران وحضرموت، بعد اعتدائهم علىٰ هذين البلدين، وتمَّ ذلك بعد أن عرفوا طبيعة المنطقة أثناء رفقتهم لجون فيلبي خلال مغامرته لقطع الربع الخالي، ووصوله شمال قرية شنّه، يقول ديكسون: أنه رأىٰ شخصياً بعض هذه الجمال المسروقة سنة (١٩٣٥)م، ويصفها بأنها بنية اللون وأرق عظاماً من إبل الإحساء [١٣٥].

والخلاصة أنه قتِّل الكثير من أهل عمان، ونهبت خيراتهم، مما اضطر البعض منهم للدخول في الدين الوهابي الجديد خشية علىٰ أرواحهم وأبنائهم وأموالهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

انتقام اللهِ من الوهابية:

اللافت للنظر أن الوهابية في غاراتهم علىٰ عمان –كما يرويها ابن بشر– إما أن يخرجوا مهزومين كما تقدم في بعض المواقع، وإما أن ينـزل الله بهم البلاء، ومن ذلك:

---

(١٣٥) **ديكسون، عرب الصحراء: (ص: ٣٣٤).**

يذكر ابن بشر أن الله يسلط على نجْد القحط والأمراض بعد إغارتهم على عمان؛ فبعد أن ذكر غارة سنة (١٢٢٢)هـ التي نهبت فيها أموال أهل عمان، وسرقت ركابهم ذكر بلوغ "الغلاء والقحط في نجد على حالة في الشدَّة، وانتهى سعر البر أربعة آصع بالريال وثلاثة آصع [١٣٦] والتمر عشر وزنات بالريال، وعمَّ الغلاء في جميع نجد".. ثم ذكر نزول الأمراض والوباء عليهم فقال: "ووقع مع ذلك مرض ووباء مات فيه خلق كثير من نواحي نجد، ودخلت السنة الرابعة والأمر على حالة من الغلاء والمرض، ومات فيها والتي قبلها من سواد الناس مئون" وذكر بأن الله أهلك في هذا الوباء جماعة من قادتهم وعلمائهم، في مقدمتهم مفتيهم قاضي الدرعية الشيخ الأعمى: حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الذي تُوزع بتوجيهاته المسروقات، وضيَّق الله عليهم الأرض بما رحبت، حتى لم يبق لأميرهم إلا أن يطالبهم بالتوبة، مما اقترفوا ووزع الأمر بالتوبة في جميع أرجاء الدرعية [١٣٧].

ويذكر في أحداث سنة (١٢٦٠)هـ أن إمامهم بعث سرية إلى عمان مع المطيري، وأرسل معه قاضياً ناصر بن علي العريني، وفيها قتل البرد أكثر من [١٣٨] الزرع وذلك بعد ما حصد الربعي منه ومما لا يغفله مؤرخ الوهابية أن الله المنتقم الجبار يفرق شمل قادة الغارات ويهلكهم بعد كل غارة فقد أرسل الله سبحانه على الأمير ناصر بن الملك سعود بعد عودته برعاع نجد من غزوهم عمان إلى الدرعية مرضاً عضالاً قضى عليه بعد شهرين من العذاب، وأن والده لم يزره خلال مرضه ، وذلك عين ما حلَّ ببتال المطيري وكثير ممن غزا معه عمان إذ أهلكهم الله وهم في وادي المجمعة بوباء يسميه ابن بشر بأبي زويعه ، وأرسل الله الحمى التي قضت على قاضيهم

---

(١٣٦) **يذكر ابن بشر رجوع الأسعار بعد العذاب إلى سبعة آصع بالريال (عنوان المجد ١/ ١٤٥)**

(١٣٧) **ابن بشر، عنوان المجد: (١/ ١٤٤-١٤٥) .**

(١٣٨) **هكذا. والمراد (أكثر الزرع) أو (الأكثر من الزرع).**

الذي كانت على يديه توزع سرقات الوهابية في عمان محمد بن مقرن بعد عودته إلى الإحساء ، فلم يزل محموماً سقيم البدن حتى توفي [١٣٩].

ويقول في أحداث سنة (١٢٦٦)هـ: "وفي أول هذه السنة غضب الإمام على سعد ابن مطلق المطيري لسوء تدبيره في مسيره بالسرية المتقدم ذكرها إلى عمان [١٤٠] فعزله وجعل مكانه غيره نكالاً حتى جاء أجله " كيف لا وقد هزموا شرَّ هزيمة وقتل خلال الهجمة الفاشلة قاضي الغزو وإمامهم إمام أهل ثادق عبدالرحمن بن عزاز ، وهكذا يضرب الله الظالم بالظالم، إنّ في ذلك لعبرة لأولي الألباب.

---

(١٣٩) عنوان المجد: (٢/ ١٣٤) .

(١٤٠) أي وقعة العاتكة.

الباب الثالث

التنظيمات الإرهابية للحركة الوهابية

الفصل الأول: الجيش الوهابي المنظم «الإخوان» .

الفصل الثاني: الجماعة السلفية المحتسبة «حركة جهيمان» .

الفصل الثالث: تنظيم القاعدة .

الفصل الرابع: تنظيم الدولة «داعش» .

الفصل الخامس: جبهة النصرة .

الفصل الأول

الجيش الوهابي المنظم «الإخوان»

هو جيش منظم، مدرب على القتال بشكل جيد، وعلى أحدث الأسلحة الفردية في ذلك الوقت، أنشأه الوهابيون من شبان نجد، بطلب من جون فيلبي، مستشار حكومة نجد، في بداية القرن العشرين .

في اجتماع لهيئة كبار القادة العسكريين والسياسيين البريطانيين في مكتب شعبة المخابرات الإنجليزية بالقاهرة، اقترح جون فيلبي أحد هؤلاء القادة بتكوين جيش وهابي ضارب، يكون أداة بيد بريطانيا لضرب أي معارضة للسياسة البريطانية في نجد والشام، وسبب ذلك: أن أحد القادة العسكريين الإنجليز واسمه " وليم شكسبير " قُتل في إحدى المعارك بين القوات الوهابية مع معارضيها من القبائل البدوية الموالية للدولة العثمانية، وقُطعت رأسه وعُلقت في المدينة المنورة، ليظهر للناس خيانة الوهابيين، وتواطؤهم مع الإنجليز، فقرر أن لا يرتكب الخطأ نفسه ويُقتل كما قُتل سلفه، وكانت خطته كالتالي:

* صك مبالغ كثيرة من العملة المزيفة، جنيهات ذهب وريالات ماري تريزا، لدفعها كرواتب لمن يستخدمونهم .

* إحضار (٣٠) ألف بندقية مع ذخيرتها، وكمية من المدافع الرشاشة، إلى منطقة الجزيرة، وجعل عدد من البواخر والطائرات تحت طلب هذه العمليات .

* تجميع أكبر عدد ممكن من آل الشيخ، والدارسين لأصول الفقه، وصرف مرتبات ثابتة لهم، ليفتوا بتكفير من يعارض عبد العزيز آل سعود، وإباحة ماله وعرضه وأرضه .

* تكوين جيش متدين يلتزم بفتاوى هؤلاء الشيوخ التزاماً كلياً، يسمى «جيش الإخوان» " علامتهم الفارقة عمامة فوق الرأس، ولحية طويلة، وثوب قصير، وشعارهم "هبّت هبوب الجنة وينك ياباغيها " ...

ولتنفيذ هذا المخطط تم الإيعاز لسبط محمد بن عبد الوهاب، فعين هذا السبط عبدَ الله بنَ عبد اللطيف آل الشيخ قاضياً للدولة الوهابية، وأوعز إليه بتكوين جيش منظم من أبناء القبائل، فقام القاضي عبد الله بإنشاء حركة دينية جديدة في قرية «الأرطاوية»، أطلق عليها اسم «الإخوان»، ومن تعليماتهم:

١- أن يعيشوا وفق التعاليم الوهابية الصارمة.

٢- أن يعيشوا داخل مستوطنات فلاحية مشتركة، تعرف باسم (هُجَر) مفردها (هجرة).

٣- أن يجتنبوا الأوروبيين، ولا يتعاملوا معهم .

٤- كانت لهم ملابسهم الخاصة التي تميزهم، وهي العمامة البيضاء، وكانوا يغطون وجوههم عندما يلتقون بالأوروبيين، أو حتى العرب خارج الجزيرة العربية!

وعين الانكليز مستشارين من كل بلد عربي لاتخاذ القرارات، وكونوا لهم مجلساً أطلقوا عليه اسم (مجلس الربع) أي مجلس الجماعة، وهذا المجلس يرأسه الشيخ «جون فيلبي» نفسه، ومن أعضائه حافظ وهبه من مصر، وخالد قرقري من المغرب، وفؤاد حمزة ويوسف يس من سوريا، وبشير السعداوي من ليبيا، وعبد الله الدملوجي من العراق، وحسين العويني من لبنان، وغيرهم...

انتشرت حركة الهجرة في الجزيرة العربية، حيث انتصبت (٥٢) مستوطنة مع حلول سنة (١٩٢٠)م، و(١٢٠) في سنة (١٩٢٩)م، وواصل البدو الانخراط في هذه المستوطنات،

والمشاركة في الغارات العسكرية التي كانوا يشنُّونها على القبائل والقوافل، ويعتبرونها حروباً ضد المشركين، وحتى يبقى هذا الجيش في قبضة الدولة قام ابن سعود:

١- بدعم هؤلاء المعلمين، وتعيين القضاة، الذين مدّوا (الهُجر) بالتوجه الديني والقانوني.

٢- القيام بإبعادهم عن الولاء للزعامات القبلية، حيث كانوا من خلفيات بدوية، وكانت هذه الولاءات إحدى نقاط الضعف عند عرب الجزيرة، وكان ابن سعود يأمل في استحداث وسيلة لتوحيد هذه القبائل التي كانت تتمتع باستقلالية كبيرة، فكانت الوهابية بمثابة اللحمة التي تجمع الدولة السعودية الناشئة!! وكانت حركة «الإخوان» هي الأداة لصياغة المجتمع الوهابي الجديد.

٣- أمر ابن سعود القبائل البدوية بالانضمام إلى هذه الحركة، وإعطاء الزكاة له، لكونه يمثل الإمام الواجب الاعتراف به! وكان نظام هذه الحركة قاسياً بحقِّ الذين لم يلتحقوا بها، وكانت تعتبرهم مشركين! يجوز الإغارة عليهم، وقتلهم، أو حتّى سبي نسائهم وأطفالهم، وأخذ أموالهم غنيمة لهم.

ورأوا أن يتجمع جيش الإخوان في أماكن يطلق على كل منها اسم (الهجرة) تشبّها ـ مع الفارق الكبير ـ بالمهاجرين الذين هاجروا مع النبي العربي محمد بن عبد الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم من مكة إلى المدينة!.. وطفق تجار الدين في تلقين هؤلاء الجنود بالفتاوى الصادرة عليهم من (مجلس الربع) الواردة من مكتب المخابرات الانكليزي (المكتب الهندي) عن طريق الحاج جون فيلبي، ومنها قولهم:

كل من قتل عشرة من قبيلة شمّر أو أهالي حائل ـ أو ممن يعادون الدولة الوهابية الجديدة يدخل الجنة بلا حساب، فيجد فيها عشر حوريات من الحسان الكواعب الأتراب، بالإضافة إلى لحوم الطيور المشوية التي سيجدها كل من يُقتل تحت بيارق الدولة، بالإضافة إلى أنهر العسل

واللبن.. إلى غير ذلك مما يتمناه كل محروم في الدنيا!.. وكنوع من التضليل: أخذ "مجلس الربع" هذا يحجب مجموعات من الدجالين والمرتزقة عن نظر المخدوعين من جنود القبائل "ثم يبث" مجلس الربع اشاعات تقول: بأن (فلان، وفلان، وعلان) قد تسللوا إلى حائل فشاهدوا بأعينهم " الحور العين " داخل أسوار حائل وغيرها، ثم يكرر رجال الدين دجلهم قائلين لجنود البادية المخدوعين: ان مشاريع العمران قائمة عند الله لمن يقاتل المشركين من أهل حائل، وأهل الحجاز وعسير وتهامة واليمن والجوف والاحساء، وبعض الكفار من أهالي نجد، أما البعض الآخر التابع للدولة الوهابية فأولئك من أهل الجنة، فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين [١٤١].

قلت: يغلب على ساكني الصحراء الجهل، لبعدهم عن العلماء ووسائل الحضارة، وبطبيعة المسلم أنه يحب الرجل المتدين، الملتزم بالسنة النبوية، وإطاعته فيما يأمر وينهى، لكونه نائباً عن النبي صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم في تبليغ رسالة رب العالمين، ومن هنا كانت للدعوة قدسيتها، ولمن يقوم بهذه الوظيفة الشريفة قدسيته، لذلك اتخذ الإنجليز الدين ذريعة توصلهم إلى مآربهم، فجندوا عملاء لهم، دربوهم على تنفيذ برامجهم باسم الدين، وأخرجوهم للناس بصورة العلماء، فكانت شرائح البدو تتقبل كلامهم، لكونهم بنظرهم مبلغين عن الله تعالى شرعه الذي شرعه على لسان رسوله صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّم، ومن هنا كان خطر هذا الجيش، وقوته وجبروته، فكان إذا بطش كان بطشه قوياً، لوجود العقيدة عنده بأنه يجاهد في سبيل الله، وأن من يقاتلهم مشركون كفرة بالله، والذي يسقط قتيلاً منهم فهو شهيد، ذاهب إلى جنة عرضها كعرض السماء، والبدوي العربي شجاع بفطرته، وزاد من هذه الشجاعة التدريب على القتال، واستعمال آلته الحديثة، فكان لا ينقصه شيء من الإعداد.

---

(١٤١) **ناصر السعيد، تاريخ آل سعود (ص:٣٨) وما بعدها ، إسهام الإخوان في إنشاء المملكة السعودية، ثاوساند أوكس، ترجمة: د. عبد الله مصلح النفيعي، (١٩٦٦)م.**

أضف إلى ذلك اكتسابه الخبرة في فنون القتال، لاشتراكه في عشرات المعارك الحربية، فكان لا يشبه هذا الجيش إلا الانكشارية العثمانية، فتحقق لبريطانيا ما تصبو إليه من تأديب أي قوة معارضة لسياستها، دون أن تخسر أحداً من رجالها .

قال الشيخ بن سحمي، أحد شيوخ القبائل في تصـريح له نشـره المستر (هـ. ر.ب ديكسن) رجل المخابرات البريطاني المعروف في الكويت في كتابه (الكويت وجاراتها): " لم نكن نعلم بادئ الأمر أن بريطانيا قد جاءت تعلمنا أمور ديننا مرسلة لنا بجون فيلبي، ولم ندرك هذه الخديعة إلا في وقت متأخر بعد فوات الأوان، وبعد أن انقسمت المدينة الواحدة، والعشيرة الواحدة، والعائلة الواحدة إلى أقسام عديدة، وقام الأخ منا بقتل أخيه وابنه وزوجته، ويبيع كل ما يملكه، أو يذبح إبله وأغنامه للتخلص منها، والتخلص حتّى من أقرب الناس إليه، ومن كل ما يعوق في الدنيا عن طريق الآخرة الذي لا يعلمه الا الله!.

فندفع لمشايخ الدين، ثم نبدأ بقتال الأهل والأقارب بعد أن أوهمنا مشايخ الإنكليز بأنهم (أي أقاربنا غير الوهابيين) من الكفار، لمجرد أنهم لا يشاركوننا بهذا الجهل الذي حسبناه علما ودينا، بل وأخذنا نترك نساءنا وديعة لدى شيوخ الوهابيين، رعاية لهن، بينما نذهب للقتال بحثا عن نساء في الجنة، وملذات في الآخرة، ومن لم يمت منا ثم يرجع حقا، فإنه يجد هؤلاء الشيوخ قد تمتع بنسائه في الدنيا، وهو ذاهب يقاتل إخوته بحثا عن نساء في الآخرة، وحور موهومة بعد الموت، بعد أن يجد هؤلاء الشيوخ قد الصق العار في وجوهنا "..

هذا ما قاله أحد الذين أوهمهم شيوخ الإنجليز بحياة ناعمة في الآخرة، وبعد أن أوصلهم للاستيلاء على بلادنا حرموهم من كل شئ في الحياة.. وبهذا التضليل الوهابي اليهودي الانكليزي سارت الحركة الوهابية أولاً وأخيرا، معتمدة على دراسة نفسية لهذه القبائل، ومعتمدة على إيجاد (طوابير خامسة) داخل القبائل والمدن والقرى، ومعتمدة على فتاوى عدد

ضخم من تجار الدين، الذين خادعوا القبائل بطول شعور ذقونهم الضالة، وكان لهم أقوىٰ التأثير في نفوس بعض القبائل، حتّىٰ جعلوا من الوهم عقيدة تشربت بها عقول ودماء العدد العديد من القبائل، إلىٰ الحد الذي أسلفناه: أن الأخ قتل أخاه، والأب قتل ابنه لمجرد أن هذا المقتول عارض هذا الضلال الانكلويهودي وهابي، الذي حسبوه ديناً برقعوه ببراقع الإسلام، والإسلام منه براء، مما جعل أفراد القبائل يتبرؤون من كل شئ في الدنيا بحثاً عن ملذات الآخرة، وعندما يصاب أحدهم بجرح يمنعه عن المسير، يبادره أقرب الواقفين منه بطعنة خنجر، مسراً بأذن الصويب وهو يلفظ آخر أنفاسه قائلاً: لا تنساني عند ربك يافلان، أسرع للقاء ربك، واحجز لي عنده بيتا في الجنة .

فيرد المطعون وهو يلفظ آخر أنفاسه قائلاً: هل تريد البيت مخومس أو مسودس؟ وهو نوع من بيوت الشعر البدوية، فيرد الطاعن والدم لا يزال يقطر من يده، يسدد له طعنة أخرىٰ وأخيرة فيقول له: لا تطول الحكي، اذهب وتفاهم مع الله علىٰ نوع البيت، وما يريده الله مقبول، ولا شروط عندي إلا أن تكون فيه فرس مربوطة، وحور ممشوطة، وكلب للغنم، وسلقة للصيد، ودلو لإخراج الماء، ويكون البيت بالقرب من نهر اللبن وأشجار القهوة.

كذا.. وليست هذه الوصايا من أحاديث التندر، إنّما هي فتاوىٰ وهابية حدثت فعلاً، يرويها من عاصروها.. لقد روىٰ أحد أفراد جيش الإخوان، ممن لا زالوا أحياء لزميل له من الإخوان اسمه: فريح النّبص يقول: حينما كنت من جند الإخوان التابعين للشيخ فيصل الدويش وجرحت في معركة تربه، وتركني الإخوان طريح الأرض ينزف دمي.. لم ينقذ حياتي غير إمرأة بدوية، مرت بي فأخذتني إلىٰ بيتها، وحفرت لي حفرة في التراب، ألهبت النار فوقها حتّىٰ حمي التراب، ثم دفنتني فيها فالتأمت جراحي بهذه الطريقة، وبعناية البدوية وبعد شهرين لحقت بقوم ابن السعود، وإذا بي أجد أحد مشايخ الدين قد تزوج زوجتي بحجة أن زوجها قد تزوج

سواها في الجنة، لكنه ما أن رآني الشيخ قد رجعت أفتىٰ بكفري زاعما: أن الله قد أعادني إلىٰ الدنيا وأخرجني من الجنة لأنني من الكفار والمنافقين، فأمر الشيخ بقتلي من جديد واحراقي بالنار تطهيراً لجسدي وروحي.. الشريرة..

ويقول: لقد تمكنت من الهرب بجلدي بعد أن فقدت زوجتي الغالية، مما جعلني أكفر في الدنيا والاخرة، وألعن كل حبة رمل داستها أقدام الإخوان...

هذا الشخص لا زال علىٰ قيد الحياة واسمه علي السلامة، وقد قارب الـ ٨٠ سنة وبمثل هذه الفتاوىٰ الفاسدة، استطاع الانكليز بث الروح الوهابية اليهودية بمشايخ الدجل الديني، فخدعوا بعض القبائل التي تبرأت من كل شئ في الحياة باعتباره شقاء، منادين بأعلىٰ أصواتهم في الشوارع تخلصاً من هذا الشقاء قائلين: وينك يا شاري الشقاء؟..

لقد تخلىٰ هؤلاء المخدوعين حتّىٰ عن أموالهم باعتبارها شقاء، يمنعهم ويشقيهم عن الجهاد! وأصبح أهم ما يشغلهم قصور الجنة وحورها، وريالات الانكليز وذهبهم المزيف، وكان من أول من خُدع بهذه المغريات ويا للأسف فيصل الدويش، رئيس قبيلة مطير، وسلطان بن بجاد، رئيس قبيلة عتيبة، ومحسن الفرم، رئيس قبيلة حرب، وأبو اثنيِّن، رئيس قبيلة سبيع، وملبس بن جبرين، من شيوخ قبيلة شمَّر، وغيرهم ممن قتلهم الوهابيون أخيرا، حينما اكتشفوا الخداع الوهابي فساروا عليه.. وبالطبع فهذه القبائل كانت تابعة لشيوخها..

قال أمين الريحاني[١٤٢] :

تمثل قبائل البدو في شبه الجزيرة العربية سلاحاً ذا حدين، فهي قد تكون مثيرة للفوضى وقد

---

(١٤٢) لبناني، عمل مستشارا للملك عبد العزيز آل سعود، ثم سفيراً له في الولايات المتحدة، أرخ للحركة الوهابية، وكتابه معتمد من الوهابية، كونه موالياً لهم ، انظر كلامه في كتاب: تاريخ نجد الحديث (ص:٢٣٢) ، ط١، (١٩٢٨)، المطبعة العلمية، بيروت .

تكون قوة بيد من يُسخرها، وعرف مؤسس الدولة السعودية الحديثة الملك عبد العزيز آل سعود ذلك، فحوّل بدو نجد إلى مجتمع جديد قائم على أخوة الدين بدلاً من أخوة القبيلة، وشكّل جماعة عُرفت باسم "إخوان مَن أطاع الله" أو الإخوان السعوديين لاحقاً، وقدَّمت تلك الجماعة فوائد للملك منها: أنه أمن شر تمرد مكوّناتها، ومنها أنه حظي بعشرات الآلاف من المقاتلين.

شراكة آل سعود والوهابيين:

تعود دعوة الوهابيين إلى الداعية الحنبلي محمد بن عبد الوهاب، الذي قاد دعوة تحارب ما انتشر من ممارسات اعتبرها شركاً، ثم تحالف مع حاكم الدرعية محمد بن سعود عام (١٧٤٤) وكان ابن سعود يبحث عن سبب للقتال والغزو كعادة قبائل نجد، فسرَّه الحصول على سبب محدد جاهز، ولذلك اعتنق تعاليم ابن عبد الوهاب، ثم اقتدى به أتباعه وسمّاهم خصومهم بالوهابيين.

وبجانب الاستقرار السياسي، كان الهدف الأساسي عسكرياً وهو تجنيد القبائل، وهكذا، أصبح لدى عبد العزيز للمرة الأولى احتياطياً من رجال مستعدين دائماً للقتال، وأماكن تواجدهم معروفة وولاؤهم مضمون.

وكان ركناً أساسياً في فكر جماعة الإخوان، ويرجع ذلك إلى طبيعتهم البدوية، فقد كانوا مولعين بالغزو، وبعد تحوّلهم إلى الهُجَر، وجدوا في القتال باسم الجهاد متنفساً لرغباتهم، وتولى دعاة الوهابيين بأمر من الملك، تعليم البدو في الهجر الدين، وبُذرت بينهم أفكار الجهاد،

ويقول ثاوساند أوكس[١٤٣]: "إن الروح النضالية تم إنشاؤها عن عمد في الهجر، وبُثت مبادئ الإسلام التي حثت على محاربة الكفار، وبما أنه لا يوجد غير مسلمين في نجد والحجاز، وبما أن أهل نجد وهابيون فهم مسلمون، كان على الكفار أن يكونوا غير الوهابيين من سكان الحجاز وعسير، والعراق والكويت والأردن .

واتسم فكر الإخوان بالتشدد الديني، فرفضوا كل منتجات الحداثة، فكانوا يعتبرون ساعة اليد من عمل الشيطان، إذ لم يرد ذكرها في القرآن، وكانوا يرون أنه من المستحيل أن تعمل هذه الآلة إلا بسحر، وهذا ينطبق على السيارات والتليفون وأجهزة اللاسلكي واختراعات كثيرة، ومن تشدُّدهم أنهم جلدوا رئيس الديوان الملكي عام (١٩٢٦) في الرياض شكاً منهم بأنه لم يؤدِّ الصلاة مع الجماعة، وعيّنوا أنفسهم شرطة دينية في الرياض.

وبحلول عام (١٩١٣)، نجح ابن سعود في طرد الأتراك من الأحساء، واعترف به الباب العالي حاكماً على نجد والأحساء، ولكنه كان يخطط للتوسع، ولم يكن بمقدوره أن يجند إلا عدداً محدوداً من رجال المدن والقرى، ولفترات وجيزة، فكانت فكرته بتحويل الغزو من رياضة لدى البدو إلى جهاد عن عقيدة، كما ذكر أوكس في كتابه.

الهُجر: جمع هُجرة، وهي ترك الوطن الذي بين الكفار، والانتقال إلى دار الإسلام، أما موطن البدو فالبادية، والبادية مهد الشرك، فالهجرة منها إذن هي الهجرة إلى الله والتوحيد، كذلك هجرة مدنية، فمن بيوت الشعر إلى بيوت من لَبِن وحجر، ومن الفقر والغزو إلى أرض وهي لا تخون صاحبها إذا عمل بها المحراث ، والداعي إلى الهجرة ثلاثة أمور:

تعليم البدو الدين .

---

(١٤٣) **كتاب: إسهام الإخوان في قيام المملكة السعودية، تاوساند أوكس، ترجمة د. عبد الله مصلح النفيعي، (١٩٦٦)م، الفصل السادس، (ص:٩١) وما بعدها .**

نفعهم بأرض يحرثونها .

الاستيلاء عليهم .

وليس من السهل أن يأنف البدوي الزراعة وقد كان دائماً يأنفها، فباشر ابن سعود إصلاحه بالواسطة الدينية، فكان يرسل المطاوعة إلى البادية ليعلموا أهلها التوحيد والفرائض، ويزينوا لهم هجر ما هم فيه إلى إيمان يستشعرون، وبيت يأوون، وأرض يحرثون .

وقد استخدم في التحضير القوة المدنية أيضاً، فكان السيف يتقدم المطوع في بعض الأحايين، أو يتبعه كما تقتضي الأحوال.

تجاوز التطور في البدو حده الديني، فصاروا يهجرون ما هم فيه ليس إلى الله والتوحيد فقط، بل إلى الشريعة والنظام، وطاعة الحكام، واحترام حياة الأنام .

وكان ابن سعود يعين بقعة من الأرض فيها ماء لقبيلة أو لفخذ منها فتنزح إليها، وتباشر بناية البيوت فيها، بيد أن الصعوبة الأولى التي تغلب عليها دعاة الهجرة هي: الجمال، ومعلوم أن رزق البدوي أباعره، فما زالت عنده ما زالت البادية تستغويه، فيروح في ساعات الضجر طالباً الرزق حلالا، أو غزواً حيث كان، لذلك أُجبر البدو على بيع جمالهم .

الأرطاوية :

أُسست في سنة (١٣٣٠)هـ أول هُجرة لعرب مطير، أي الأرطاوية، شرق بريدة قرب الدهناء، أما تسميتها بالأرطاوية فهو: لأن الأرطى مرعى الإبل المعروف، يكثر في جوارها، إن هذه الهجرة لأكبر الهجر اليوم وأهمها، وقد تبعها كل سنة هجر عدة لقبائل، حتى أصبح عددها سبعين هجرة ويزيد .

وهذه الهُجر أورثت ابن سعود مشكلا في بداية الأمر، وهو أن البدو بعد أن باعوا جمالهم، وصاروا إخواناً يتعصبون بالعصابة البيضاء التي تميزهم عن الناس، أقاموا في الهجر لا يعملون شيئاً في السلم غير الصلاة، فأصبحوا عالة على صاحب البلاد، فاستعان بالعلماء بالتاريخ، وراحوا يعلمون المتحضرين أن الزراعة والتجارة والصناعة لا تنافي الدين، وأن المؤمن الغني خير من المؤمن الضعيف، وقد أفلح المطاوعة في تحبيب العمل والمال للإخوان، فشرعوا يزرعون الأرض حول الهجر ويتاجرون، وقد نشأت بعض القرى نشوءاً سريعاً حتى صارت تباري جاراتها القديمة بالزراعة والتجارة . انتهى كلام الريحاني

قال محمد المانع [١٤٤] : في سنة (١٩١٢)م كان ابن سعود قد أسس لنفسه دولة في صحراء بلاد العرب، لكن مصير تلك الدولة كان معتمداً على ولاء البادية المتغيّر سريعاً، وكان من المحتم أن تتفكّك دولته بمرور الزمن، كما تفكّكت دول عربية أقامها غيره، ما لم يجد طريقة يضمن بها استمرار ولاء القبائل له، فأنشأ مستوطنات «هُجَر» ، يستقر فيها البدو ويعملون في الزراعة، بدلاً من حياة التنقل والترحال، وقد أدرك أن تلك الهجر حينما تتأسس بصورة جيدة فإنه ستوجد لدى سكانها كل الأسباب التي تجعلهم يؤيدون حكومة قوية ثابتة، تمكنهم من الزراعة بسلام، وبهذه الطريقة يمكن القضاء على الفوضى التي كانت سائدة في الماضي، وكان يأمل أن يغرس عقيدة ابن عبد الوهاب في تلك الهجر، حتى يرتبط ساكنوها به لا برباط الرغبة المشاركة في السلم فقط، وإنما برباط العقيدة الدينية الجامعة أيضاً.

---

[١٤٤] **محمد المانع، من مواليد الزبير في العراق، عمل مرافقاً للملك عبد العزيز لمدة تسع سنوات، له كتاب «توحيد المملكة العربية السعودية، كتبه باللغة الإنجليزية، وقام بترجمته: د. عبد الله صالح العثيمين، أفرد الفصل السادس من كتابه هذا عن كيفية إنشاء الإخوان، وفصلاً آخر عن نهايتهم . انظر النص (ص:٨٧) وما بعدها.**

وكانت لكل قبيلة موارد مياه تعتبرها ملكاً خاصاً بها، وقد شجّع ابن سعود زعماء القبائل بالهِبات والمِنَح أن يبنوا بيوتاً سكَنيّة حول تلك الموارد، لكن رغم محاولاته المضُنِية لإنشاء هُجَر ناجحة فإن البدو كانوا متردّدين في قبول الفكرة، فحدثت عدة انتكاسات في هذا المجال، على أنه تغلّب عليها ببذل المال، وإعطاء الإبل وغيرها، مما جعل رجال القبائل المتردّدين يقتنِعون بجدوى التعاون بالنسبة لهم.

وكانت الأرطاوية أول هجرة أُنشِئَت في إطار الخطّة المذكورة، وذلك سنة (١٩١٣)هـ، وكان سكانها أول من سمّوا أنفسهم باسم الإخوان، ثم انتشرت الحركة بسرعة في وسط الجزيرة العربية، خاصة نجد، وعُينِّ علماء دين في كل هجرة لتعليم سكانها عقيدة ابن عبد الوهاب، وقد نجح هؤلاء في تعليمهم، لدرجة أن الإخوان سرعان ما اشتهروا بتعصبهم الديني، ورغم أن إقامة الهجر من الأحداث الجوهرية الهامة في تاريخ الجزيرة العربية الحديث فإني لم أجد تفصيلاً عنها في الكتب التاريخية التي قرأتها باللغة الإنجليزية إلا نادراً، وبما أن غايتي من هذا الكتاب ملء بعض الفجوات التي أهملها التاريخ، فإني قد ذكرت قائمة بالهُجَر المهمّة، والقبائل التي استوطَنَتها، والزعماء الذين تولوا مقاليد الأمور فيها .

ولم يكن الهدف من هُجَر الإخوان مقتصراً على خلق استقرار سياسي، وإنما تجاوز ذلك إلى غرض عسكري، فقد أصبح لدى ابن سعود للمرة الأولى، احتياطي من رجال مستعدين دائماً للقتال تُعرَف أمكنتهم، ويعتمد على ولائهم .

ورغم وجود المنافع المادية التي يمكن الحصول عليها نتيجة الاستقرار، فإن رجال القبائل لم يهجروا حياة الترحال بدون أسف، وكان يتردّد على ألسنتهم قول أحد شعرائهم بمناسبة بناء فيصل الدويش بيتاً من الطين في الأرطاوية:

زلّ الطـرب والتَّـبدي فات   مـن يـوم فيصل بنى طينه

لا واهني من قرا النصبات   وبمصحف قد عرف دينه

وكانوا قد افتقدوا، بوجه خاص، الغزوات التقليدية التي كان يقوم بها بعضهم على إبل وغنم البعض الآخر، والتي كانت أقرب إلى الرياضة منها إلى الحروب الحقيقية، وقد جعلتهم طبيعتُهم القلقة وعدم تسامحهم الديني توّاقين إلى شنّ الحروب على الكفار، ولأن الكافر في عيونهم كان تقريباً كل من ليس من الإخوان، فإن حركتهم أصبحت سلاحاً في يد ابن سعود، يستطيع أن يشهره في وجوه أعدائه متى شاء.

ولم يكن لدى الإخوان أي خوف من الموت في الحروب؛ لأن الموت في المعركة هو الطريق المؤكدة إلى الجنة، التي يعتقدون حق الاعتقاد بأنهم سيجدون فيها جداول المياه الباردة، والنسيم العليل، والنساء الجميلات، وكل ما تشتهيه نفس البدوي ويهفو إليه قلبه، وقد ألقوا الرعب في قلوب كل رجال القبائل التي لم تكن تشاركهم عقيدتهم، وكانوا إذا تحركوا نحو الشمال الشرقي من الجزيرة العربية، وتوغّلوا في العراق هربت القبائل من أمامهم عبر الفرات، وإذا اتجهوا نحو الشمال الغربي هربت القبائل الأردنية إلى سوريا، وإذا ساروا جنوباً لجأت قبائل اليمن إلى جبالها الحصينة التي يصعب اجتيازها، وكان استيلاء ابن سعود على كل من الحجاز وجبل شمّر بسهولة يرجع في الدرجة الأولى إلى جهد الإخوان، ولقد مرّ زمن في أواخر العشرينات من هذا القرن كانوا يسيطرون فيه على كل جزيرة العرب، وكان في استطاعتهم أن يضُمّوا أيّ جزء منها إلى دولة ابن سعود لو سألهم أن يقوموا بذلك، وقد كتب المؤرخ البريطاني المشهور، آرنولد توينبي، عدّة مقالات عن حركة الإخوان بين سنتي (١٩٢٢/ ١٩٢٤) م، وتكهّن بأنه إذا استمر نموّ الحركة السريع فسوف تحتوي كل شباب الجزيرة العربية وما حولها، وقد يتسنّى لها أن تعيد التاريخ الأول للإسلام، وأن تنفجر

بزحفها على البلدان المحيطة بها في آسيا وشمال إفريقيا، لكن هذا الأمر لم يحدث، ذلك أن الإخوان بدلًا من تسخير قوتهم ضد أعدائهم الأجانب، اغرّوا بأنفسهم وجبروتهم، وركزوا سطوتهم في الداخل، فثاروا ضد سلطة حكم ابن سعود، وكان الإخوان سلاحاً ذا حدّين، فمنذ بداية حركتهم كانوا مصدر متاعب بطريقة من الطرق، بل إنه لم يمضِ إلا وقت قصير من الاستيلاء على مكة المكرمة حتى تسبّبوا في إحداث قطيعة سياسية خطرة مع مصر، فقد كان من العادة أن ينسج المصريون كسوة الكعبة من قماش جميل مزركش كل عام، وقد شهد صيف سنة (١٩٢٥)م أول موسم حج تكون فيه مكة المكرمة تحت حكم ابن سعود، وكانت تلك المدينة مليئة برجال القبائل من الإخوان، الذين كانوا يؤدون حجَّهم لأول مرة، وكان المصريون حريصين على إيجاد انطباع جيد عنهم لدى الحاكم الجديد للبلاد المقدّسة، فرأوا أن يجعلوا المراسم التقليدية التي تصحب إحضار الكسوة إلى مكة المكرمة ذات أُبّهة خاصة في تلك المناسبة، وحملوها بقافلة باذخة عبر أبواب تلك المدينة، تتقدمها فرقة موسيقية، ويحيط بها حرس المحمل المصريون، وكان أن استشاط الإخوان غضباً، لأنهم بما هم عليه من محافظة دينية متشدّدة، كانوا يعتبرون عزف الموسيقى علناً تدنيساً للحرمات، وطلبوا من الموسيقيين أن يُوقِفوا عزفهم، لكن هؤلاء شعروا بالإهانة فرفضوا طلبهم، فهاجمهم الإخوان فوراً، وأطلقوا عليهم النيران، ولم ينتج عن هذه الحادثة قطع المصرين علاقاتهم السياسية مع العهد الجديد فحسب، بل إنهم رفضوا أن ينسجوا الكسوة بعد ذلك أبداً، ولهذا السبب أصبحت الكسوة منذ ذلك الوقت تعمل بأيدي عمّال سعوديين وهنود في مكة ذاتها، وكانت الروح التطهيرية لدى الإخوان من العنف بحيث كانوا يعتبرون أي نوع من أنواع التقنية الحديثة شراً يجب تفاديه، ومن ذلك أنهم كانوا يعتبرون ساعة اليد من عمل الشيطان، إذ لم يرد لها ذكر في القرآن، وكانوا يرون من المستحيل أن تعمل مثل هذه الآلة إلا بسحر، وهذا

ينطبق على السيارات والتليفون، وأجهزة اللاسلكي، وأكثر الأجهزة التي كان الملك يحتاجها لإدخال التقدم إلى دولته .

وكثيراً ما عبرّ ابن سعود عن رأيه بأنه ليس كل شيء في الحضارة الغربية شراً، وكان هدفه دائماً أن يأخذ ما هو حسن من الغرب، ويرفض ما كان سيئاً، لكن الإخوان لم يقتنعوا بسهولة، وكان ابن سعود مضطراً باستمرار إلى إيجاد مختلف الطُرُق والوسائل لإقناع رعاياه بقبول المخترعات النافعة، وكان يكفي لإقناعهم في بعض الأحيان أسلوب بسيط، كما حدث حينما أمر أن تُتلى آيات من القرآن عبر التليفون، فاضطر المستمعون إلى أن يوافقوا على أن الآلة التي تحمل كلام الله عبر أسلاكها لا يمكن أن تكون من عمل الشيطان، لكنه كان من الضروري اتخاذ موقف أشد صرامة عندما أُدخِل اللاسلكي إلى الرياض، فحين ارتفعت أصوات الاحتجاج على ذلك، لم يوقفها إلى دعوة الملك الحازمة، لكل من لا يوافق عليها أن يغادر المدينة، لكن تلك الأمور كانت تافهة إذا ما قورنت بالأمور الخطرة التي رفضها تعصُّب الإخوان، فقد قتل أحد هؤلاء رجلاً من أسرته ذاتها، لأنه لم يتمسك بتعاليمهم الصارمة، وبالإضافة إلى ذلك كانت للإخوان سُمعة مؤسفة، لعدم اتّباعِهم تقاليد الفروسية المتوارَثة عبر القرون في الحروب القبَلية، فإشاعة قتلهم الأطفال والنساء في الطائف كانت مثالاً لما كانوا يُتّهمون به من وحشية، ولأن الإخوان كانوا متشددين في الأمور الدينية، صدّق كثير من الناس ما كان يرويه خصومهم عنهم.

إن بذور ثورة الإخوان بُذِرت حينما رفض ابن سعود أن يعين ابن بجاد والدويش أميرين في مكة والمدينة بعد الاستيلاء عليهما، فقد غضب الرجلان وانسحبا بأتباعهما إلى قلب نجد، حيث ما لبثا أن شرعا في التآمر لإسقاط الملك، وكانا يدركان بتجربتهما المرُّة، أن الثورة المسلحة ستكون وبالاً عليهما، فقررا أن يتخذا وسيلة أكثر مهارة، ومن هنا اتجها إلى العراق

والأردن، وأخذا فجأة بدون رحمة، يهاجمان مخيمات ونقاط حدود منعزلة، وكانا نادراً ما ضربا مرتين في مكان واحد، وتركا دماراً وتلفاً لدىٰ مغادرتهما تلك المناطق، وكانت إحدىٰ الهجمات الشهيرة علىٰ الحدود العراقية قد نفذّتها مجموعة كانت تابعة للقوات السعودية في حصار جدة، فقد هاجمت تلك المجموعة بزعامة فيصل الدويش، مكاناً يسمّىٰ إكلاوة، كان يخيّم فيه بنو حسين من بادية العراق، وكان ذلك المكان قرب بلدة الزبير، ومن الصدف أني كنت في هذه البلدة خلال زيارة قصيرة قمت بها من الهند، وقد أرادت السلطات العسكرية البريطانية في قاعدة الشعيبة أن تذهب إلىٰ مكان الهجوم، لتطّلع علىٰ الأضرار الناتجة عنه، وطلبت من أمير الزبير أن أذهب مع رجالها لأترجم لهم، لكني رفضت أن أصحبهم قائلاً: أني لا أريد أن أُشرك في أي إجراء ضد الإخوان، وكان لدىٰ الإخوان ما يستطيعون أن يبرِّروا به هجماتهم علىٰ العراق، فقد أخذ العراقيون يحدُّون من دخول النجدين إلىٰ بلادهم، وبنوا خطاً من الاستحكامات علىٰ طول حدودهم مع نجد، وكانت أولىٰ المخافر التي حصّنوها «بصوَّة وبصيّة» ثم أضافوا إليهما السلمان، فاعتبر البدو هذه الخطوات اعتداءات علىٰ حقوقهم التقليدية في حرية الرعي والانتقال غير المقيّد عبر الحدود، وكانوا علىٰ أية حال يعتبرون العراقيين كفاراً، ولذلك فهم صيدٌ حالّ، علىٰ أن السبب الحقيقي لتلك الغزوات كان أمل الإخوان في أن السلطات البريطانية في كل من العراق والأردن، ستعتقد أن ابن سعود نفسه كان وراءها، فتعمل علىٰ الإطاحة به، وقد حقق الإخوان بعض النجاح في هذه الخطة، وظلُّوا يواصلون غزواتهم تلك لمدة ثلاث سنوات، وكانوا يخرجون في كل موسم عبر حدود العراق والكويت والأردن، فيهاجمون أي قبيلة أو مجموعة من البدو يجدونها في طريقهم، وينهبون المواشي، ويقتلون أي إنسان يقاومهم، وقد احتجّ العراقيون والبريطانيون بشدة لدىٰ ابن سعود علىٰ تلك الغزوات، واعتبروه مسؤولاً عن أعمال أولئك الغزاة، لأن

معاهدة جدة سنة (١٩٢٧)م، م قد اعترفت به ملكاً للحجاز وسلطاناً لنجد، وكان ممثل بريطانيا في تلك المعاهدة السيد كلبرت كلايتون، وكان جواب الملك عن ذلك الاحتجاج؛ أنه لم يأمر بتلك الغزوات، ولا شأن له بها، ومع ذلك استمرت الحوادث، فانتقد ابن سعود الغزوات علناً في مناسباتٍ عديدة، لكن العراقيين والبريطانيين نظروا إلى موقفه بارتياب، وأصروا على أنه لا بد أن يكون مؤيداً للغزاة، أو على الأقل لا يريد بذل أي جهد لإيقافهم، وما زلت أذكر أن أعضاء في ديوان الملك نفسه كانوا يعتقدون أنه كان يعُدّ العُدّة للاستيلاء على العراق لكن، كما اتضح فيما بعد، لم يكن لدى الملك مثل تلك النية، وفي ذلك الوقت تقريباً وجّهت الصحف العراقية كثيراً من الدعاية العدائية الموجهة ضد النجديين، وتعمّدت الإشارة على معركة سابقة هُزم فيها النجديون على أيدي العراقيين، وقد أقرّ الملك بذلك، لكنه أضاف قائلاً: دعوا البريطانيين يقفوا على الحياد، وسوف ننهي الأمر بيننا بالقوة، فتوقف العراقيون عند ذلك الحدّ، لكنهم أرسلوا وفوداً غاضبة إلى الرياض، وساد الجوّ تَوتّر عام من جرَّاء قعقعة السلاح، وحينئذٍ أصبح واضحاً أن شيئاً ما كان لا بدّ أن يُعمل لإيقاف الغزوات، وقد حاول الملك أن يؤثر على رجال القبائل بإعطائهم هدايا ثمينة كعادته، لكنّ ذلك لم يفد كثيراً، فأعلن في كل المدن والقرى داخل حكمه بأن تلك الغزوات مخالفة لأوامره مخالفةً تامة، لكن ذلك أيضاً لم يؤدِّ إلى نتيجة مفيدة، وأخيراً أصبح واضحاً لديه سنة (١٩٢٨)م أن إجراءً حازماً يجب أن يُتّخَذ، فقرر أن يعقد اجتماعاً في الرياض يحضره كل الزعماء المؤثرين؛ من علماء الدين، ورجال القبائل في المملكة، يهدف إلى إقناعهم بإعادة توكيد ولائهم له، ومن ثَمَّ عزل الإخوان الثائرين، وانعقد في الرياض اجتماع أصبح يعرف باسم «الجمعية العمومية» وفي الواقع أن سنة (١٩٢٨م/ ١٣٤٧هـ) لا تزال تُذكَر في جزيرة العرب بسنة الجمعية العمومية، وقد دعي إلى الاجتماع كل زعماء القبائل الكبيرة، بما فيهم

كثير من قادة الإخوان أنفسهم، أو المتعاطفين معهم، كما دُعِي إليه كبار علماء الدين، وأمراء المدن الكبيرة في المملكة، وكان مجموع هؤلاء حوالي: (٢٥٠) رجلاً من أعظم رجال البلاد، وخلال الأسبوعين السابقين للاجتماع الآخر، كان زعماء الإخوان يصلون إلى الرياض مع أتباعهم في مجموعات صغيرة، وكانوا خلاصة رجال الصحراء المقاتلين، إذ كانوا أشداء محاربين، لديهم شعور عميق بالاستقلال، وكان الملك مشغولاً في التفاوض مع كل وفد، لكن رجال القبائل كانوا غير راغبين في التسوية، وكان « سلطان » الاسم الأول لابن بجاد، فسار أتباعه في شوارع الرياض وأسواقها وهم يهتفون بقولهم: لقد ظهر للدين سلطان جديد، وقد هزّ ذلك رجال المدينة فأجابوهم: أنتم تدّعون أنكم مسلمون أنقياء، والمسلم لا يمكن أن يكون متكبرِّاً مثلكم، لكن الإخوان لم يخالجهم أي حياء في ذلك، وردّوا عليهم بطريقتهم المعهودة: المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وحينما حان وقت الاجتماع ذاته لم تكن هناك غرفة كافية في القصر تتسع لكل أولئك الوافدين، ولذلك عقد الاجتماع، الذي كنت سعيداً بمشاهدته، في باحة القصر، وقد جلس العلماء عن يمن الملك، وأمراء المدن والمناطق عن يساره، وجلس زعماء القبائل وممثّلوهم في وسط الباحة، وبدأ جلالته الاجتماع بإلقاء خطبة حماسية، وبّخ فيها رجال القبائل المخالفين له، وجعلهم مسؤولين عن محاولاتهم تمزيق المملكة بتصرّفهم العنيف، الذي لا مبرّر له، وانتقدهم بازدراء بقوله: إنهم يتهمونني بإحضار الكفار إلى وطني نجد، وأوضح استنكاره لاعتداءاتهم على الحدود العراقية، وهجماتهم العنيفة عليها، ناهيك عن غزواتهم على قوافل وممتلكات القبائل التي لا تنتمي إليهم داخل المملكة، لكن المتعاطفين مع الإخوان لم يأخذوا ذلك الانتقاد باستخذاء ، فقد قالوا: إنهم لم يفعلوا إلا ما يقتضيه واجبهم الديني من مهاجمة الكفار، وإعادتهم إلى العقيدة الصحيحة، ثم أثاروا احتجاجاتهم المعتادة حول مخافر الحدود العراقية، وبعد نقاش طويل سألهم الملك

عما يريدون بصراحة؟ فأجابوا: بأنهم يطالبون بأن تزال المخافر التي بُنيَت على الحدود العراقية، وان يُمنَع استعمال التليفون، وغيره من الأدوات الشيطانية في المملكة، وأن تُعَاقَب القبائل التي يعتبرونها مشاركة، كجهينة وبلي، وتعاد إلى طريق الصواب، وأن تُنَفّذ أوامر القرآن بالقوة على الجميع، بأقصى ما يمكن من الدقة، وبدون استثناء، وعند هذا الحدّ قال جلالته ببراعته المشهورة في المناورة: مع أنه لا توجد منطقة واحدة، ولا قبيلة واحدة، ولا مدينة بمفردها، بل ولا شبر من الأرض في كل أنحاء المملكة، إلا وقد أخذته بسيفي في ميدان المعركة، فإني مستعد للتنازل عن الحكم، والتخليّ عن جميع سلطاتي لأي رجل تختارونه بدلاً مني، وحينئذٍ طغت الدهشة على كل المجتمعين، واستبدّت بهم الحيرة، وبعد صمت قليل صاح جميع الزعماء الحاضرين بصوت واحد يعلنون احتجاجهم المخلص ضد فكرة استقالته، فاستفاد من الارتباك الذي أوجده، والتفت إلى العلماء، وسأل كل واحد منهم مباشرة عن رأيه فيه، حسناً كان أم سيئاً، وعما إذا كان معه أم ضده؟ ولم يكن من المستغرب أن حظي بإجماع العلماء على الثقة به، وعدم تفكيرهم بإحلال أي رجل محلّه، وكرّر الملك تلك الأسئلة على أمراء المدن، ثم على زعماء القبائل، فكانت إجاباتهم مطابقة لإجابات العلماء، وبعد أن أقرّ كل المجتمعين بأنهم موالون له، طلب من كل واحد منهم أن يجدّد البيعة له، فبايعه أفراد أسرته أولاً، ثم تلاهم العلماء، فأمراء الميدان، وأخيراً زعماء القبائل، وقد احتجّ بعض أمراء القصيم البارزين، بأنهم سبق أن بايعوه منذ بداية حكمه، وقال أحدهم، وهو عبد العزيز بن سُليم أمير عنيزة: لقد بايعتك في الكويت، لكن الملك أقنعهم بأن تلك مبايعة جديدة، فبايعه كل منهم في نهاية الأمر، وفي ذلك الخضَمّ من قسم إعلان الموالاة نُسِيَت مطالب الإخوان، ولم تحظَ بأيّة مناقشة بعد ذلك، وبعد أن انفضّ الاجتماع عاد الأمراء وزعماء القبائل إلى أوطانهم، حاملين معهم هدايا الملك السخيّة؛ من سيوف

وعطور وأموال وأطعمه، بل ومجوهرات لنساء بعضهم، وقد أعقب الملك نجاحه في الاجتماع بالسَفر إلىٰ القصيم، حيث قابل مرة أخرىٰ مُمَثِّلِي القبائل المخالفة له، وأعطاهم مزيداً من هدايا الأسلحة والمؤُن، ثم أقنع القبائل بأن توافق علىٰ عدم القيام بمزيد من الغزوات، وعدم إثارة أي اضطرابات أخرىٰ، وبعد أن قام بكل ما يستطيعه لإخضاع الإخوان بالطُرُق السلمية مضىٰ في رحلته السنوية إلىٰ مكة المكرمة لأداء الحج، وكان الناس حينذاك يأمُلون أن يهدأ الإخوان لفترة معينة، لكن هؤلاء كانوا أكثر قوة من أن يهدؤوا طويلاً بفعل الهدايا والخطب، وما أن غادرهم الملك حتىٰ شرعوا مرّة أخرىٰ، بالإغارة علىٰ الحدود بشكل أبعد عمقاً وأشد خطراً، وقد دفعت تلك الغارات العراقيين إلىٰ اتخاذ إجراءات تأديبية قوية، وبمساعدة القوات الجوية البريطانية، أخذوا يقصفون الغزاة من رجال القبائل، وكانوا في بعض الأحيان يتعقّبونهم إلىٰ نجد، ويقصفون مخيماتهم وموارد مياههم، وكانت إحدىٰ هجماتهم علىٰ قبيلة مطير في اللصافة، حيث أصيب عدد كبر من النساء والأطفال، فاضطر الملك إلىٰ تقديم احتجاج شديد اللهجة إلىٰ الحكومة البريطانية، ثم واصل محاولاته للتفاوض مع رجال القبائل، لكنهم كانوا يزدادون تعنتاً، كثيراً ما رفضوا مجرد المجيء إليه في الرياض، ولم يكن من غير المعتاد أن ترىٰ أعداداً كبيرة من الإخوان المسلحين يدخلون علىٰ هذه المدينة ويخرجون منها، معلنين بصراحة عن قوتهم، وعدم احترامهم لسلطة الملك، وحينما تصاعدت قوة الإخوان أكثر فأكثر، ازداد نفوهم في الحياة اليومية للناس العاديين في المملكة، لدرجة أن أولئك الذين لم يمرُّوا بتلك التجربة، يصعب عليهم تصوّرها، وقُبَيل وصولي إلىٰ الرياض أول مرة سنة (١٩٢٦)م جلد الإخوان علناً رئيس الديوان الملكي، وهو من هو في مكانته، بمجرد الشك في أنه لم يؤدّ الصلاة مع الجماعة، وكانت جماعات منهم تجوب الشوارع، وتتصرف بوصفها شرطة دينية، عيّنت نفسها لتعاقب كل شخص لا يتبع

تعاليمها الصارمة، أمّا هم فقد تحلُّوا بأقصىٰ ما يُمكِن من العزوف عن الحياة الدنيا، إذ حرّموا علىٰ أنفسهم كل متعة مهما كانت ضئيلة، وكانوا يحرّمون الموسيقىٰ، كما سبق أن ذُكِر عند التعرض لحادثة المحمل المصري في مكة، وكانوا يكرهون الشعر والشعراء، ويُصرّون علىٰ لبس الملابس الخشنة؛ إذ يعتبرون لبس الحرير بذخاً محرّماً، وكانوا لا يبيحون أي نوع من أنواع الحليّ، بل إن كثيراً منهم ذهب إلىٰ أبعد من ذلك، ورأىٰ وجوب إزالة الخيوط الذهبية المنسوجة في عباءاتهم، وكان من المحتمل أن يمسكوا بأي رجل يظهر وشارباه غير محفوفين، أو ثوبه أطول مما هو معتاد، فيوقفوه حتىٰ يقصوا الزائد من شعره أو ثوبه، ولم يسلم ابن سعود نفسه من موقف كهذا الموقف، فقد قيل: إنه زار مرّة محلّ فيصل الدويش في الأرطاوية، فحيّاه مضيفوه بقولهم: إن ثوبه كان أطول مما ينبغي، وجاؤوا بمقص فأزالوا منه ما زاد عن الحد المعتاد، والملك لا يزال مرتدياً للثوب، وكان من الصعب جداً علىٰ قادم جديد مثلي، غير معتاد علىٰ ذلك النوع من التقشُّف الصارم، أن يبقىٰ بعيداً عن المشاكل، ولسوء حظي كنت أدخن كثيراً قبل أن آتي إلىٰ الجزيرة العربية، وكانت رؤية الإخوان لسيجارة في يد إنسان تعني جلده علىٰ الأقل، وكانت السجاير في جدة تباع في السوق السوداء، وبقليل من الحذر استطعت أن أنغمس في رذيلتي بطريقة سهلة، لكن الأمور كانت مختلفة تماماً في الرياض، حيث كانت عيون الإخوان تترصد في كل مكان، وحيث كان لا يمكن الحصول علىٰ التبغ بأية حال، وكان لا يزال لديّ قليل من سجائر، تمكّنت من الحصول عليها من سائق سيارة هندي، فأخفيتها في إحدىٰ العوارض الخشبية من سقوف القصر، وأخذت أدخن واحدة كلما شعرت بأن لا أحد حولي، وعلىٰ الرغم من جهودي في إزالة الدخان، فإن الأنوف الحساسة للعلماء الذين كانوا يعملون في القصر، قد اكتشفت الرائحة، ولم أتخلّص من ذلك الاكتشاف إلا بصعوبة، وبعد ذلك أقلعت عن التدخين، وكان ذلك

بدون شك أمراً حسناً لصحتي، وإن كان شاقاً علىٰ نفسي وأعصابي، وفي بداية سنة (١٩٢٩)م كان من غير المستطاع السيطرة علىٰ الإخوان، فحوالي ذلك الوقت أقدموا علىٰ ارتكاب جريمة شنيعة، حين هاجمت قوة منهم قافلة كبيرة للتاجر المشهور ابن شريدة، الذي كان في طريقه من بريدة إلىٰ دمشق، وقد حاول ابن شريدة وعدد من رجاله أن يقاوموا، لكنهم قُتِلوا وأُخِذَت قافلتهم، وتلا تلك الحادثة ما كان أسوأ منها، ففي اليوم الثاني عشر من شهر رمضان، والملك يتأهب للتوجه إلىٰ الحجاز لأداء الحج، وردت الأنباء بأن اثنتين من أعظم قبائل الإخوان، عتيبة ومطير، اجتمعتا في شمال القصيم، استعداداً للقيام بأعظم هجوم شامل علىٰ الأراضي العراقية، فأدرك ابن سعود عدم جدوىٰ محاولاته إقناعهم بالطرق السلمية، وأن الحركة التي أنشأها لنشر السلام والاستقرار في مملكته، صارت أداة للعنف والفوضى، ولقد أصبح واضحاً كل الوضوح، أنه يجب سحق الإخوان، وأن القوة يجب أن تواجَه بالقوة، فبدأ جلالته يستعد للحرب، وقلبه مُثقل بالألم:

إذ لم يَكُنْ إلاّ الأسِنّةُ مَركَبٌ فما حِيلُة المضُطَر إلاّ رُكُوبُها

كان أول إجراء اتخذه ابن سعود لدىٰ سماعه بتجمع قبيلتي: عتيبة ومطير أن بعث رسائل إلىٰ أمراء المدن، وطلب منهم القدوم إلىٰ الرياض برايات الجهاد، وكان يتبع تلك الرايات كل المحاربين الموالين للملك، وقد جمع جلالته قواته بأقصىٰ سرعة، وإن كانت الأمور غير ميسرة بالنسبة له، لأن تلك الحادثة كانت في شهر رمضان، وقد طلب من أتباعه أن يفطروا، ليكونوا أكثر قوة في القتال، فتردّد بعضهم في بداية الأمر، لكنهم أخيراً اتّبعوا الأكثرية فأفطروا، وكان مِمّن وقف إلىٰ جانب الملك في وقت الحاجة أحد أنصاره القدامىٰ، وهو عبد الله بن جلوي، الذي جهزّ جيشاً من رجال القبائل المحلّية في الأحساء، وأرسله بقيادة ابنه

فهد إلى المنطقة الشمالية، لعرقلة قبيلتي شمّر والعجمان اللتين كانتا تتجمعان لمحاربة الملك، وكان جلالته قد وكّل إلى عبد العزيز ابن مساعد أمير حائل، مهمة عرقلة حركات ابن مشهور، الذي كان قد التفّ حوله أتباعه من عنزة، وأفراد قليلون من شمّر، وبذلك استطاع أن يحمي في حملته شمال الرياض، وهو واثق بأن جناحيه الشرقي والشمالي آمنان، وحالما جهزّ الملك قوّة كافية انطلق من الرياض إلى بريدة، عاصمة القصيم عبر بلدة شقراء قاعدة الوشم، وكان يصحبه غالبية رجال ديوانه، حيثما ذهب، حتى في أيام الحرب، ومن هنا كنت سأمضي معه بدون شك، وكان أكثر جيشه قد امتطوا الإبل، لكن قسماً منهم على رأسهم الملك استقلوا السيارات، وكان الملك قد أصبح يعتبر السيارات عظيمة النفع في الحروب، بشرط أن لا تعطب أو تنغرز في الرمال، ذلك أنها أسرع من الإبل، وأسهل تناولاً عند إرادة القيام بهجوم مفاجئ، أو انسحاب عاجل، ومع ذلك فقد تُرِكَت السيارات في بريدة، لأن أرض الصحراء بعدها كانت صعبة جداً، بحيث كان من غير الصواب المجازفة بالسفر عليها، وأذكر أن جلالته عقد عدة اجتماعات في بريدة، حضرها عدد كبير من البدو الموالين له، فتحدث إليهم ومازحهم بدون كُلفة، باعثاً فيهم الشجاعة، ومسدياً إليهم النصيحة، كلما رآهم في حاجة إليهما، وكان كل رجل من رجال القبائل تحدَّث إليه يعطيه رأياً حول قوّة ومكان العدوّ، أو ولاء قبيلة معيّنة، أو فخذ من أفخاذها، وبهذه الطريقة استطاع الملك جمع معلومات كثيرة، رغم أن قسماً منها كان متناقضاً، وكان من المُمتع أن يراقب المرء تلك الطريقة الفريدة، التي كان جلالته يرفع بها المعنويات، ويجمع المعلومات في وقت واحد، وتلك المهارة الفذّة التي كان يمحِّص بها التقارير، ويَزنها للحصول على صورة دقيقة للوضع العسكري الشامل، كان هناك يوم مطر قبيل مغادرتنا بريدة، فتفتّحت الصحراء بالألوان، حيث نمت الأزهار والأعشاب بواسطة الغيث، وفي طريقنا إلى المعركة بدَت الطبيعة وكأنها

ترجو لنا النجاح، وبينما كنا نسير، كان جلالته يتحدث إلىٰ أكبر عدد ممكن من الزعماء ورجال القبائل، وكان الهدف من ذلك إبقاء الروح المعنوية حيّة، وإشباع رغبته المتفتحة دائماً لسماع الأخبار، وقد اتجهنا من بريدة علىٰ النبقية، حيث تقرر أن ننتظر هناك حتىٰ وصول ابني الملك، سعود ومحمد، من الرياض، وكان الأمير فيصل قد بُعث قبل ذلك للمحافظة علىٰ الحجاز، وقد اتضح لي بعد ذلك أن الإخوان كانوا علىٰ علم بتحركاتنا خلال ذلك الوقت، وأن مطلق بن الجعباء، أحد رؤساء مطير، قد اقترح الهجوم علىٰ الرياض قبل أن يغادرها الأمير سعود، وكان يقول: إنه لا يوجد من يحميهم هناك إلا قليل من الخدم، فدعونا نذهب لنقضي عليهم، وهذا سيجعل الملك مقطوعاً في الصحراء، وكان يمكن لمثل هذه الخطة أن تنجح، لكنها لحسن الحظ لم تنفذ، فوصل الأمير سعود وأخوه سالمين، ومعهما خدمهما وعدد كبير من الحاضرة والبادية، الذين التحقوا بهما في الطريق، وقد بقينا حوالي أسبوع في منطقة النبقية، وكانت منطقة طريفة ذات تربة خصبة حمراء شبيهة بالطين، تنمو فيها نباتات صحراوية كثيرة، ولكن أكثر الناس في المعسكر لم تكن تحدوهم الرغبة في التمتع بنباتات الصحراء المدهشة، ذلك أن الجو كان يزداد توتراً، وكنا جميعاً ندرك مقدار أهمية المعركة القادمة بالنسبة لمستقبل المملكة، وذات ليلة جرت حادثة صغيرة بعد صلاة المغرب؛ إذ سُمِعَ إطلاق نار من بُعد، فصار كل رجل في حالة تأهب، وهرَعَ الملك نفسه من خيمته يصيح صيحة الحرب، ويسأل عما حدث، وقد ثبّطه عدد من زعماء البادية من الذهاب إلىٰ ناحية مصدر النار، فأرسل بعض الخدم لتقصي الموضوع، وقد اتّضح أن إطلاق النار لم يكن سوىٰ إشارة لنفر من قبيلة شمّر، كانوا قد ذهبوا ليبحثوا عن مورد ماء، فضلُّوا طريقهم، وكان رفاقهم يطلقون النار ليهدوهم إلىٰ مكانهم، وقد أوضحت تلك الحادثة السهولة التي يمكن بها حدوث نكبات، كتلك التي حدثت في روضة مهنّا وتربة، فرغم أنه لم يكن هناك سوىٰ

بضع طلقات من بعيد، فقد أصبح كل امرئ في المعسكر يحدق في الظلام مشدود الأعصاب، مستعداً لإطلاق النار على أي شيء يتحرك، وكان من الممكن جداً أن يبدأ بعضنا بإطلاق النار على البعض الآخر، وانطلقنا في صباح اليوم التالي، متّجهين إلى بلدة الزلفي، عبر سلسلة من كثبان الرمل الكبيرة، وكان أكثر سكان هذه البلدة من قبيلة عتيبة، وحين اقتربنا منها وافتنا الأخبار بأن الإخوان قد أرسلوا إليها حوالي ثلاثين رجلاً من قبيلة عتيبة، محاولين إثارة أهلها ضد الملك، والسماح لهم بالاستيلاء على حصونها، وكان هذا مثالاً للتخطيط السائد حينذاك في الحرب الصحراوية، فلو أن الإخوان نجحوا في جعل الزلفي تقف ضدنا، لكنّا قد وقعنا بين كثبان الرمل بدون ماء ، وحالما أدرك الملك الخطر، بعث خمسمائة رجل إليها، أملاً أن يقبضوا على رسل الإخوان، ويحتلّوا البلدة، وقد سمح أهل الزلفي بتردّد لرجال بن سعود أن يدخلوا بلدتهم، فهرب رجال الإخوان منها، وهكذا كاد يقع الخطر، وكان أهل الزلفي في موقف حسّاس، ممزقين بين ولاءين متعارضين؛ ولاؤهم لملكهم، وولاؤهم لقبيلتهم، ولم يقنعهم بأنه من الأفضل لهم مساندة الملك إلا بعد وصول قواته إليهم في الوقت المناسب، ومع هذا فإن استقبالهم لجلالته كان أقل من أن يوصف بالحماس، فبدلاً من إسراع السكان كلّهم للترحيب به، كما يحدث عادة، لم يستقبله إلا حفنة من وجهائهم يبدو عليهم القلق، وتتكوّن بلدة الزلفي من قريتين متجاورتين، وقد أقام جلالته خيامه بين هاتين القريتين، وكان بالقرب منها جبل حوله أرض مخصبة، فأُخِذَت الإبل إلى هناك لتُرعى، وما كِدنا نستقرّ حتى أقبلَت الإبل دفعة واحدة مسرعة إلى مخيّمنا، وكان من الواضح أنها ذُعرت من شيءٍ ما، وما لبثنا أن علِمنا ذلك الشيء؛ كان هناك رسولان، أحدهما من عتيبة، والثاني من مطير، قد هبطا من الهضبة المرتفعة التي كان يخيّم فيها الإخوان، وقد أخبرا أحد جامعي العشب (الحواشيش) المحليّين قرب تلك الهضبة، بأن يقول لنا: إنهما

قادمان علىٰ مخيّمنا في اليوم التالي، وفي اليوم التالي المذكور، قَدِم علىٰ مخيّمنا عبد العزيز بن فيصل الدويش، ممثلاً قبيلة مطير، وماجد بن خثيلة ممثلاً قبيلة عتيبة، وقالا للملك: لقد أرسلَنا زعماء القبيلتين إننا نطلب العفو منك، ونرجو أن تحلّ خلافاتنا بالطرق السلمية، ونحن لا نريد الحرب، ولقد علم المتمرّدون أن الغزو علىٰ قافلة بن شريدة قد أغضب الملك جداً، وإعراباً عن حُسن نواياهم، أن يدفعوا ثمن الإبِل التي كانوا قد استولوا عليها، وكان جواب الملك نستطيع أن نتحاكم إلىٰ قاضي الشرع، ونرىٰ ما الذي يحكم به، وكان القاضي المعُيَّن من قِبَل الملك ينظر في الأمور طبقاً لأحكام القرآن، وكان له أن يحكم في القضايا الجنائية، وقد أراد الملك بجوابه أن يضع زعماء الإخوان أنفسهم بن يدي القضاء الشرعي ليتبين ما إذا كانت أعمالهم إجرامية في نظر الشريعة أم لا، وبما أنهم سيُتّهمون بعدد من أعمال القتل والسرقة، فإنه لم يكن مستغرباً أن تكون الفكرة غير مستحبة لدىٰ رسولي الإخوان، وقبل أن يغادر الرسولان بذل لهما الملك بكرمه المعهود، هدايا من المال، ثم دعا رؤساء القبائل الذين كانوا معه، وسألهم عن آرائهم في استرحام المتمردين، وكنت أراقب تجمع هؤلاء الزعماء حول الملك، وما زلت أذكر أني شعرت فجأة في تلك اللحظات، بأن ما كنت أشاهده دراما عظيمة، إلا أن تمثيلها لم يكن يدور تخيلاً علىٰ خشبة مسرح ضيّق، وإنما يجري من أجل الحياة والموت، علىٰ الامتداد الواسع للصحراء المفتوحة، كان عبد المحسن الفرم، رئيس قبيلة جرب، أول من تكلم، وكان شديد الغضب فصاح قائلاً: أيها الإمام، إن هؤلاء الناس جاؤوا ليخدعوك ويستدرّوا عطفك، وإني لا أريد أن أشترك في هذا الاجتماع، سأذهب إلىٰ المعركة وحدي، ولدىٰ قوله ذلك، امتطىٰ فرسه مسرعاً، وكادت تعدو به لو لم يقفز ولي العهد، الأمير سعود، ويمسك به وهو يصرخ: لا تذهب فلن تعيش حتىٰ ترىٰ غروب الشمس، وبعد شجار خفيف أدرك عبد المحسن حماقة ما قام به، وعاد الاجتماع إلىٰ

النقاش بطريقة أكثر رصانة، وقد اتفق الجميع على أن مقترحات المتمرّدين للتّسوية السلمية غير مقبولة، لكن ابن سعود، الذي لم يكن مثل عبد المحسن الفرم مستسلماً للانفعالات الحادة، أدرك أنه ربما وُجِدَت إمكانية لحلّ مشكلاته مع الإخوان دون اللجوء إلى معركة شاملة، فبعث رسالة على رؤساء قبيلتي مطير وعتيبة، يسألهم مرة أخرى، أن يتحاكموا معه إلى الشرع، معلناً أنه سيخضع لحكمه مهما كان، وإعراباً عن حسن نيّته أرسل أحد علمائه على مخيم الأعداء، ومعه تعليمات كل ما يستطيع من أجل تسوية الخلاف، وكان العالِم الذي أُوكِلَت إليه تلك المهمّة عبد الله العنقري، الذي كان من أبرز علماء المملكة، وكان العلماء، بوصفهم زعماء دينيين، موضع تقدير خاص من الجميع، كما كانوا في منجى من الضرر، حتى في زمن الحرب، وكان من الممكن جداً أن يوثق باحترام الإخوان، لذلك التقليد احتراماً تاماً، خاصة أن الشيخ عبد الله العنقري كان مسؤولاً عن الشؤون الدينية في المنطقة الواقعة حول معقل الإخوان، الأرطاوية، وبدون انتظار إجابة رسالته، أمر الملك أتباعه بأن يطووا خيامهم ويتجهوا إلى السبلة، التي تقع قرب جبل طويق، وتبعد عن الزلفي حوالي أربعة أميال تقريباً، وكانت تلك الخطوة معقولة، لأن موقعنا في الزلفي لم يكن سليماً من الناحية الاستراتيجية، فهو سهل يشرف عليه جبل مرتفع، وإذا ما احتلّ المتمردون المرتفعات، أصبح من الصعب زحزحتهم عنها، وقد قرّر الملك أن يكون هناك قبلهم، وكانت الرحلة على السبلة تمرّ فوق سفح جبل طويق، المنحدر بشدة، وكان ذلك أحياناً صعباً علينا، وقاسياً على إبلنا، ونزلنا أخيراً في وادٍ صغير، قرب قمة الجبل، ولم يكن رجال استطلاع العدوّ بعيدين عنّا أبداً، وكنا نستطيع أن نرى بعضهم متّخذين مواقعهم على الجانب الآخر من الوادي، فوق قمة تلّ صغير، قضينا يومين في السبلة، والملك ينتظر الإجابة على رسالته، وكان التوتّر عظيماً، وقد حدث ما كاد يسبب هلعاً، ذلك أن أفراداً من الروقة الموالين للمملكة، من قبيلة

عتيبة، كانوا قد ظلّوا طريقهم، أخذوا يطلقون النار في الهواء، لجلب الانتباه إليهم، ولم تأت الإجابة على رسالة الملك، فبعث برسالة أخرى، وفي هذه المرّة أجاب الإخوان، بإرسال مندوب قال للملك: إذا كنت تريد حكم الشرع، فأتِ إلى مُخيّمنا، واجلس مع عالمك الخاص، ودعه يحكم في الأمر، وكان لدى جلالته شك كبير حول هذا الاقتراح، لكنه على أية حال، دعا الزعماء الذين كانوا معه لمناقشته، وقد قرروا بالإجماع أن ذلك الاقتراح مجرد خديعة، وأن الملك إن ذهب إلى مخيّم العدوّ فلن يعود منه أبداً، واتباعاً لنصيحتهم ردّ على الإخوان بأن اقتراحهم غير مقبول، فاقترحوا حلاً وسطاً، بأن يقيم الملك خيمة بن المعسكرين المتضادين، وأن يقابله هناك اثنان من ممثليهم، وقد اعتبر هذا الاقتراح خطراً أيضاً فرُفض، وبعد كثير من الأخذ والردّ، وذهاب الرُسُل وعودتهم، اتُّفق أخيراً على أن يقابل أحد رؤساء الإخوان الملك في معسكر جلالته، وفق إجراءات أمن دقيقة، وفي اليوم التالي علمنا أن ذلك الرئيس لم يكن إلا صعب المراس فيصل الدويش نفسه، وقد استقبل ذلك الخبر استقبالاً مثيراً، فكل واحد مِنّا كان توّاقاً إلى إلقاء نظرة على ذلك الرجل العظيم، ورغم أن الدويش كان عدوّاً لنا، فإنه كان يتمتّع بجاذبية شخصية، لم يتفوق عليه فيها سوى الملك نفسه، فقد كانت بسالته وجلده وصبره من الأمور الأسطورية، وكانت شجاعته المنكرة للذات تلهم أتباعه الطاعة التامة له، وحين وصل إلى مخيمنا كان غير مسلح، لكنه كان مصحوباً بثمانية خيَّالة من قبيلة مطير، بوصفهم حرساً خاصاً له، وكان أحدهم ابن عمه فيصل بن شبلان، وقد اشترط الدويش شرطاً مهماً قبل أن يوافق على مقابلة جلالته، وهو أن تكون خيمة الملك خاليةً إلاّ من الملك نفسه، وكانت خيمتي قريبة من خيمة جلالته، ولذلك كان موضعي جيداً لمراقبة ما كان يجري، وكان لخيمة الملك فتحة في كل زاوية من زواياها الأربع، فذهب إلى كل فتحة من هذه الفتحات اثنان من حرس الدويش، وبدقة عسكرية رفعوا كل

أروقة الخيمة الأربعة في وقت واحد، ليتأكدوا أن الاتفاق منفّذاً، وكان الملك وحده في الخيمة، كما كان متفقاً عليه، وقد أقسم كل من الزعيمين ألا ينال الآخر بسوء، ثم أعطى جلالته الدويش الأمان التقليدي قائلاً: أنت في حمايتي، ودخلا إلى الخيمة، وقد دامت المحادثات بينهما أكثر من ساعة، ثم خرج الدويش وأمر حرسه الشخصيين بأن يلقوا السلاح، لأنه قد تمّ الاتفاق على هُدنة مؤقتة، وبعد ذلك دُعِيَ الدويش إلى تناول الغداء مع الملك، وأُكرِمَت وفادته إكراماً يليق بضيف مبجّلٍ مثله، وقد أمر الملك بإجراء عرض عسكري تقليدي على شرف ضيفه، وإن كان جلالته بدون شك قد أراد من ذلك، أيضاً التذكير بقوّته ومهارته من الناحية العسكرية، وكان أول المستعرضين الفرسان، حيث كان أفراد كل قبيلة يطلقون صيحات الحرب القديمة الخاصة بهم، وقد ألَّف الزعيم غير المهادن، عبد المحسن الفرن، شعاراً حربياً جديداً لتلك المناسبة، فصاح وهو يمرّ بالدويش قائلاً: صبي التوحيد، أنا أخو من طاع الله، يا ويل عدوّ الشريعة منّا، ولئلاّ يفوت المعنى على المتمرّدين صاح أحد رجال القبائل التي معنا بفيصل بن شبلان قائلاً: خذها يا ابن شبلان، وفي هذه الاستعراضات عثرت إحدى الخيل ببيت نمل وكسرت رجلها فقُتِلَت، وأخذ الفارس العنان منها واقترب من الملك وهو يقول بأسلوبه الصحراوي الصريح: العوض يا محفوظ، فأجابه الملك: أبشر به، لكن أحد حرس الدويش، الذي كان واقفاً بالقرب منهم: حضّر عنانها، وقد فسّر خدم الملك ذلك بأنه سخرية، قصد بها لن تحصل على شيء، فغضبوا وأمسكوا بالرجل، يريدون تمزيقه بسبب كلامه الطائش، ولم يتمّ اجتناب حادثة كريهة كادت تقع إلا بتدخُّل الملك شخصياً، ووضع فوراً حراسة مشددة لحماية الدويش ورجاله من أي عنف آخر .

معركة السبلة :

وهي المعركة الأولى التي تم فيها القضاء على أول معاقل جيش الإخوان، وكانت في (٣٠/ ٣/ ١٩٢٩)م، كانت بقيادة الملك عبد العزيز، على رأس جيش يقدَّر بأربعين ألفا، وجيش الإخوان، (١٥) ألف جندي، وكان الإخوان متمركزين في أعلى الجبل، خلف الصخور، ولما وصل جيش عبد العزيز، أمطروه بوابل من الرصاص لمدة عشر دقائق، فأمر الملك جيشه بالتراجع قليلا ليتناولوا فطورهم قبل المعركة، فظن الإخوان أنهم انتصروا في المعركة، فتركوا مواقعهم الحصينة ونزلوا مسرعين ليتعقبوا رجال الملك، وكان من بين قوات الملك مفرزة مجهزة بالمدافع الرشاشة، لا يعلمها الإخوان، فلما صاروا في مرمى الهدف فتحوا عليهم النار، فأبادوا أكثرهم، وفر الباقون إلى الأرطاوية .

نهاية جيش الإخوان :

عسكر فيصل الدويش في حفر الباطن مع قواته من جيش الإخوان، فأرسل عبد العزيز إلى قبيلة حرب الموالية إليه، أن يأخذوا الدويش على حين غرة، ويقتلوه، ويُبيدوا جيشه، فهاجمته فرقة بقيادة عبد المحسن الفرم، تساعدها قبيلة الظفير، بقيادة عجمي بن سويط، فباغتهم وهم نائمون قبل الفجر، فأحرق خيامهم، واستاق إبلهم ومؤنهم قبل نهوضهم من النوم، فلما هب الإخوان من نومهم وجدوا سيوف أعدائهم فوق رؤوسهم، فقتلوا أكثرهم، وفر الباقون، وتشتت شملهم، ولم تقم بعد ذلك لجيش الإخوان قائمة [١٤٥].

---

(١٤٥) انظر: توحيد المملكة السعودية، محمد المانع، (ص:١٣٧) .

مزايا جيش الإخوان

كان التقليد في الأعراب؛ استعمال السيف والرمح في القتال، وأكثر غاراتهم على بعضهم يتم مع طلوع النهار، فيقتتلون ساعة ثم يعودون مع ما لديهم من غنائم، وهي إلى الرياضة عندهم أقرب منها إلى قتال المعارك، لكن جيش الإخوان بعد أن تدرب على المعارك الطويلة مع أعدائهم، ودخلت البنادق في حروبهم، أصبحوا قوة ضاربة لا يستهان بها، فأدخلوا بعض التحسينات على حروبهم التقليدية، وهذه التحسينات أطلق عليها اسم: الصبحة، الغارة، الراعة، الهجدة، وقد أطلقت هذه الأسماء حسب الوقت الذي يتم فيه الهجوم .

الصبحة:

وتسمى أيضاً: التصبيحة، وهي الغارة التي تتم في ساعات الفجر الأولى، والمهاجمون لا يعلمون إذا ما كان الأعداء ما زالوا نائمين أم لا، ويغطي المهجامون تحركهم بظلام الليل، ويصلون إلى هدفهم مع اتبلاج الفجر .

الغارة :

وتعرف بالقوية، وتحدث قبل الظهر، وهذه الطريقة تستخدم بواسطة قوات قوية ضاربة لا تخشى كثرة الأعداء، أو كثرة أسلحتهم، كما أنها لقوتها لا تخشى من انكشافها لعدوها .

الراعة :

وتعرف أيضاً بالتروية، وتحدث بعد الظهر، وتتطلب قوة عسكرية كبيرة ضاربة، كما هو الحال في الصبحة، وهي في الأغلب لإخافة الأعداء وإيقاع الرعب فيمن وراءهم

الهجدة :

وتعرف أيضاً بالهجاد، وهي الغزوة التي تتم في أي وقت من الليل ، من بعد غروب الشمس إلى الفجر، وهي أصعب الغزوات، لأنها تتم في الظلام، حيث يصعب التفريق بين الصديق والعدو، ويحصل الخلط بين الأفراد، إلا إذا كانت تحت قيادة قائد استثنائي مخضرم، قد خبر الحروب، والمعارك فيها كانت قصيرة وحاسمة، والقتال يتم فيها بقدر الإمكان، قرب المنازل، وحرارة الطقس، والأمطار، وقد وضع الإخوان تكتيكات جديدة موضع الاستعمال، وهي كما يلي:

(ا) مسيرة طويلة لضربة قصيرة وغزوة سريعة .

(ب) الرغبة في الشهادة في ميدان المعركة .

(ج) ذبح كل الرجال في معسكر العدو، بما في ذلك الأطفال، والنساء .

كما حصل في تربة، والطائف وأمثالها، وهذه التكتيكات الجديدة حولت مفهوم الحرب إلى خارج الخط المألوف، وبسببها قام النكير عليهم من أعدائهم ، وكانوا يستعملون الجواسيس بكثرة، فإذا أرادوا حرب قبيلة أو مدينة، أرسلوا الجواسيس ليدرسوا كل نقاط الضعف عندهم، ويدرسون مخارج ومداخل المنطقة، ومواضع المياة والمؤن فيها، وعدد الرجال المحاربين، وغير ذلك مما يحتاجون إليه في معركتهم، فكان هؤلاء الجواسيس يوفرون عليهم كثيرا من العناء والجهد، والخسائر البشرية.

تنظيم جيش الإخوان

نشرت قوات الجيش على مراكز عدة في الجزيرة العربية، منها على الحدود، لحماية الدولة من

الغزو الخارجي، وتأديب القبائل البعيدة الذي تخرج عن طاعة ولي الأمر، ومنها في الداخل لحفظ الأمن الداخلي:

القطاع الشمالي الشرقي:

على الحدود العراقية، ومقر القيادة في: "اللينة" و"أم الرضمة"، بقيادة ابن جبريل، وابن ثنيان بالترتيب، ومسؤولياتهم هي إدخال قبائل بني هذال من عنزة، الصقور، العمارات وغيرهم، والتي هي على طول حدود العراق إلى حظيرة الإخوان، بالإضافة إلى قبائل الصديد الجربا والهادي، وإخضاع قبائل شمر الجزيرة والظفير (قبيلة بني سويط) التي لم تقرر من قبل وبشكل نهائي إتباع عقيدة الإخوان .

القطاع الشمالي الغربي:

على الحدود الشامية، ومقر الرئاسة في "الجوية" بقيادة ابن عقيل وابن دغمي، ومسؤولياتهما تتعلق بتطويع البدو في سوريا وحتى معان، وإدخال كل قبيلة الرولة وابن شعلان والشرارات، وكذلك بعض الشخصيات، مثل بن جندل، وبن ملهم، وسلطان الطيار، وابن مهيد، والفدعان الذين هاجروا إلى ما وراء حلب، وبنو صخر، وبنو عطية، وحمل قبائل الحويطات على الانضمام للإخوان .

شمال الحجاز :

على طول خط المدينة، ومقر قيادتها "دخنة، وتيماء" وزعيم هذا القطاه ابن نحيت، ومسؤولياته إخضاع قبائل فرحان الآيدا وسلطان الفقير، وآخرون من قبيلة عنزة حول مكة وخيبر، مثل: أولاد علي، والغضاورة، وهتيم، وبني سالم، وأولاد محمد والمسروح، وعناصر من قبيلة حرب

جنوب الحجاز :

على طول خط مكة، ومقار قيادته " الخرمة" بقيادة خالد بن لؤي، ومسؤولياته فرض سيطرة الإخوان، وإخضاع حمران وسالم وزبيد ومسروح، عناصر من قبيلة حرب، وجزء من بني سالم، ومجموعات مرتبطة بهم، موجودة على الطريق الشرقي الذي يربط مكة بالمدينة .

الفرع الاحتياطي:

ومقره الأرطاوية، مركز جيش الإخوان، بقيادة فيصل الدويش، ومسؤولياته تمتد من المناطق الشمالية إلى جنوب الحجاز، وهذا الفرع يذهب لمساعدة الذين يحتاجون للمساعدة .

عدد الجيش :

العدد الفعلي للرجال الذين هم إخوان، أو الصبيان الذين سكونون كذلك، كما في كتاب: (صقر الجزيرة) للعطار :

مطير: (٤٠ , ٠٠٠) ، أربعون ألفا.

الدواسر (٧٠٠٠) سبعة آلاف .

عتيبة الروقة: (١٤٠٠٠) أربعة عشر الفا .

عتيبة برقة: (٨٠٠٠) ثمانية آلاف .

الغطغط: (١٥٠٠٠) خمسة عشر ألفا .

عجمان: (١٥٠٠٠) خمسة عسر ألفا .

حرب: (٣٠, ٠٠٠) ثلاثون ألفا .

عوازم: (١٥٠٠٠) خمسة عشر الفا .

آل مرة: (١٠, ٠٠٠) عشرة آلاف .

شمَّر: (١٥٠٠٠) خمسة عشر ألفا .

المجموع الكلي: (١٦٩, ٠٠٠) مائة وتسعة وستون الف جندي، ويصل عدد الجيش كاملاً مع الاحتياط في حالة التعبئة العامة، كما قدّره الملك عبد العزيز (٣٠٠, ٠٠٠) ثلاثمائة ألف جندي، أغلبيتهم مسلحون بالبنادق، والباقي مسلحون بالسيوف والحراب.

بهذا الجيش الذي أنشأه جون فيلبي، تمكن عبد العزيز من إخضاع كافة أقاليم الجزيرة العربية، وضمها تحت حكمه، حتى انتهى بإعلان الجزيرة مملكة سعودية.

وبناء على المقدمات التي بُني عليها جيش الإخوان، وهي: الدين الخالص، الزهد في متاع الدنيا، التعصب لمبدأ الإخوان الذين يعتبرون أنفسهم المؤمنين فقط، وغيرهم مشركون، كما علمهم علماؤهم من مشايخ الوهابية، كانت النتائج الخاطئة التي واجهها عبد العزيز نفسه، حيث كان أول صدام معهم عندما زارهم في الأرطاوية، فوجدوا ثوبه طويلا بعض الشيء، فقصوه بالمقص وهو ما زال يلبسه، ولم يراعوا لزعيمهم احتراما، فكان أمرهم بالمعروف في منتهى الجفاف، والبعد عن الحكمة.

اعتبر الإخوان أنفسهم أوصياء على الدين، فقاموا بالحسبة، وهي بمثابة الشرطة الدينية، لمعاقبة كل من وجدوه مرتكباً لمخالفة يرونها شرعية، فإذا وجدوا رجلاً مع امرأة يسيران في الشارع عاقبوهما بالتعزير، حتى يُثبت أنها زوجته أو إحدى محارمه.

وكانوا يجلدون شارب التبغ حيث حرّموه، كما حرموا لبس ساعة اليد، لاعتبار أن الشيطان هو الذي يحركها، وحرموا استعمال الراديو، والتلغراف، والسيارة لكونها بدعة لم يستعملها النبي ﷺ، كما انهم أزالوا الخيوط الذهبية من عباءاتهم، وألزموا غيرهم بلبس العمامة، وإعفاء اللحية، وإحفاء الشارب، وتقصير الثوب إلى ما دون الركبة، ومن ظنوا فيه التخلف عن صلاة الجماعة عزَّروه، ولو لمجرد الظن .

كما أنهم تدخلوا بشؤون الحكم، فهم يريدون رفع راية الجهاد، فيخرجون لنشر وهابيتهم خارج الجزيرة، ولكن السياسة تفرض على الملك عبد العزيز احترام الدول المجاورة، وسيادتها على أرضها، فوقع الخصام بينهم لكونه لا يريد رفع راية الجهاد، واعتبروا ذلك مخالفاً لسنة الإسلام، فكان بداية الانشقاق والخصومة .

ومن أراد أن يرى طبيعة جيش الإخوان على صورة متخيلة في الذهن فلينظر إلى تنظيم الدولة، «داعش» فهم نسخة عنه، لذلك كان نهايتة وبالاً على من أنشأه، وكلفه كثيراً حتى قضى عليه، وتخلص من شره .

الفصل الثاني

الجماعة السلفية المحتسبة

«حركة جهيمان»

وهي التنظيم الثاني من الحركات المتطرفة، التي تمخضت عنها الحركة الوهابية، والتي تسمت باسم: «الجماعة السلفية المحتسبة»، وكما عُرفت فيما بعد باسم: حركة جهيمان العتيبي، وحتى نلقي الضوء على هذه الحركة، نود الحديث عنها من عدة جوانب:

الأول: تعريف عام بالجماعة .

الثاني: تعريف عام بجهيمان .

الثالث: حادثة الحرم .

الرابع: رسالة جهيمان .

الخامس: النتائج والمقدمات .

تعريف عام بالجماعة :

بعد قيام المملكة السعودية، وهي الدولة الوهابية الثالثة، وتنفيذا لبيعة الإمامين: محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب، مؤسسي الدولة الوهابية، كان لآل الشيخ السلطة الدينية في الدولة الجديدة، وآل الشيخ هم: ذرية محمد بن عبد الوهاب، فبعد تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة (١٩٦١)م، برئاسة المفتي العام محمد إبراهيم آل الشيخ، ثم عبد العزيز بن

باز، وكلاهما كان متحمساً لتأسيس حركة وهابية عريضة في الحجاز، الذي كان يتمتع باستقلال ثقافي وديني، ولذلك شجعا طلبتهما على العمل والانخراط في مجالي الدعوة والحسبة .

وصادفت هذه الفترة وصول ناصر الألباني من سوريا إلى المدينة، وكانت تربطه بابن باز علاقة شخصية، فعرض عليه منصباً في الجامعة فرفض، لكنه أخذ يدرِّس بدار الحديث التابعة للجامعة بمحاضرات غير متفرغ، فصار يلقي فيها محاضراته عندما يأتي للحج أو العمرة، وكان الألباني صاحب مدرسة متطرفة، يدعو لنبذ المذاهب، وعودة الناس إلى مدارس الحديث، والحركة الوهابية تتبنى مذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفقه، والتفسير الحرفي للنص، فانتقد الألباني الدولة الوهابية لقيامها على تقليد المذاهب، وكان له معجبون من الطلاب، الذين آخذوا بأفكاره المتشددة .

وفي خلال هذه الظروف تشكلت المجموعة التي تسمت باسم: "الجماعة السلفية المحتسبة"، شكَّلها مجموعة صغيرة من طلبة الدين الذين كانوا يعملون في مجال الدعوة في الأحياء الفقيرة، وكان هؤلاء من طلاب الألباني الذين تأثروا بتعاليمه، فأصبح لديهم إيمان راسخ بأن المذاهب الفقهية، والحركة الوهابية بحاجة إلى تنقية من البدع والأفكار الخاطئة، كما عملوا على مواجهة التأثير المتزايد لجماعات أخرى موجودة على الساحة في المدينة المنورة .

وكان هؤلاء الطلاب من فئة الشباب العمرية، الذي يغمرهم الحماس، والاندفاع بالفطرة متأثرين بأفكار الألباني، ولم يكن لهم من يوجههم التوجيه الصحيح لاستعمال الحكمة في الدعوة والإرشاد، فشاهدوا بعض المخالفات الشرعية حول الحرم النبوي الشريف، فأنكروا هذه الأمور، وتجمعوا في الحرم النبوي يوم جمعة، واتفقوا على أن يغيروا هذا المنكر باليد، وفعلاً قام بعضهم بتكسير واجهة محلات تصوير، لعرضها صوراً فوتوغرافية، التي يحرمها الوهابيون، كما قاموا بتكسير التماثيل المكسوة بالملابس النسائية المعروضة أمام محلات الملابس

التجارية، كما حدثت بعض الاحتكاكات والمصادمات بين هؤلاء الدعاة المتعصبين، وبين السكان المحليين، ونظراً لكونهم تعرضوا للمواطنين بإتلاف أموالهم قبضت عليهم الشرطة وأودعتهم السجن، وقد لفتت هذه الحادثة نظر الناشطين الرئيسيين إلى ضرورة تنسيق الجهود، لإنشاء جماعة مرخصة من الدولة تُعنى بهذا الأمر .

ففي عام (١٩٦٦) قام كل من: جهيمان العتيبي، وسليمان شتيوي، وناصر الحربي، وسعد التميمي، بزيارة الشيخ عبد العزيز بن باز ليبلغوه أنهم قرروا تأسيس جماعة سلفية، تنبذ التمذهب وتدعو إلى التوحيد، والتمسك بالكتاب والسنة، كما قرروا أن يسموا مجموعتهم الجماعة السلفية، عرضوا على الشيخ أن يكون مرشدهم فوافق، وقام بتعديل اسم الجماعة ليصبح: "الجماعة السلفية المحتسبة" ، والمحتسبة تعني: احتساب الأجر على الله مقابل دعوتهم، أي أنهم لم يكونوا مكلفين من الدولة، بل هو عمل تطوعي .

كان جهيمان شخصية ذات طاقة قوية، فبدأ نشاطه تدريجياً، وجذب أعداداً لا بأس بها من الأتباع في المدينة، وكانوا يجتمعون في منزل بُني خصيصاً ليكون مقراً للجماعة، وعُرف باسم: "بيت الإخوان"، وكان موقعه في الحرة الشرقية، وهي منطقة مشهورة بمحافظة سكانها الدينية الصارمة، فأصبح هذا البيت نقطة التجمع لهؤلاء الدعاة، ومركز إدارتها، كما أصبح مركزاً للدروس اليومية، والمؤتمرات الأسبوعية، وكان يديره أحمد حسن المعلم، أحد أصدقاء جهيمان المقربين، وطالب يمني سابق في الجامعة الإسلامية.

وبمرور الوقت أصبح هيكل الجماعة التنظيمي أكبر حجماً، وأكثر تعقيداً، فتم استحداث لجان إدارية، لتنسيق أمور الجماعة، فكانت إحدى اللجان متخصصة في تنظيم سفريات الأعضاء، وأخرى متخصصة في تنسيق استقبال الضيوف، وثالثة متخصصة في تنظيم رحلات الأعضاء المسمَّين بالمسافرين الجوالين، الذين يعملون في مجال الدعوة وتجنيد الأعضاء الجدد .

كما شجعت الجماعة أتباعها على تأسيس وإنشاء فروع لها في مختلف المدن، وبحلول عام (١٩٧٦) كان هناك أعضاء يوجدون بصورة عملية في جميع مدن الدولة الوهابية، بما في ذلك مكة، والرياض، وجدة، والطائف، وحائل، وأبها، والدمام، وبريدة، وكانت تلك الفروع تتبع لرئيس واحد .

مواصفات أعضاء الجماعة:

كانت السيما الغالبة على الأعضاء:

(١) أنهم من فئات عمرية واحدة، وهي فئة الشباب، وقليل منهم من يتجاوز هذه المرحلة، ومرحلة الشباب تمتاز بالطاقة الزائدة، والاندفاع والعجلة، ومجانبة الحكمة.

(٢) كما كانت السيما الثانية على الجماعة أنهم من البدو، وحديثي عهد بالحضر، فكان طابع البادية غالباً عليهم، وهؤلاء القبائل كانوا من المهمَّشين في الدولة، ومن الخاسرين في دولة التحديث .

(٣) وكانت نسبة لا بأس بها من المغتربين لا سيما اليمانيين، وهذه الشريحة كانت وما زالت تعاني من التمييز العنصري في الدولة الوهابية .

(٤) رفض الأعضاء إلى الانخراط في سلك الدولة، ساهم في تهميشهم، زيادة على ما ذكرنا، وهذا الأسباب جعلت الفجوة كبيرة بين الدولة وهذه الجماعة .

(٥) جمود الجماعة، فقد تأثر أفراد الجماعة بمدرسة الحديث التي كان يرأسها ناصر الألباني، فكانوا يضعونه مثلاً أعلى لهم، ومن ملامح تعاليم هذه المدرسة التركيز على التفسير الحرفي للنصوص الشرعية، وبالتالي رفضهم مبدأ الحداثة بكل معانيه، ومن أمثلة ذلك: معارضتهم استخدام بطاقات الهوية وجوازات السفر، لأنها تؤدي إلى الولاء لغير الله، وكانوا ضد صور الكائنات الحية، ليس في التلفزيون والصور الفوتوغرافية فحسب، بل حتى على العملة، فكانوا

يشطبون صورة الملك من على العملة الوطنية بالقلم الأسود العريض، وكان لها آراء غريبة في الشعائر والصلاة، مختلفة عما هو متعارف عليه في المجتمع، مما جعلهم بعيدين عن التجمعات الدينية الطبيعية السائدة، حيث كانوا يؤمنون بكثير من تفسيرات الألباني في كتابه: صفة صلاة النبي، وكانوا يشترطون غياب الضوء في الإفطار، وليس غروب الشمس، كما اعتبروا من السنة الصلاة في الأحذية ولو داخل المسجد، فكان سبب نزاعهم مع المصلين في المسجد النبوي، حيث كانوا يُصلون بأحذيتهم، كما أن المساجد الخاصة بهم لم تكن تحتوي على محراب لكونه بدعة في نظرهم.

أنكر علماء المدينة على هذه الجماعة ممارساتهم الغريبة، ودرسوا تغيير هذه الممارسات مع قادتهم، فقام بزيارتهم في بيت الإخوان عدد من العلماء منهم أبو بكر الجزائري، في محاولة لإقناعهم بالتخلي عن هذه الممارسات الغريبة، وهذا التشدد الممقوت، ووقع تصادم عنيف بين الجزائري وبين جهيمان العتيبي، وعلى أثر ذلك حصل انشقاق في الجماعة: الأقلية ومن ضمنهم معظم الزعماء التاريخيون للجماعة أعلنوا ولاءهم للجزائري، وغادروا بيت الإخوان، بينما الأغلبية التي تتكون من الشباب والمتشددين احتشدوا حول جهيمان، وأصروا على مواصلة ممارسة أساليبهم، ثم وصلت العلاقات معهم إلى نقطة اللاعودة في عام (١٩٧٧)م ، وأصبح جهيمان أكبر وأقدم شخصية في الجماعة، ليكون القائد الطبيعي لها، بعد أن أصبحت أقل حجما، وأكثر تشدداً، وبعد هذا التاريخ أصبح اسم جهيمان مرادفاً تماماً للجماعة، وسمى نفسه وأتباعه بـ "الإخوان ".

بعد هذه الحادثة استطاع جهيمان السيطرة على الجماعة إلى درجة أن الجماعة تحولت إلى طائفة تقدس رئيسها، وكان إخوان جهيمان يتنافسون لكسب رضاه، وكان يتم تصنيفهم اجتماعياً بحسب علاقتهم وقربهم من زعيمهم، وفي المقابل كان جهيمان يعاقب أولئك الذين يتجرؤون

علىٰ مجادلته، بتجاهلهم، وتركهم معزولين عن باقي الجماعة، ومما سهَّل السيطرة عليهم الفارق في العمر بين جهيمان، وبين هؤلاء الشباب، فقد كان هو في العقد الخامس من العمر، أي في الأربعينات، وهم في العشرينات .

وفي كانون الأول سنة (١٩٧٧) بعد حادثة السطح بفترة وجيزة قررت السلطات الأمنية اتخاذ إجراء ضد جهيمان وجماعته، بعد أن علموا عن تطرفها ووقوفها ضد السلطة الحاكمة، فخططت الشرطة للقيام بمداهمة بيت الإخوان، ولكن جهيمان تلقىٰ تحذيراً من شخص من قبيلته يعمل في جهاز الإشارة عن المداهمة الوشيكة، قبل وقوعها بساعات، لذلك غادر جهيمان بيت الإخوان فوراً وبسرعة، وبرفقته اثنان من مساعديه، كان أحدهما ناصر الحزيمي، وسعىٰ إلىٰ الاختباء في الصحراء لأن وجود الشرطة فيها ضعيف، وأعداد المناصرين له من القبائل أكثر من المدن، بقي جهيمان في الصحراء لمدة سنتين تقريباً ولم يظهر علانية إلا عند اقتحام المسجد الحرام.

وفي فترة مكوثه في الصحراء لم يكن له مقر يتصل من خلاله بالجماعة، فكان يسجل دروسه وتعليماته علىٰ أشرطة، ثم أخذ يملي علىٰ أحد أتباعه ما يجول في فكره، فكتب عنه ما عُرف بعد برسائل جهيمان، وطبعت هذه الرسائل في الكويت، ووزعت في الجزيرة .

الثاني: تعريف بجهيمان :

جهيمان بن محمد بن سيف الضان الحافي الروقي العتيبي، من مواليد ساجر، في (١٦/ ٩/ ١٩٣٦)م، وساجر، هي إحدىٰ المستوطنات التي أنشأها عبد العزيز لتكوين جيش الإخوان، وكانت تسمىٰ: الهُجَر، وكان والده من المؤيدين لسلطان بن بجاد المعارض لعبد العزيز، فاكتسب من والده الجرأة علىٰ الوقوف في وجه الحاكم، أو العالم الذي يرىٰ انحرافه، ثم

انخرط في سلك الحرس الوطني، مكث فيه مدة (١٨) سنة، كان برتبة رقيب، ثم ترك الحرس الوطني بناء على رغبته.

تحصيله العلمي للصف الرابع، لكنه كان شديد الذكاء، محباً نهماً للمطالعة والتحصيل العلمي، وكان يقوم بالدعوة أثناء وجوده بالحرس الوطني، فكان يلقي الدروس والمحاضرات، مما جعله متكلماً لا يُجهل قدره، بعد إنهائه لخدماته في الحرس الوطني أصبح لديه التفرغ التام للدعوة وطلب العلم، ذهب إلى مكة، وأخذ يحضر محاضرات المدرسين في جامعة أم القرى، ثم انتقل بعدها إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتلقى فيها محاضرات من الأساتذة هناك زاد من معلوماته.

وفي مطلع السبعينيات أكمل زملاؤه تحصيلهم العلمي، وأشغلوا مناصب في الدولة، عكس ما كان عليه جهيمان حيث كان متفرغاً للدعوة، يرى أن الذي يأخذ الراتب من الدولة لا يستطيع أن يقول كلمة الحق، فسبب هذا اختلافاً في وجهات النظر بين جهيمان وبين أصدقائه، انتهت بتفرق أصدقائه من حوله، فأصبح وحيداً، لكنه كان لديه أتباع كثيرون في مختلف المناطق، وخاصة في القبائل.

أخذت تصل تقارير إلى السلطات المحلية أن جماعة جهيمان تقوم بجمع الأسلحة، وأن لديهم فكراً يعارض سياسة الدولة، وهم من أصحاب الفكر المتطرف، فقامت السلطات بتفتيش مقراتهم فلم تجد فيها شيئا، وتشتت بعدها أمر الجماعة، وهرب جهيمان في الصحراء، وأخذ يكتب رسائله ويطبعها بعض أتباعه في الكويت ثم توزع في بلاد الحرمين والكويت، وضع في هذه الرسائل المنهج الذي يدعو إليه، وأنه لا يضع يده بيد حاكم، ولا يدين له ببيعة لبعده عن شرع الله، وأخذ ينتقد هيئة كبار العلماء، وينتقد فتاواهم، وغير ذلك مما يراه منكراً في دولة التوحيد .

بقي الأمر هكذا إلىٰ سنة (١٩٧٩)، حيث أخذ منحىٰ آخر عما كان عليه، فصار يكتب في رسائله عن الفتن، وأشراط الساعة، وأخذ يبيِّن للناس أن هذا هو آخر الزمان، وأن هذا هو أوان خروج المهدي، وصار يضع الأحاديث الواردة في فتن آخر الزمن علىٰ الواقع الذي يعيشه، بأسلوب مقنع بحيث تأثر برسائله أعداد كبيرة من الناس .

وفي خلال تواجد جهيمان في المدينة المنورة التقىٰ بـ محمد بن عبد الله القحطاني، أحد تلامذة الشيخ عبد العزيز بن باز، ونشأت بينهما صداقة متينة أسفرت عن تزويج جهيمان شقيقته من القحطاني، ثم توطدت العلاقات بينهما، بتوطيد فكرة المهدي المنتظر لدىٰ الجماعة، فكانت الجماعة ذات عقيدة راسخة بفكرة المهدي، وأن القحطاني هو المهدي الذي سيخلص الناس مما هم فيه، إلا أن القحطاني لم تكن لديه تلك القناعة، وبعدها كثرت المرائي المنامية لدىٰ الجماعة، فكان يعبرها جهيمان بأن القحطاني هو المهدي، ولتكرار هذه المنامات علىٰ مدار سنتين تقريباً أخذ القحطاني يقتنع بهذه الفكرة، وقبل بأن يكون هو شخصية المهدي.

ولدىٰ تحليل هذه المرائي التي كانت من الأسباب الرئيسة لاختيار القحطاني، وإقناعه بأنه المهدي: دخول الشيطان في هذه الأحلام، لتأكيد فكرتهم ويبث الفتنة في المسلمين، وحيَل الشيطان كثيرة، وأما السبب الآخر فهو حديث النفس، وهذا وارد ومعلوم أن ما يحدِّث به المرء نفسه في اليقظه ويكون شغله الشاغل، يترائىٰ له في النوم ، لكن الرؤيا المعصومة هي ما كان فيها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، حيث يستحيل علىٰ الشيطان التمثل بالنبي، وهذه الفكرة غابت عن جهيمان وأتباعه ليقضي الله أمراً كان مفعولا، فكانت هذه المنامات لتبدأ بعدها حادثة الحرم المكّي الشهيرة.

الإمام المهدي :

هو شخصية سياسية متدينة تظهر في آخر الزمن، تجدد لأمة الإسلام دينها، بعد انتشار الظلم والفساد في أرجاء الأرض، وقد ورد بذلك أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر المعنوي، وسيكون خروجه من مكة، وهو من آل بيت النبي ﷺ من ذرية الحسن بن علي تحديداً، وعند أعلانه خليفة يتوجه جيش كبير من الشام لمحاربته، فإذا جاوز المدينة المنورة باتجاه مكة خسف الله به، وهذه علامة على خروجه بعد أن تؤخذ له البيعة بمكة، وقد صُنفت في المهدي المصنفات الكثيرة .

وفي فكر جهيمان أنه سيخرج على رأس مائة سنة هجرية حتى يجدد القرن، وأن اسم المهدي: محمد بن عبد الله، فأطراف المعادلة أصبحت كاملة من وجهة نظر جهيمان بمطلع قرن هجريّ جديد، وبصهر يسمّى "محمد بن عبد الله"، لم ينقص المعادلة إلا بيت الله الحرام ليلوذ إليه "المهدي المنتظر"، وهذا ما تمّ بعد صلاة الفجر في (٢٠/ ١١/ ١٩٧٩)م.

فقضية المهدي كانت في محل نقاش لدى جماعة جهيمان، ومستقرة في أذهانهم، بحيث أصبحت الجزء المركزي والمهم في خطاب جهيمان منتصف سنة (١٩٧٨)، بعد هروبه إلى الصحراء، وفي نهاية العام أعلن لأتباعه أنه أصبح من الثابت عنده كما رأى في أحد أحلامه أن رفيقه محمد القحطاني هو المهدي، وكان من أسباب تحديد أن القحطاني هو المهدي: كونه يمتلك العديد من صفات المهدي الواردة في السنة، فاسمه: محمد بن عبد الله، وكان يعلن انتسابه إلى الأشراف، وكان مظهره الجسدي يطابق الأوصاف الواردة في المهدي، لكن تسميته بالقحطاني أحدثت شرخاً في المجموعة، لأن المهدي ليس قحطانيا، وإنما هو عدناني، فلم يقتنع بفكرة المهدي قسم لا بأس به من الجماعة، والجماعة الذين ظلوا على ولائهم لجهيمان هم من نفذ حادثة الحرم، والذين بقوا على فكرة أن القحطاني هو المهدي كان لديهم علم بأن محمد القحطاني ليس

قحطانياً وإنما هو من قريش، هاجر والده إلى جنوب الحجاز، ليعيش بين القبائل القحطانية هناك مدة من الزمن، فلما عاد اكتسب هذا الاسم بعد عودته.

عندما اكتملت فكرة المهدي لديهم، وبقي عن مطلع العام الهجري الجديد قريب من ستة أشهر أخذوا يضعون الخطط لدخول الحرم وأخذ البيعة، ورأوا أن السلطة الحاكمة لن تسمح لهم بهذا، فباعوا ما لديهم من ممتلكات، وأخذوا يشترون الأسلحة والعتاد، وبدءوا بالتدريب على الأسلحة حتى أتقنوا فن القتال، وقبل بداية العام الهجري الجديد أدخلوا الأسلحة والذخيرة بالناقلات التي كانت المخصصة لمياه زمزم، وأدخلوا المواد التموينية، بسيارات النقل الصغيرة وأودعوها في قبو الحرم، ثم أدخلوا الأسلحة الفردية التي ستكون في متناول اليد في توابيت نقل الموتى، موهمين أن بها جثامين موتى سيُصلى عليها في الحرم، واتفقوا على أن تكون ساعة الصفر بعد انقضاء صلاة الفجر، وكان عدد الجماعة الذين دخلوا الحرم لا يتجاوزون (٣٠٠) شخص على أبعد حد .

(الثالث) حادثة الحرم المكي :

في (٢٠/ ١١/ ١٩٧٩)م، الأول من محرم (١٤٠٠)هـ، أي أول يوم من القرن الهجري الخامس عشر، دخل جهيمان وجماعته المسجد الحرام في مكة المكرمة لأداء صلاة الفجر يحملون نعوشاً للصلاة عليها صلاة الجنازة بعد صلاة الفجر، وما أن انقضت صلاة الفجر، حتى قام جهيمان وصهره أمام المصلين في المسجد الحرام ليعلن للناس نبأ المهدي المنتظر وفراره من "أعداء الله" واعتصامه في المسجد الحرام، ثم ألقى خالد اليامي بياناً حث الناس فيه على بيعة المهدي، ثم قدّم جهيمان صهره محمد بن عبد الله القحطاني على أنه المهدي المنتظر، ومجدد هذا الدين، وذلك في اليوم الأول من بداية القرن الهجري الجديد، فقام الناس بمبايعته بين الركن والمقام، ثم قام القحطاني بالطواف على جنده في أرجاء الحرم ليأخذ منهم البيعة لنفسه، وظن أفراد الجماعة أن

الأمر قد ينتهي بأخذ البيعة، أو بعدها بقليل، لكن الأمر حدث على غير ما ظنوا، فأخذ أفراد الجماعة شبه داء الكلب، ورأوا أنفسهم على المصلين بالمكان الأعلى، فأخذوا يطلقون النار على كل من خالف أوامرهم، ثم بدءوا بإطلاق النار على الناس خارج المسجد الحرام، فسالت الدماء في الحرم، وتحولت القضية إلى أمر مأساويٍّ بمعنى الكلمة، حيث روَّعوا الناس في حرم الله الذي من دخله كان آمنا، وسفكوا دماءهم، واحتجزوا الحجاج والمعتمرين داخل المسجد في شهر الله المحرم، وكانوا يقاربون مائة الف، حتى قتل عدد منهم في صحن المسجد "ساحة الطواف"، وبقوا ينتظرون توالي الأحداث التي تعقب البيعة، وهي خسف جيش سيأتي من الشام، فصاروا يسمعون الأخبار في أجهزة الراديو ليسمعوا نبأ الخسف، لكنه لم يحصل شيء من هذا، وتدخلت القوات النظامية، وبدأ تبادل إطلاق النار، وفي اليوم الثالث قُتل القحطاني برصاص الأجهزة الأمنية، فكان هذا عاملاً غيَّر مجرى الأحداث، فألقى كثير من الجماعة السلاح لأن المهدي لن يُقتل، وبما أنه قُتل فهو ليس المهدي قطعاً، ولكن جهيمان تكتم على قتل القحطاني، وأمر باقي الجماعة بذلك .

وقعت السلطات الحكومية في مأزق كبير، فأفراد العصابة معتصمون ببيت الله الحرام، ولديهم عشرات الآلاف من المدنيين كدروع بشرية، وهذا يمنع من استخدام الأسلحة الثقيلة، وقناصة الجماعة المتمركزون في مآذن الحرم يقنصون المدنيين والعسكريين خارج المسجد على حد سواء، وبقي الأمر أسبوعين حتى نفذ الغذاء والعتاد، وتم بعدها اقتحام المسجد، وإلقاء القبض على أفراد الجماعة .

الرواية الرسمية :

بعد أن فرغ الشيخ السبيل من الصلاة التي قرأ في ركعتيها الأولى والثانية بعض آيات من سورة "التوبة"؛ علت أصوات بعض المصلين، وبدت حركةٌ مريبة في كافة أنحاء المسجد، قبل أن يتقدم شاب ذو ملامح حادة متجهمة، ليستولي على "الميكروفون" المخصص للإمام.

وجه الشخص الذي استولى على "الميكروفون" نداءً إلى جموع المصلين، طالبهم فيه بالجلوس، والاستماع لبيان هام، وسط حالة من الاضطراب التي سادت أرجاء البيت الحرام، فيما تدافع بعض المصلين نحو صحن الطواف لاستجلاء ما يحدث.

في تلك الأثناء، تسرب بعض أتباع "جهيمان" حاملين أسلحة "قناصة" إلى مآذن الحرم، فيما تكتل آخرون أمام الأبواب لمنع خروج المصلين، وإجبار الجميع على الاستماع للخطبة المرتقبة.

حاول أحد أفراد الجماعة المسلحة إغلاق باب للحرم يقع في الجهة الجنوبية، فاشتبك مع أحد حراس المكان الذي حاول منعه، فانطلقت رصاصة من سلاحه صوب حلقة معدنية في الباب، فارتدت على الرجل المسلح وأردته قتيلا، فدب الرعب في نفوس الجميع، وتتابعت الرصاصات المرتبكة المذعورة تعوي في أرجاء الحرم الشريف، وسط صرخات المصلين الذين كان بينهم أطفال ونساء، وعلى وقع هذه المأساة، بدأ أحد أفراد الجماعة خطبته.

تحدث أحد رجال الجماعة ويدعى "خالد اليامي" بصوت غريب على آذان زوار البيت العتيق، عن "المهدي المنتظر" وعلاماته وأهدافه وكيفية مبايعته، سارداً بعض الأحاديث التي تصف "المهدي" وتتحدث عن علامات ظهوره، قبل أن يصل في خطبته إلى مراده قائلًا: "فاعلموا أيها المسلمون، أنه انطبقت هذه الصفات كلها على هذا المهدي الذي سوف تبايعون بعد لحظات بين الركن والمقام"، معلنًا أن "المهدي" موجود الآن داخل صحن الحرم لتلقي البيعة!

فور انتهاء الخطبة التي صدمت الجميع، بدأ "جهيمان" وأتباعه في إجبار المصلين على التقدم نحو الكعبة بين الركن والمقام، ومبايعة زوج أخته "محمد بن عبد الله القحطاني" بصفته "المهدي المنتظر."

أمام منظر الأسلحة التي لم تشاهد داخل صحن الحرم من قبل، وجد بعض المصلين أنفسهم مجبرين على التقدم لمبايعة "المهدي المزعوم"، إلا أن آخرين رفضوا الانصياع، وحاولوا التحدث إلى رجال "جهيمان" ومناقشتهم في دعواهم، فعلت الأصوات وعمت الفوضى.

ووسط حالة الارتباك، تمكن الشيخ عبد الله السبيل من السير وسط الزحام، حتى وصل إلى غرفة له في الحرم، وقام بالاتصال مباشرة بالشيخ ناصر بن حمد الراشد رئيس شؤون الحرم آنذاك، وأخبره بالأمر وأسمعه طلقات الرصاص.

خلال دقائق، وفور أن اكتشفت السلطات أن ما يحدث بالحرم هو حدث جلل غير اعتيادي، وجه وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز أمراً بمحاصرة الحرم المكي مع التزام الهدوء وعدم مواجهة المسلحين منعاً لإراقة الدماء، فنفذت القوات توجيه الأمير بمشاركة رجال الجيش السعودي، وفرضوا سيطرتهم على المكان تمهيداً لبدء التفاوض مع "جهيمان" ورجاله حقنًا للدماء في بيت الله الحرام.

عندما شاهدت جماعة "جهيمان" القوات السعودية وهي تحاصر الحرم، بادرتهم بإطلاق الرصاص من مآذن الحرم الشريف، معتقدة أنهم يمنعون الحجاج من التوافد لمبايعة "المهدي"، لتبدأ المواجهة المسلحة بين أروقة البيت العتيق في مشهد توقف أمامه التاريخ طويلًا.

بدأ الخبر ينتشر خارج أروقة الحرم، ودب القلق إلى النفوس خوفا على بيت الله الحرام، وبدأت وكالات الأنباء تتناقل معلومات مرتبكة وغير دقيقة عما يجري في الحرم المكي، فيما أعلنت بعض الإذاعات وفاة إمام الحرم الشيخ السبيل برصاص جماعة مسلحة.

وصل الأمير نايف إلى مكة المكرمة ليشرف بنفسه على العملية وعلى الخطط المتعلقة بتحرير الحرم، فيما أسرعت القوات السعودية إلى إبعاد زوار الحرم عن المكان تجنبا للرصاص العشوائي الذي كانت تطلقه جماعة "جهيمان."

بعد (٤) ساعات من المواجهات، خلع الشيخ السبيل المشلح " العباءة " والشماغ، ونزل إلى باب أحد الأقبية، وسار بين المسلحين خافض الرأس متخفياً بين بعض الحجاج الذين كان أغلبهم من إندونيسيا، حتى تمكن من الخروج.

بعدما اتضحت الصورة كاملة أمام الملك خالد بن عبد العزيز وجه دعوة عاجلة لعدد من كبار علماء المملكة، وأطلعهم على الموقف، واستفتاهم في شأن تلك الفئة الضالة، فأفتوه بأن الواجب دعوتهم إلى الاستسلام ووضع السلاح، فإن فعلوا قبل منهم وسجنوا حتى ينظر في أمرهم شرعاً، وإن امتنعوا وجب اتخاذ كل الوسائل للقبض عليهم ولو أدى إلى قتالهم وقتل من لم يحصل القبض عليه منهم.

وصلت قوات الحرس الوطني إلى الحرم المكي قادمة من جدة والطائف، واتخذت أماكنها بجوار قوات الجيش استعداداً لتنفيذ الاقتحام وتحرير البيت العتيق، مستخدمة في ذلك مصفحات مزودة برشاشات، وقبل التنفيذ بدقائق، وصلت توجيهات الملك خالد بالحرص على سلامة المحتجزين داخل الحرم وسلامة مبنى الحرم، وإعطاء المسلحين فرصة للاستسلام، فوجهت القوات السعودية عبر مكبرات الصوت، نداء إلى "جهيمان" ورجاله، طالبتهم فيه بالخروج من الحرم، وإطلاق سراح الرهائن المحتجزين، ووقف احتلال أطهر بقعة على وجه الأرض احتراماً لقدسية المكان، إلا أن "جهيمان" رفض الطلب، وعاود إطلاق الرصاص.

في صبيحة اليوم الثاني، بدأت القوات السعودية خطة الهجوم، التي تمثلت في إحداث ثغرات في أبواب وجدران الحرم للسماح للمدرعات بالدخول، ووقع اختيارهم على ناحية المسعى

للتنفيذ، لأن المسعى مغطى، وهو ما يمنع رصاص القناصة المتمركزين في المآذن من الوصول إلى القوات النظامية.

أصدر وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز أول بيان رسمي بشأن الواقعة، معلناً اتخاذ كافة التدابير للسيطرة على الموقف، وحماية أرواح المسلمين المتواجدين بالمسجد الحرام، وجدت القوات السعودية صعوبة في تحرير الحرم مع الحفاظ في الوقت ذاته على أرواح الرهائن داخله، خاصة أن جماعة "جهيمان" كانت تجبر الرهائن على التجمع داخل صحن الحرم ليكونوا في مرمى القناصة، فحاولت القوات السعودية تنظيم عملية "إسقاط مظلي" لعدد من الجنود، إلا أن التجربة لم تنجح في فك الحصار، حيث تمكنت جماعة "جهيمان" من قنص المظليين وقتل عدد كبير منهم، فيما عمدت بعض وكالات الأنباء إلى إذاعة شائعة مفادها أنهم تمكنوا من إسقاط مروحية تابعة للقوات السعودية فوق صحن الحرم.

في اليوم الثالث للحصار، شعر "جهيمان" بأن الأطفال والنساء سيشكلون عبئاً عليه، خاصة مع محدودية الطعام الذي تمكنوا من تهريبه إلى الحرم، فقرر إطلاق سراحهم، مع الاحتفاظ بجميع الرجال حتى كبار السن منهم.

في اليوم ذاته، كان محمد بن عبد الله القحطاني بين رجاله، يحاول إقناعهم بأنه "مخلد" ولن تتمكن القوات السعودية من قتله، فكان يعيد إلقاء القنابل التي تسقط عليهم باتجاه القوات وهو ينادي "أنا المهدي يا أعداء الله"، وفي إحدى المرات انفجرت قنبلة بين يديه، ولم يتمكن الرجال من إنقاذه، فتركوه وفروا هاربين دون أن يستوثقوا مما إذا كان تُوفي أم أصيب على إثرها فقط، لتسحب القوات جثمان "القحطاني" خارج الحرم، دون أن تدري أنه "المهدي المزعوم ".

شكل مقتل عبد الله القحطاني صدمة كبيرة لكل من شاهده يُقتل، وسرى الخبر بين المسلحين، وعندما علم "جهيمان" بالواقعة غضب واتهم كل من يروج لمقتل "المهدي" بـ"عدم اليقين"

وأنه يسعى إلى إثارة الفتنة بين صفوف رجاله، مؤكداً أن "القحطاني" لا يمكن أن يُقتل لأنه "المهدي المنتظر" وإنما حُصر في مكان ما من الحرم، وسيخرج منه عقب انتهاء الأزمة لتلقي البيعة.

واصلت القوات السعودية تنفيذ خطتها لتضييق الخناق على المجموعة المسلحة التي تم دفعها للنزول إلى الدور السفلي للحرم، وهو المسمى بالخلوات، وهو دور محفور تحت مستوى أرض الحرم الشريف، فتحصنوا فيه وفي حجراته وأقبيته.

في ظهيرة يوم الجمعة (٢٣/ ١١) انتقل راديو الرياض إلى إذاعة خارجية لبث شعائر صلاة الجمعة من المسجد النبوي بدلا من المسجد الحرام كما هو معتاد، وهو ما اعتبرته بعض وكالات الأنباء دليلا على استمرار الأزمة وتحصن المسلحين داخل الحرم المكي، وفي خطبة الجمعة، أعلن خطيب المسجد النبوي أن الحكومة السعودية تواجه بحكمة هذه المجموعة من "الكفار" شاكراً الله تعالى لأن الحكومة استطاعت السيطرة على الموقف، وكادت أن تسحق المجموعة المسلحة، في محاولة منه لرفع الروح المعنوية لرجاله، بعدما اهتزت بشدة عقب مقتل "القحطاني"؛ ادعى "جهيمان" أن جيشاً تابعاً للقوات السعودية كان قادماً من تبوك لمؤازرة الجنود المتحلقين حول الحرم، فخُسفت به الأرض أثناء مروره بالصحراء، مؤكداً أن تلك الواقعة إحدى العلامات المرتبطة بظهور المهدي، وأن أحد رجاله سمعه من راديو القوات المحاصرة لهم في موقعه المتقدم للحراسة.

يوم (٢٤/ ١١) قرر أحد رجال "جهيمان" السابقين ويُدعى عبد الله الحربي، التوجه إلى الحرم النبوي، في محاولة منه لاقتحامه بهدف التخفيف عن زملائه في الحرم المكي، وقبل تنفيذ الاقتحام سافر إلى "ساجر" بحثًا عن أعوان بين قبيلة "جهيمان" فاصطدم في طريقه بنقطة تفتيش طلبوا منه التوقف، فعصى الأوامر والإنذارات المتكررة وهرب منهم، كما حاول

مقاومتهم بإطلاق النار عليهم من سلاح بحوزته، قبل أن يسقط قتيلا برصاص جنود نقطة التفتيش.

في اليوم السابع للحصار، أدىٰ المسلمون في كافة مناطق المملكة صلاة "استغاثة" داعين المولىٰ عز وجل أن يحفظ بيته الحرام، ويديم استقرار وأمن المملكة.

يوم (٢٦/ ١١) تمكنت القوات النظامية من احتلال الطرق المؤدية إلىٰ الأقبية، وطاردت رجال "جهيمان" من قبو إلىٰ آخر، وتمكنت من إلقاء القبض علىٰ عدد كبير منهم، واستسلم آخرون بعدما دب اليأس في نفوسهم بعد تأكدهم من مقتل "القحطاني"، بينما ضيقت الخناق علىٰ الباقين .

بدأت السلطات السعودية التحقيق مع الذين تم القبض عليهم، وتمحور التحقيق حول معرفة مصادر السلاح، وكيفية تهريبه إلىٰ داخل الحرم المكي، ومن خلال التحقيق، توصلت السلطات إلىٰ معرفة العديد من خيوط الجريمة، وهو ما ساعد بعد ذلك في القضاء علىٰ المجموعة المتبقية في الأقبية.

في اليوم الثالث عشر، نفذت القوات السعودية العملية النهائية التي استمرت يومين متواصلين، بعد أن حاصرت المجموعة المسلحة في أضيق نطاق وأصغر مساحة ممكنة بعيداً عن الكعبة الشريفة داخل الأقبية.

عقد مجلس الوزراء جلسة طارئة برئاسة الملك خالد بن عبد العزيز خُصصت لمناقشة الاعتداء علىٰ المسجد الحرام، عرض خلالها الملك جميع الإجراءات التي اتُّخذت بناء علىٰ الفتوىٰ الشرعية لعلماء المملكة، معلنًا تطويق الفتنة، وتطهير المسجد الحرام من العصابة التي احتلته، وأنه لم يتبقَّ إلا مجموعة ما زالت تختبئ في أقبية الجزء السفلي للمسجد.

تمكنت القوات السعودية من تضييق الخناق على كل المسلحين المتبقين على قيد الحياة، وأجبرتهم على الاستسلام فجر يوم (١٥) محرم (١٤٠٠)هـ، وآخر من ألقي القبض عليه كان "جهيمان" الذي ظل مختبئاً في أحد الأقبية، في اليوم ذاته، أصدر وزير الداخلية البيان الثاني، معلناً تطهير قبو المسجد الحرام من أفراد "الجماعة."

(الرابع) رسالة جهيمان :

بلغت رسائل جهيمان (٤٧) رسالة، كُتبت بلغة دينية رتيبة نسبياً، ولا تكشف عن مبدأ سياسي واضح، كان أكثرها ذا طابع سياسي، وأهم هذه الرسائل التي هي بعنوان: "الإمارة والبيعة والطاعة"، وكيفية البيعة لولي الأمر، والتي نشرت على الموقع الإلكتروني "منبر التوحيد والجهاد" وهي عبارة عن (٢٦) صفحة إلكترونية، ويُكثر جهيمان فيها من الاستناد إلى الأحاديث النبوية الشريفة، والآيات القرآنية للتدليل على رؤيته في الخلافة، والتي تتطور فيما بعد إلى ظهور المهدي المنتظر، كما تهتم بتقديم تلك الرؤية والتي تشتمل على نقاط أساسية هي:

* مسائل الخلافة على منهاج النبوة .
* الملك الجبري ، والبيعة الصحيحة والباطلة، والطاعة متى تجب ولمن تجب .
* مسألة الخروج على الإمام وما جاء فيه، وما يعتقده في حكام المسلمين عامة، والمخرج من هذه الفتن .

يسير جهيمان الى حد كبير على خطى إمامه ابن تيمية، وتأثر كذلك بشكري مصطفى وجماعته في مصر؛ مما أدى به في النهاية إلى الاصطدام بمؤسسة السلطة في الدولة وعلمائها، حتى أن أستاذه ابن باز لم يسلم من هجومه عليه لموالاته للسلطة، وهذا بسبب سذاجة الطرح الذي قدمه جهيمان لمسألة الحاكمية، رغم أن هذه القضية من أخطر القضايا التي تؤرق الدعاة والمصلحين. فقد تناولها الكثير من الفقهاء والأئمة بشكل أكثر علمية من تناول جهيمان لها؛

وهذا يرجع فيما يبدو للجهل الذي عليه هذه الجماعة ، وعدم التأصيل الشرعي لها كما يراه علماء الأمة المعتبرون، فليس عنده من هذه القضية إلا شذرات من العلم، وهذا ما يتضح في قرائتنا للوثيقة.

يقول: "وإذا نظرت اليوم في تطبيق هذا الحديث على الواقع، رأيت أنا نعيش اليوم الملك الجبري، الذي ليس للمسلمين فيه اختيارهم الذين يختارون الخليفة، وإنما هو الذي يفرض نفسه عليهم، ثم يبايعونه بيعة المجبرين عليها، ولا يترتب على عدم رضاهم بهذا الخليفة أنه ينعزل، كلا بل الأمر جبري، وأن حكام المسلمين اليوم لم يبايعوا الناس على ما بايع عليه الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من القول بالحق، حيثما كانوا ونصرة الدين، بل على نظام وقوانين ليس فيها من الشرع إلا ما وافق الهوى، وأما ما خالف فلا، والمقصود أنه ليس خلافة على منهاج النبوة".

شروط الخليفة والخروج عليه:

يؤكد جهيمان في رسالته على ثلاثة شروط يجب أن تتوفر في الخليفة الذي يرجوه ويقدمه للمسلمين كافة وهي:

أن يكون مسلما.

أن يكون من قريش.

أن يكون مقيما للدين.

ويستند في تقديم هذه الشروط إلى مجموعة أحاديث في الصحيحين، وبغض النظر عن صحة تلك الأحاديث من عدمها فإن تلك الشروط التي يسوقها جهيمان لا يقبلها المسلمون في هذا العصر، فقد اختلف العلماء خصوصا حول الشرط الثاني وهو أن يكون الخليفة "قرشيا" والجدير بالذكر هنا أن جهيمان لم يتجاوز تلك الآراء التي سيقت عن الخلافة في القرن الثاني

الهجري وشروط الخليفة، رغم أن هناك الكثير من الفقهاء والأئمة قاموا بتطوير هذه الشروط وتنقيحها في كل عصر حيث يكون الفقه موافقا لطبيعة العصر المعيش.

ومن هذه الشروط يصل جهيمان إلى عدم الاعتراف بحكام المسلمين ويدعو للخروج عليهم؛ لأسباب عدة، منها:

أن الحكام ليسوا من قريش.

أنهم لا يقيمون الدين، بل يهدمونه ويحاربون أهله. من وجهة نظره.

أنهم لا يأخذون البيعة من رعيتهم بصفقة اليد ونصرة القلب وطوعه واختياره، بل بالجبر والقهر .

وبهذا حسب رأي جهيمان تسقط بيعتهم وبالتالي تسقط طاعتهم؛ مما يدعو إلى الخروج عليهم ليس فقط بشكل سلمي بل بمحاربتهم.

وأما من يخرج على الإمام الشرعي حسب شروط جهيمان لشرعيته فهو عنده "عاص، معتد، ظالم، يجب قتله وردعه عن ظلمه". ويتفق هذا مع معظم الجماعات التكفيرية المنتشرة في عالمنا العربي والإسلامي الآن، فمن هو خارج عن الجماعة خارج بالتالي عن الملة، ليس هذا فقط بل من خرج عن الأمير وجب قتله.

(الخامس) المقدمات والنتائج :

عرضنا المقدمات في بحثنا وملخصها:

(١) أن الجماعة كان ينقصهم العلم، وعدم تلقيهم العلم على أيد العلماء المؤهلين جعلهم يسيرون بدعوتهم على جهل، والجاهل عدو نفسه قبل أن يكون عدو غيره.

(٢) الفئة العمرية للجماعة كانت في مرحلة الشباب، الذي يغلب عليهم الاندفاع، والطاقة الزائدة، وعدم وجود مرشدين في حياتهن جعلهم يسيرون على غير هدى، فكان سلبياتهم أكثر مما قدموه للإسلام .

(٣) خلطوا بين الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبين تغيير المنكر، فهم ليسوا من السلطة التي تبيح لهم تغيير المنكر، وظنوا جهلاً أن الأمر بالمعروف هو تغيير المنكر نفسه، مما جعلهم يمشون في الأسواق، يفسدون كل ما واجههم مما ظنوه منكرا، فأتلفوا المال العام، وأراقوا الدماء بدون مبرر، ومعلوم أن الإسلام حمى الحريات العامة، وأموال الناس، ودماءهم، وهؤلاء دنسوها، فكانوا مرتكبين للمنكر من حيث يظنون تغييره .

(٤) إن الفكر المتطرف، هو بمنأى عن الحكمة، وربنا تعالى يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: **١٢٥**]، فالحكمة أن تكون وسطا بين طرفي الإفراط والتفريط، فلا نهمل تذكير بأمور دينهم، ولا نفرط في الزجر والوعظ، وكلا الأمرين ذميم، وديننا جاء بالوسطية السمحة، وهذا ما جانب الجماعة، فكان إفسادهم بخرقهم للتعاليم الشرعية، وإتلاف المال العام، وتدنيس الحرمات .

(٥) إن التفسير الحرفي للنصوص مجانب للعلم، فالنص الشرعي يحتمل تأويلات، وأخذه على ظاهر يوقع صاحبه في ضيق يصعب الخروج منه إلا بمفسدة، وهذا ما حصل مع أفراد الجماعة، فقد تأثروا بمدرسة الألباني المتشددة، التي تأخذ بالتفسير الحرفي للنص، فدخلوا جحر الضب الذي ضاق عليهم، فلم يستطيعوا الخروج منه إلا بتلف أرواحهم، فالجماعة لضيق أفقهم، أقحموا أنفسهم في مأزق كبير، فانتهكوا حرمة بيت الله الحرام، الذي جعله الله أمناً لبعاده، وأراقوا فيه الدماء البريئة، وانتهت القضية بموتهم عصاة، وهذا هو نتيجة حتمية لما قدموه من التفسير الحرفي، وأخذهم العلم عن الجاهلين، والمتطرفين .

الفصل الثالث

تنظـيم القاعـدة

أحد التنظيمات التي صُنفت دولياً بأنها إرهابية، انبثقت عن الحركة الوهابية، من حيث تأسيسها وتمويلها وأفكارها، نشأت في سبعينيات القرن العشرين، لتقف في وجه الغزو السوفييتي لأفغانستان .

وضح أسامة بن لادن في مقابلة مسجلة على شريط فيديو، مع صحفي قناة الجزيرة تيسير علوني في أكتوبر (٢٠٠١) أن أصل كلمة القاعدة ظهر منذ فترة طويلة بمحض الصدفة، فالراحل أبو عبيدة البنشيري أسس معسكرات تدريب المجاهدين لمكافحة إرهاب روسيا، كنا نسمي معسكرات التدريب بالقاعدة، وبقي الاسم كذلك .

غير أن الصحفي "بيتر بيرجن" قال أنه حصل على وثيقتين من سراييفو في مكتب المؤسسة الخيرية الدولية، تشيران إلى أن المنظمة التي تأسست في آب (١٩٨٨)، لم يسميها المجاهدون بهذا الاسم، وأن هاتين الوثيقتين تحتويان على محاضر الاجتماعات التي عقدت لتأسيس مجموعة عسكرية جديدة، وتحت اسم "القاعدة "، اتفق بن لادن مع المشاركين في تلك الاجتماعات في(٢٠/ ٨/ 1988) ، على أن "القاعدة" ستكون الجماعة الرسمية التي تجمع الفصائل الإسلامية التي هدفها رفع كلمة الله والانتصار لدينه [١٤٦] .

---

(١٤٦) Wrigh Lawrence Al_Qaeda and the Road to (٩/١١) New York;knopf.

قلت: أطلق بن لادن اسم القاعدة على التنظيم بعد خروج القوات السوفييتية من أفغانستان، وذلك عندما تمت حملة تجنيد المجاهدين وتدريبهم، وأدخلت الحاسبات الإلكترونية لتنظيم أسماء المجندين وسيرهم الذاتية، وما يتعلق بهم، كان الاسم المتداول بينهم : " القاعدة " أي قاعدة البيانات المختصة بالمجاهدين، فكانت الورقة مروسة باسم القاعدة، وأضيف إليه اسم " التنظيم " لدخول النظام على هذه القواعد البيانية، فاشتهر بهذا الاسم، هكذا سمعته من الدكتور تيسير الدوس، أستاذ الحاسوب في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، عندما كنت أدرس في قسم الحاسوب بالجامعة .

وعلى أية حال؛ فإن التسميات قد يطلقها أفراد، وقد تُطلق بالاصطلاح المتعارف بحيث يغلب الاصطلاح فيصير اسماً، والمهم هنا أن تنظيم القاعدة هو أحد أشكال التنظيمات المصنفة إرهابية، خرجت من رحم الحركة الوهابية .

تاريخ القاعدة :

يعود تاريخ نشأة التنظيم إلى فترة الغزو السوفييتي لأفغانستان، أي عام (١٩٧٩)م، فقد صرحت هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة بقولها: إن من نحاربهم اليوم، نحن من أنشأهم قبل عشرين عاما، وفعلنا ذلك لأنا كنا عالقين في نضال القوات السوفييتية في أفغانستان، ونحن لا نريد أن نراهم يسيطرون على آسيا الوسطى، وذهبنا للعمل بواسطة الرئيس ريجان، وبمشاركة الكونجرس بقيادة الحزب الديمقراطي، وهو قال: أتعلمون؟ إنها

فكرة جيدة [147]، دعونا نتعامل مع المخابرات الباكستانية والعناصر الباكستانية، ودعونا نذهب لتجنيد هؤلاء المجاهدين، هذا عظيم، دعوهم يأتوا من السعودية ومن أماكن أخرىٰ، استوردوا هذه العلامة الوهابية للإسلام ، بحيث نستطيع التفوق علىٰ الاتحاد السوفييتي، وخمنوا ما حصل، لقد انسحبوا وخسروا مليارات الدولارات، وسوف يصفقون للاتحاد السوفييتي، يوجد حجة قوية جدا ليست سيئة الاستثمار في الاتحاد السوفييتي، لكن يجب علينا الحذر ماذا نرىٰ، لأننا سوف نخسره، بعدها تركنا باكستان وقلنا: حسناً، تعاملي مع العقول والمعتقدات في دولتك، فلا نريد أن نتعامل مع أفعالك، عندها أوقفنا التعامل مع الجيش الباكستاني، ومع السي آي أيه، ونحن الآن ننظر إلىٰ الوقت الماضي [148]. انتهىٰ تصريح هيلاري

إن فكرة تشكيل قاعدة للجهاد ضد الاتحاد السوفييتي كانت فكرة زبجنيو بريجنسكي، مستشار الرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي، ومنظر السياسة الخارجية الأمريكية، في اجتماع في البيت الأبيض لمناقشة الأحداث في منطقة الشرق الإسلامي، فهو من اقترح إشراك العربية السعودية في تجنيد المجاهدين، ومساعدة أمريكا للوقوف ضد المد الشيوعي، وفعلاً تم ذلك، وتم التعاون بين المجاهدين والولايات المتحدة، وتمت الزيارات المتبادلة، وفي إحدىٰ زيارات بريجنسكي لأفغانستان قال للمجاهدين: لدينا فكرة عن إيمانكم العظيم بالله، ونحن علىٰ ثقة بأنكم ستنصرون، تلك الأرض هي أرضكم، وسوف تعودون إليها في يوم من الأيام، لأن نضالكم سوف يسود، وستملكون بيوتكم ومساجدكم مرة أخرىٰ .

---

[147] **الفكرة هي: تجنيد عناصر للجهاد ضد أفغانستان من المسلمين الأفغان وغيرهم، والأمريكان يمدونهم بالمال والسلاح، فتكون القوات الأمريكية في مأمن من حرب السوفييت ، ويتم لهم ما يريدون على أيدي غيرهم.**

[148] **تصريح هيلاري كلنتون على فضائية (س ن ن)، وبثته قناة الحقيقة السورية في: (١٩/ ١/ ٢٠١٢) .**

إن قطبي الصراع في العالم هما: الرأسمالية المتمثلة بدول حلف شمال الأطلسي، والشيوعية المثمثلة بحلف وارسو، أو الاتحاد السوفييتي سابقاً، وهما قطبان متناحران للسيادة على العالم، فرأت الرأسمالية جر الدول العربية إلى هذا الصراع، ليكونوا ردءاً لهم، وكانت العربية السعودية رائدة هذا العمل، فتم الاتفاق مع فهد بن عبد العزيز لدعم المجاهدين، فأمر بتشكيل لجنة تبرعات من المواطنين لدعم المجاهدين برئاسة سلمان بن عبد العزيز، أمير منطقة الرياض، كما ساهمت الحكومة بما يزيد على عشرين مليار دولار، كما قامت الحكومة المصرية بدعم المجاهدين، وركزت الصحف المحلية على دعم المجاهدين، كما أبرزت أهم الصحف العالمية أسامة بن لادن بأنه أكبر مجاهد عرفه العصر الحديث .

وأما الرئيس الأمريكي رونالد ريجان فقد استقبل المجاهدين الأفغان في البيت الأبيض عدة مرات، مشيداً بجهادهم، حتى أنه أخبرهم في أحد هذه اللقاءات أنه أطلق على اسم المكوك الفضائي كولومبيا اسم المجاهدين الأفغان، تكريماً لهم .

تجنيد المجاهدين:

أسس عبد الله عزام وأسامة بن لادن مكتب الخدمات في بيشاور/باكستان عام (١٩٨٤)، ومنذ عام (١٩٨٦)، افتتح المكتب شبكة من مكاتب التجنيد في الولايات المتحدة، أبرزها كان مركز اللاجئين "كفاح" في مسجد الفاروق، في شارع الأطلسي ومن بين أبرز الشخصيات في مركز بروكلين، "العميل المزدوج "علي محمد الذي أطلق عليه "جاك كلونان" عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي اسم: المدرب الأول لابن لادن، والشيخ الضرير: عمر عبد الرحمن رائد عملية تجنيد المجاهدين في أفغانستان .

كان مكتب الخدمات يوفر دوراً لضيافة المجاهدين في بيشاور في باكستان قرب الحدود الأفغانية، ومعسكرات شبه عسكرية للتدريب في أفغانستان لإعداد مجندين دوليين غير أفغان

لجبهة الحرب الأفغانية، وقد أقنع عزام ابن لادن بالانضمام إلى مكتب الخدمات، الذي استخدم ماله الخاص وعلاقاته مع "العائلة المالكة في السعودية وأصحاب المليارات النفطية في الخليج"، لبذل المزيد من الجهد لمساعدة المجاهدين .

لم يكن الدور الذي كان يقوم به مكتب الخدمات والمتطوعين المسلمين الأجانب، أو "الأفغان العرب" في الحرب كبيراً، فمن بين الـ (٢٥٠ , ٠٠٠) مجاهد أفغاني الذين قاتلوا السوفييت الشيوعيين والحكومة الأفغانية، لم يكن هناك أكثر من (٢ , ٠٠٠) مجاهد أجنبي في أي فترة من فترات الحرب في وقت واحد، ومع ذلك، فإن المجاهدين المتطوعين الأجانب، كانوا من (٤٣٣) دولة، وعدد الذين شاركوا في الحرب الأفغانية في الفترة بين عامي (١٩٨٢ و ١٩٩٢)، كان (٣٥ , ٠٠٠) .

وفي نهاية الحرب، انسحب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان عام (١٩٨٩)، وظلت حكومة محمد نجيب الله الشيوعية، وانتصر المجاهدون الأفغان ومن معهم من العرب على الروس في أفغانستان، وأعقب خروج قواتهم تفكك الاتحاد السوفييتي، وتم لأمريكا ما أرادت، ومن المعلوم أن الصليبيين يكرهون مصطلح الجهاد، فلن تسمح لهذا المصطلح بالظهور، فقلبت ظهر المجن للمجاهدين، وقطعت عنهم الإمدادات، وأوعزت إلى الرؤساء العرب الذين دعموا الجهاد في أفغانستان بأنهم أصبحوا يشكلون خطرا على السلام في المنطقة، وفي العالم، فرفضت البلدان التي خرج منها المجاهدون استقبالهم لكونهم أصبحوا غير مرحب بهم في بلدانهم .

أسامة بن لادن :

من مواليد عام (١٩٥٧)م ، في مدينة الرياض، تعود أصوله إلى حضرموت، حيث ينتسب إلى عائلة بن لادن ذات الأصول اليمنية الحضرمي، ووالده هو: محمد بن عوض بن لادن،

أحد الأثرياء في مدينة الرياض، كان ترتيبه بين إخوانه وأخواته رقم (١٧) من أصل (٥٢) أخاً وأختاً، درس في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، وتخرج بشهادة بكالوريوس في الاقتصاد، تولى إدارة أعمال شركة بن لادن، قُدرت ثروة عائلته بقرابة سبعة مليارات دولار، استغل حصته منها لدعم المجاهدين الأفغان ضد الحرب السوفيتية في أفغانستان.

في سنة (١٩٨٤)م أسّس ابن لادن منظّمة دعويّة أسماها "مركز الخدمات" وقاعدة للتدريب على فنون الحرب والعمليات المسلحة باسم "معسكر الفاروق" لدعم وتمويل المجهود الحربي للمجاهدين الأفغان، وللمجاهدين العرب والأجانب فيما بعد، وبعد انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان عاد إلى وطنه، وبعد الغزو العراقي للكويت عرض على الملك فهد مد الحكومة بما معه من المجاهدين ضد النشاط العراقي، فقوبل طلبه بالرفض، واستبدل طلبه بقدوم قوات التحالف، سبب هذا العمل غضب ابن لادن وانتقاده للسلطة، فحكمت عليه بالنفي خارج البلاد وسُحبت منه الجنسية، فخرج من الرياض واتجه إلى السودان، وهناك أسس تجارة فاشلة أيضاً ومركزاً جديداً للعمليات العسكرية في السودان .

بعد خمس سنوات، وتحت ضغوط دولية غادر ابن لادن السودان متوجّهاً إلى أفغانستان، نتيجة علاقته القوية بجماعة طالبان، التي كانت تسيطر على أفغانستان في تلك الأثناء، وبعد انتقاله إلى أفغانستان وجه تركيز تنظيمه على الولايات المتحدة الأمريكية وأعلن الحرب عليها، وفي سنة (١٩٩٨)م تلاقت جهود أسامة بن لادن مع جهود أيمن الظواهري الأمين العام لجماعة الجهاد الإسلامي المصرية المحظورة، وأطلق الاثنان بياناً يدعوان فيهِ إلى: قتل الأمريكيين وحلفائهم أينما كانوا، وإلى إجلائهم من المسجد الأقصى والمسجد الحرام، ونتيجة لبيانه ارتكبت القاعدة تفجيرات نيروبي ودار السلام .

كان أسامة بن لادن هو محور الهجوم الإعلامي الدولي بعد هجمات (١١) أيلول التي نفذها تنظيمه على أمريكا، وشنت الولايات المتحدة وحلفاؤها على تنظيمه حرباً اعتُبرت لاحقاً أطول حرب مستمرة في تاريخ الولايات المتحدة، تمكن بن لادن خلالها من الاختباء لمدة عشر سنوات كاملة منذ بداية الحرب، وفي فجر يوم الإثنين (٢/ ٥/ ٢٠١١)م، تمكنت قوة مغاوير أمريكية من مباغتة بن لادن عندما كان في مسكنه قرب إسلام آباد وأردته قتيلاً برصاصة في الرأس، ثم ألقت بجثتهِ سراً في البحر من على متن حاملة الطائرات (يو إس إس كارل فينسن)، وذلك بعد القيام بما وصفته الحكومة الأمريكية بالشعائر الإسلامية له.

تعتبر تغطية وسائل الإعلام لموت أسامة بن لادن ثالث أكبر قصة إخبارية في العالم في القرن الحادي والعشرين، فبعد أقل من أسبوع على إعلان الرئيس الأمريكي باراك أوباما أن القوات الأمريكية قتلت زعيم القاعدة في باكستان، فإن قصة بن لادن ورد ذكرها أكثر من (٨٤) مليون مرة في وسائل الإعلام العالمية؛ المطبوعة، والإلكترونية، ومواقع التواصل الاجتماعي، والإنترنت .

والـده:

محمد بن عوض بن لادن، تربطه بأسرة آل سعود علاقة متينة، عندما حصل الخلاف بين فيصل بن عبد العزيز آل سعود وأخيه سعود، كان محمد بن لادن من ضمن من أقنع الملك سعود بالتنحي لصالح فيصل، وتمكن محمد بن لادن من تأمين رواتب كل موظفي الدولة تقريباً لمدة تقترب من ستة أشهر، بعد مغادرة سعود حين كانت خزينة الدولة فارغة، ولرد الجميل أصدر الملك فيصل مرسوماً بتحويل كل عقود الإنشاءات على محمد بن لادن، وكلفه عملياً بوزارة الإنشاءات.

في عام (١٩٦٩)م تكفل محمد بن لادن بإعادة بناء المسجد الأقصى بعد الحريق الذي تعرض له، وكان قد ساهم في التوسعة السعودية الأولى للحرمين، ولذلك يقول آل بن لادن: إنهم تشرفوا ببناء المساجد الثلاثة، نشأ أسامة نشأة صالحة ، وكان متديناً منذ صغره، تزوج عندما كان سنه سبعة عشر عاماً، كان زواجه الأول من أخواله من الشام، كانت دراسته الابتدائية والثانوية والجامعية في جدة، توفي والده إثر اصطدام طائرته المروحية بجبل الطائف وعمر أسامة حينها (٩) سنوات وترك محمد بن لادن عند وفاته عام (١٩٦٨)م ثروة تقدر بمئات ملايين الدولارات حسب ما ذكرت "الواشنطن بوست"، وتولى ابنه البكر سالم الإشراف عليها إلى أن قتل عام (١٩٨٨)م، حين تحطمت طائرته الخاصة في تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية، قُدِّر نصيب أسامة من ثروة والده بثلاثمائة مليون دولار .

دراسته:

درس في الجامعة علمَ الإدارة العامة، وخلال دراسته اطلع على أنشطة التيارات الإسلامية المشهورة، وتعرف على كثير من الشخصيات الإسلامية، ولم يكن هناك أمر متميز خلال دراسته، كانت حينئذ شخصيتان لهما أثر متميز في حياته هما؛ الشيخ محمد قطب، والشيخ عبد الله عزام، وذلك من خلال كتاباتهما التي درسها في مقرر الدراسات الإسلامية في الجامعة.

درس في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، وتخرج ببكالوريوس في الاقتصاد، فيما تتحدث بعض التقارير أنه نال شهادة في الهندسة المدنية عام (١٩٧٩)م ليتولي إدارة أعمال شركة بن لادن، وتحمل بعض المسؤولية عن أخيه في إدارة الشركة، تميزت طفولة أسامة بن لادن بأمشاج من المتناقضات منها التواضع، والخجل، والثقة بالنفس المبنية على العناد، يقول عنه "بريان فايفيلد شايلر" في مقابلة مع جريدة الصن البريطانية، وهو الذي درَّس أسامة بن لادن اللغة الإنجليزية في مدرسة الثغر بجدة، خلال عامي (١٩٦٨م و١٩٦٩)م»:إن أسامة

كان تلميذاً هادئاً وخجولاً، ولكنه غامض، ولا استبعد أن نظام التعليم الغربي المتبع في مدرسة الثغر قد زرع لديه بذور العنف، وأن هذا الصبي الذي أصبح أهم الأشخاص المطلوب اعتقالهم في العالم، كان يتصرف بشكل طيب ، ويؤدي كل عمله في الوقت المناسب، وأنه كان ألطفَ الطلاب في فصله.

كان أسامة متميزاً بين زملائه لأنه كان أطول وأكثر أناقة ووسامة من معظم الصبية الآخرين، كما أنه كان مهذباً ومؤدباً بشكل ملحوظ، وكان لديه قدر كبير من الثقة بالنفس، ويغلب على ملامحه الحزن، ونادراً ما رآه أصحابه يضحك بصوت عال، وأحيانا يبتسم . انتهى كلام بريان

والدتـه:

السيدة السورية عالية الغانم، من اللاذقية، وهي الزوجة الرابعة لوالده محمد بن لادن، وكان جميع الأقرباء والمعارف ينادونها ب "الجارية"، فيما كانت الزوجات الأخريات من عائلات مرموقة، على حد تعبير ستيف كول صاحب كتاب: ابن لادن أسرة عربية في العصر الأمريكي، وحين بلغ أسامة الرابعة، طلق والده أمه، ليعود ويزوجها لمحمد العطاس، أحد المديرين في شركة المقاولات التي يملكها .

إضافة إلى أنه لم يتعرف إلى والده جيداً لأنه مات وهو لم يبلغ الحادية عشرة، فهذه التطورات أثرت في أسامة تأثيراً سلبياً، فعشق أمه إلى حد جعله يدنو من قدميها ويقبلهما، كما قال أحد المقربين منه لستيف كول، لم يتطرق الكثيرون إلى علاقته بأمه التي مثلت نقطة الضعف الأبرز له، وكان دائم التواصل معها هاتفياً، حتى مِن بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، إلى أن أدرك أن خطها الهاتفي كان مراقباً، وطوال هذه الفترة ظلت الأم صامتة، إلى أن قررت الكلام في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر، حين حاورها رئيس تحرير صحيفة المدينة السعودية، خالد باطرفي لمصلحة صحيفة: ميل أون صاندي البريطانية، وهي تحدثت عن همومها ومخاوفها من

المستقبل الذي ينتظر ابنها أسامة، ورغم معارضة الأم لآراء ابنها، إلاّ أنها أكدت وقوفها معه وأنها لن تتخلىٰ عنه .

الحالة الأسرية:

تزوج أسامة باكراً حين كان في السابعة عشرة من عمره، وزواجه الأول كان من قريبته السورية نجوىٰ، أم عبد الله، وهي في سن السادسة عشرة من عمرها، وأنجبت له معظم أولاده بينهم عمر في أوائل ثمانينيات القرن الماضي، وفي عام (١٩٨٢)م تزوج أم حمزة المنحدرة من أصول هاشمية، وحاملة شهادة الدكتوراه في علم نفس الأطفال، وقد أنجبت له طفلاً وحيداً، وعادت لتتابع عملها كأستاذة في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، بحسب ما ورد في كتاب ناصر البحري حارس ابن لادن سابقاً الموسوم: في ظل ابن لادن.

وزروجته الثالثة أم خالد من المدينة المنورة، فتحمل أيضاً شهادة دكتوراه في قواعد اللغة العربية، لكنها لم تستثمر تعليمها إلا في تربية أولادها الأربعة، احتلت أم علي التي ترعرعت في مكة المرتبة الرابعة بين الزوجات، إلا أنها الوحيدة التي طُلقت من زوجها بعدما أنجبت ثلاثة أولاد، وحينها أقسم أسامة ألا يتزوج إلا إذا طلبت إحدىٰ زوجاته ذلك بنفسها، في ربيع عام (٢٠٠٠)م تزوج أم حمزة: أمل عبد الفتاح أحمد السادة، وهي يمنية في السابعة عشرة من عمرها، واستقدمها من اليمن إلىٰ قندهار.

تعرفه على أفغانستان:

قرر الدكتور عبد الله عزام في عام (١٩٧٨)م الذي كان المنظر الرئيسي للإسلاميين المعاصرين، أن تأسيس قاعدة صلبة سيوجد رجالاً يكونون قدوة للعالم الإسلامي، وتحفيز الأمة وتعبئتها ضد قاهريها، فانضم أسامة؛ كأحد تلاميذه بعد الغزو السوفيتي لأفغانستان، أحب أسامة في وقت مبكر أن يطلع علىٰ الوضع بنفسه، فرتب مع الجماعة الإسلامية رحلة إلىٰ

باكستان، حيث اصطُحب من كراتشي إلى بيشاور، وهناك قابل مجموعة من قيادات المجاهدين أمثال:عبد رب الرسول سياف، وبرهان الدين رباني، استغرقت الرحلة شهراً، واقتنع من خلالها أن القضية تستحق أن تعطى جل اهتمامه.

بعد عودته واطمئنانه إلى إمكانية البوح بخبر الرحلة، بدأ يتحدث مع إخوانه وأقاربه وزملائه في الدراسة حول مشاهداته، وتمكن من تنفيذ حملة علاقات عامة لصالح المجاهدين في أفغانستان، وتمكن من جمع تبرعات مالية وعينية للجهاد في أفغانستان، وحمل تلك التبرعات وذهب في رحلة أخرى إلى باكستان، حيث بقي هناك لمدة شهر، ثم تكررت رحلاته إلى باكستان لتقديم الدعم المالي والعيني الذي يحصل عليه، وظل مكتفياً بزيارة معسكرات المجاهدين ومخيمات الأفغان في باكستان.

بدأت علاقة أسامة بن لادن بالجهاد في أفغانستان منذ الأسابيع الأولى للغزو الروسي لها في (٢٦/ ١٢/ ١٩٧٩)، حيث شارك مع المجاهدين الأفغان ضد الغزو الشيوعي وكان له حضور كبير في معركة جلال آباد التي أرغمت الروس على الانسحاب من أفغانستان، وفي عام (١٩٨٢)م قرر اجتياز الحدود والدخول إلى أفغانستان، والمشاركة في الجهاد، وبعد مشاهدته الطبيعة الجبلية الصعبة لأفغانستان، قرر الاستفادة من تجربته في المقاولات، وجلب عدداً هائلاً من المعدات والجرارات والحفارات، لمساعدة المجاهدين على تمهيد الجبال، وشق الطرق، وإنشاء المعسكرات، تكررت زيارة أسامة إلى أفغانستان وإشرافه على نقل الأموال والسلاح والمعدات، ومساهمته بعض الأحيان في بعض المعارك، لكن بشكل غير منتظم.

وفي عام (١٩٨٢) م قرر الدخول إلى أفغانستان، والمشاركة في الجهاد ضد القوات السوفييتية، حيث تلقى دعماً مالياً من وكالة الاستخبارات الأمريكية(CIA) بعلم من الحكومة الأمريكية، قدرت بثلاثة مليار دولار، كما تم تمويله بالسلاح، حتى دحر السوفيت الذين

خرجوا من أفغانستان مهزومين، وكان بن لادن ضد الروس حيث قال: في هذا الجهاد كانت أهم الأمور العمل على تدمير أسطورة القوى العظمى، ليس فقط في تفكيري، لكن أيضاً في تفكير كل المسلمين.

بيت الأنصار :

في عام (١٩٨٤)م ظهر أول نموذج لعمل مؤسَّسي لجهاد العرب في أفغانستان، وهو بيت الأنصار في بيشاور، واعتُبر بيت الأنصار محطة أولى واستقبال مؤقت للقادمين العرب للجهاد في أفغانستان، قبل توجههم للقتال من أجل التدريب، ومن ثم المساهمة في الجهاد، وكان أسامة يرسل الشباب العرب الذين يقيمون في بيت الأنصار إلى قادة المجاهدين في ذلك الوقت، أمثال: قلب الدين حكمتيار، وعبد رب الرسول سياف، وبرهان الدين رباني، وقد تزامن تأسيس بيت الأنصار مع تأسيس مكتب الخدمات في بيشاور من قبل الشيخ عبد الله عزام.

أدى تأسيس المكتب إلى نوع من التكامل مع بيت الأنصار حيث يؤدي المكتب المهمة الإعلامية وجمع التبرعات وحث المسلمين وخاصة العرب على الجهاد بالنفس والمال ويؤدي البيت المهمة العملية في استقبال وتوجيه الراغبين في الجهاد أو الاطلاع على أوضاع الأفغان. توثقت علاقة أسامة بالشيخ عبد الله عزام خلال تلك الفترة غير أنه لم يحدث دمج لعملهما إذ اعتبرا أن الأفضل تعدد الواجهات مع التنسيق الجيد.

وفي عام (١٩٨٦)م قرر أسامة أن يتوسع في تنظيم العملية الجهادية، ويكون له معسكراته وخطوط إمداده، فتمكن من تشييد ستة معسكرات، وتمكن من خلال خبرته في الإنشاءات من تحريكها ونقلها أكثر من مرة تبعاً لظروف الحرب، بعد تجربة المعسكرات، وتمكن أسامة من تبني المجاهدين العرب منذ وصولهم إلى تدريبهم، إلى إشراكهم في المعارك، أصبحت فكرة

المشاركة في الجهاد ذات جاذبية شديدة، لأن الشباب أصبحوا يتناقلون أخبار بساطة الفكرة، وتقليل هيبة المشاركة في الجهاد، كون الذي يستقبل ويدرب ويقود كلهم من العرب.

شارك المجاهدون العرب في مناوشات عديدة، وقتال محدود في البداية، ثم دخلوا في معارك طاحنة، كان أشهرها معركة "جاجي" والتي هُزم على يد المجاهدين العرب فيها وحدات من أفضل الروس تدريباً، وأفضلهم تسليحاً، وقتل فيها عدد من ذروة رجال الكوماندوز الروس، كانت المشاركة في الجهاد في أفغانستان تتم دون مضايقات من السعودية أو باكستان، وخلال تلك الفترة لم يكن أسامة يعود للملكة إلا قليلاً ويقضي معظم أيام السنة في أفغانستان.

القاعـدة :

أسس بن لادن هو ومعاونوه سجل القاعدة عام (١٩٨٨)م وهو عبارة عن قاعدة معلومات، تشمل تفاصيل كاملة عن حركة المجاهدين العرب؛ قدوماً وذهاباً، والتحاقاً بالجبهات، وأصبحت السجلات مثل الإدارة المستقلة، ومن هنا جاءت تسمية سجل القاعدة، على أساس أن القاعدة تتضمن كل التركيبة المؤلفة من بيت الأنصار، أول محطة استقبال مؤقت للقادمين إلى الجهاد، قبل توجههم للتدريب، ومن ثم المساهمة في الجهاد، ومعسكرات التدريب والجبهات، واستمر استعمال كلمة القاعدة من قبل المجموعة التي استمر ارتباطها بأسامة بن لادن .

ففي عام (١٩٨٨) لاحظ أسامة أن حركة المجاهدين العرب؛ قدوماً وذهاباً، والتحاقاً بالجبهات، بل وحتى كثرة الإصابات والاستشهاد، قد ازدادت دون أن يكون لديه سجل عن هذه الحركة، رغم أهميتها، وكونها من الترتيب العسكري، لذا قرر ترتيب سجلات للمجاهدين العرب، ووسعت فكرة السجلات لتشمل تفاصيل كاملة عن كل من وصل أفغانستان، بترتيب من مجموعة الشيخ عبد الله عزام، ورتبت السجلات بحيث تتضمن تاريخ

وصول الشخص، والتحاقه ببيت الأنصار، ثم تفاصيل التحاقه بمعسكرات التدريب، ومن ثم التحاقه بالجبهة.

أصبحت السجلات مثل الإدارة المستقلة، وكان لا بد من إطلاق اسم عليها لتعريفها داخلياً، وهنا اتفق أسامة مع معاونيه أن يسمونها سجل القاعدة، على أساس أن القاعدة تتضمن كل التركيبة المؤلفة من بيت الأنصار، ومعسكرات التدريب، والجبهات، وذلك حسب أدبيات تنظيم القاعدة، وبعدها بعامين (١٩٨٦)م أسس ستة معسكرات للمجاهدين، وبقي هناك حتى عام (١٩٨٩)م حيث عاد بعدها للرياض .

مصطلح الإرهاب :

وجد العالم العربي نفسه بعد أن انتهت الحرب في أفغانستان، وهزيمة السوفييت في مواجهة خاصة جديدة وهي: الأفغان العرب، الذين التحقوا بالجهاد ضد الغزو السوفييتي، ورغم أن هؤلاء المجاهدين ذهبوا للجهاد بتشجيع ومباركة رسمية عربية، إلا أنهم باتوا في نظر الحكومات مشكلة مع تنامي العداء بين المجاهدين والولايات المتحدة الأمريكية، ورغم أن أسامة بن لادن ورفاقه تمكنوا من بناء بنية في أفغانستان تمكنت من اجتذاب عناصر جدد واقامة روابط مع حركات إسلامية أخرى مثل طالبان فإنهم لم يتمكنوا أبدا من إقامة شبكة متماسكة .
بعد هزيمة القوات الروسية في أفغانستان وانسحابها منها في عام (١٩٨٩)م عاد أسامة للرياض معتبرا هذه العودة واحدة من السفرات التي يتوجه فيها للمملكة، ويعود فور إنهاء بعض الأمور هناك، بعد عودته تلك منعته السلطات السعودية من السفر، ومنع من ممارسة أي نشاط سياسي، فاستقر به المقام هناك، وبدا في المطالبة بالإصلاح السياسي، بعد غزو العراق للكويت واحتلالها عام (١٩٩٠)م وتهديد القوات العراقية للسعودية، عرض أسامة بن لادن

علىٰ السلطات هناك جلب المجاهدين العرب الذين يستمعون له، للمساهمة في الدفاع عن الأراضي النجدية، ضد أي غزو عراقي محتمل.

جاء التهديد العراقي إلىٰ حكومة آل سعود أثناء الهجوم العراقي علىٰ الكويت، وعرض بن لادن علىٰ جابر الصباح أمير الكويت والملك فهد خدمات مجاهديه، لكن الملك فهد لم يلتفت لعَرضه، واستنجد بالقوات الأمريكية والائتلاف الدولي، فغضب بن لادن علناً بسبب دخول القوات الأمريكة وحلفائها إلىٰ بلده، وعده انتهاكاً لقدسية جزيرة العرب، وبعد ذلك تدهورت علاقته مع آل سعود، واحتدت نبرته اتجاههم ، ولم يكن بعده سوىٰ القطيعة والعداء، حيث اتهمهم أنهم أسرة عميلة ظالمة، غدرت بالعراق، وأن الملك عبد العزيز من الخوارج لإنه كفَّر أهل الحجاز، وأنه عميل للإنكليز، وأن الملك فهد قد اقترف ناقضاً من نواقض الإسلام، باستعانته بالائتلاف الدولي علىٰ المسلمين، وأنه استباح حرمة الحرم المكي، وأن الملك عبد الله في طوع أمريكا، ثم لاحقاً اتهم من حذفوا نصوص الولاء والبراء من المناهج الدينية المدرسية بالردة الجامحة .

فبعدما ساءت الأحوال عقب الغزو العراقي، ولعدم التزامه بالتقييد المفروض عليه، وبسبب تجميد نشاطه غادر ابن لادن السعودية عائداً إلىٰ أفغانستان، ثم إلىٰ الخرطوم عام (١٩٩٢)م حينها صدر أمرٌ في نهاية العام نفسه بتجميد أمواله، ثم تحولت قضية بن لادن إلىٰ قضية ساخنة علىٰ جدول أعمال المخابرات الأميركية، فسحبت الحكومة السعودية جنسيته عام (١٩٩٤)م، دفعت هذه التطورات أسامة لأن يأخذ أول مبادرة معلنة ضد الحكومة السعودية، حين أصدر بياناً شخصياً يرد فيه علىٰ قرار سحب الجنسية، وقرر بعد ذلك أن يتحرك علناً بالتعاون مع آخرين .

وكان لقرار استدعاء القوات الأجنبية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية للسعودية للدفاع عنها وتحرير الكويت نقطة تحول في حياة بن لادن، إذ اعتبر ذلك مخالفة للشريعة الإسلامية، وعندها بدأ أسامة بالمطالبة بما اسماه إخراج المشركين من جزيرة العرب، كما حاول إنشاء هيئة مستقلة للعلماء المسلمين، لدعم مطالبه بضرورة إخراج القوات الأميركية من الجزيرة، لكن جهده في هذا المجال لم ينجح، وبعد فشل جهوده قرر مغادرة الرياض والعودة لأفغانستان، وتوسط له أحد إخوانه عند السلطات للسماح له بالسفر، شرط أن يعود بعد إنهائه لإعماله، استطاع بن لادن الاحتيال على قرار منع السفر حينما كان الأمير نايف وزير الداخلية السعودي في إجازة.

بعد عودته لأفغانستان مرة أخرى صادف وجوده هناك انهيار النظام الشيوعي بقيادة الرئيس نجيب الله، وسقوط كابول، وبداية الحرب بين فصائل المجاهدين الأفغان، أصدر بن لادن عندها قراراً يمنع المجاهدين العرب من المشاركة في الحرب بين الفصائل الأفغانية المتناحرة، ورفض مساندة أي فصيل أفغاني، وبقي على الحياد، حاول ابن لادن التوسط بين الفصائل الأفغانية، إلا أن جهوده ذهبت أدراج الرياح، وبعد مكوثه في أفغانستان لعدة أشهر، استشعر أن وجوده في أفغانستان قد يشكل تهديداً على حياته، لذا فقد قرر مغادرتها والتوجه إلى السودان.

السُّودان :

اعتبر بن لادن أن المشروع الإسلامي الذي تبنته الحكومة السودانية في أعقاب الانقلاب الذي قادته الجبهة الإسلامية للإنقاذ في العام (١٩٨٩)م قد يكون بديلاً لما كان يحلم به، وأنه سيكون قادراً على تقديم شيء للنظام الإسلامي هناك، كما أنها ستكون ملاذاً له من أفغانستان، فتوجه إلى السودان بطيارة خاصة، وبرحلة سرية في نهاية سنة (١٩٩١)م، وفي تلك الرحلة اصطحب

معه عدداً من رفاقه إلى السودان، والتحق به آخرون بطرق أخرى، ولقد تمكن خلال وجوده في العاصمة الخرطوم من نقل معظم أرصدته المالية، وبدأ العمل في مجال المقاولات، وإنشاء المزارع، واعتبر مشروع الطريق بين الخرطوم وبورسودان من أكبر المشاريع الذي نفذها بن لادن هناك، وتلقى أثناء وجوده في السودان عدة عروض للعودة إلى السعودية لكنه رفضها، وأثناء وجوده في السودان وقعت أحداث الصومال، إذ تمكن فصيل يقوده عرب كانوا قد شاركوا بمعارك الجهاد في أفغانستان، من توجيه ضربات مؤذية للقوات الاميركية هناك قبل انسحابها من الصومال، كما وقع في تلك الفترة انفجاراً في الرياض، واعتبرت المجموعة المنفذة له إنها كانت على علاقة مع بن لادن.

بعد تلك الأحداث بدأت إقامته في السودان تسبب حرجاً شديداً للحكومة السودانية، وتعرضت الحكومة السودانية لضغوط كبيرة لإخراجهِ من هناك، فبدأ ابن لادن بترتيب خروجه من السودان، واتصل عندها ببعض الأفغان الذين تربطهم بهِ علاقة جيدة، فاتصل بالشيخ مولوي محمد يونس خالص، والشيخ جلال الدين حقاني، الذين كان لهما نفوذ قوي في منطقة جلال آباد، وكان ذلك قبل أن يمتد نفوذ حركة طالبان خارج قندهار، حين كانت مناطق أفغانستان موزعة بين الفصائل الأفغانية، وعليه فقد خرج من السودان، وقد ذكر الدكتور حسن الترابي في مقابلة مع قناة الجزيرة في عام (٢٠٠٦)م، أنه بعد خروج أسامة من السودان فقد تمت سرقة أموالهِ التي كان يعمل بها في السودان، ويدير بها مشاريعه هناك، وقبل رحيله عن السودان بدأ بن لادن تدريب جنوده فيها لخوض حربه ضد أمريكا، وتعرف خلالها على كبار من مساعديه، ولكن القوات الأمريكية تنبهت لما يفعله بن لادن، فقصفت معسكر التدريب كضربة تأديبية، ولكنه زاد عدوانه ضد أمريكا، فرجع لأفغانستان بعد ضغوطٍ أمريكية ومصرية وسعودية، وأعلن الحرب ضد الأمريكان.

العودة لأفغانستان :

بعد وصوله هناك أرسل رسالة إلىٰ الفصائل الأفغانية يخبرهم أنه لا يزال علىٰ التزامه بعدم الدخول في خلافاتهم وصراعاتهم، كان ذلك قبل أن يستولي الطالبان علىٰ جلال آباد، ومن ثم علىٰ كابول، بعد سيطرة حركة طالبان علىٰ أفغانستان بعث الملاَّ محمد عمر قائد طالبان رسالة إلىٰ بن لادن يخبره فيها أنه مرحب به في أفغانستان، وأنه تحت حمايتهم، لكنه طلب منه التوقف عن أي نشاط إعلامي، خلال تلك الفترة سعت السعودية لدىٰ حركة طالبان لتسليمها بن لادن، إلا أن الحركة رفضت ذلك الطلب، واستمرت في استضافة بن لادن، وتوفيرها الحماية له، بعدها شارك بن لادن حركة طالبان في قتالها ضد عبد الرشيد دوستم وأحمد شاه مسعود، كما فرَّغ عدداً من أتباعه لمساعدة الطالبان في قضايا التخطيط والإدارة والتنمية للدولة الجديدة.

في نهاية عام (١٩٩٧)م قرر أسامة أن يستعيد نشاطه، فبدأ أولاً مع علماء طالبان وباكستان، فاستصدر منهم فتوىٰ تؤيد بيانه لإخراج القوات الأميركية من جزيرة العرب، تزامنت هذه الفتوىٰ مع وجود عدد من قيادات الجماعات الإسلامية، وخاصة جماعة الجهاد المصرية في أفغانستان، وتقاطر عدد كبير من الوفود من باكستان وكشمير علىٰ أسامة، تمكن أيمن الظواهري أحد هذه القيادات من إقناع بن لادن بتوسيع مفهوم الحرب مع أمريكا إلىٰ قتالها في كل مكان، وتوسعت القناعة لتشمل بدلاً من مقاتلة أمريكا قتل كل أمريكي في سن القتال في كل زمان ومكان ومعهم اليهود، تحولت القناعة إلىٰ عمل، وذلك من خلال إصدار بيان الجبهة الإسلامية العالمية في فبراير عام (١٩٩٨)م الذي يدعو إلىٰ قتل الأمريكان واليهود في كل مكان وزمان، وقع البيان مع بن لادن عن جماعة الجهاد المصرية الدكتور أيمن الظواهري، ورفاعي طه أحد مسئولي الجماعة الإسلامية المصرية، كما وقعه رئيس أحد الفصائل

الكشميرية، وأحد القيادات الباكستانية المشهورة، وفي مايو (١٩٩٨)م عقد بن لادن مؤتمراً صحفياً على الحدود مع باكستان، أشار فيه إلى احتمال حصول حوادث ضد الأمريكان خلال فترة قصيرة ولم يحدد أين.

تفجيرات كينيا وتنزانيا :

في (آب/ ١٩٩٨) تم تنفيذ عمليتي تفجير ضد سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا، واتهمت السلطات الأميركية بن لادن بالوقوف وراء هذين التفجيرين، وبناء على ذلك قام الأميركيين بقصف مصنع الشفاء للأدوية في السودان، وقصف مواقع في مدينة قندهار الأفغانية، وخلال تلك الفترة حاول الأمريكان مرة أخرى التفاوض مع طالبان حول بن لادن، ورفض الملا عمر التفاوض معهم، وبقي بن لادن تحت حماية الطالبان خوفاً من عملية اغتيال أو خطف مفاجئة، وقد نفى الناطق الرسمي باسم الحركة وقتها إشاعة أن يكون بن لادن تحت الإقامة الجبرية، وأكد أنه يتمتع بحرية التنقل في كافة أنحاء أفغانستان .

في عام (١٩٩٩)م وُضع اسم بن لادن ضمن قائمة المطلوبين التي أصدرها مكتب التحقيقات الفدرالية الأمريكي .

في عام (٢٠٠٠) تم تنفيذ عملية انتحارية ضد المدمرة الأميركية (يو أس أس كول) في ميناء عدن اليمني، قُتل فيه (١٧) بحارا، وجرح (٣٩) ، واتهمته السلطات الأميركية بالوقوف خلف تلك العملية.

هجمات سبتمبر :

في (١١/ ٩/ ٢٠٠١) تم تفجير برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك، ومبنى وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) من قِبل (١٩) شابا من أتباع بن لادن، وأُطلق على تلك العملية اسم هجمات سبتمبر، اختطفت أربع طائرات أمريكية، ضربت اثنتان منها برجي التجارة العالمي في

نيويورك، وسقطت الثالثة في بنسلفانيا، بينما حاولت الأخيرة ضرب مبنى البنتاغون، ما أدى في نهاية ذلك اليوم إلى قتل نحو ثلاثة آلاف شخص .

اختفى ابن لادن عن الأنظار بعد الحرب على طالبان والقاعدة في أفغانستان، وظن البعض أن ابن لادن كان مختبئًا في المنطقة الجبلية لأفغانستان، والمتاخمة للحدود الباكستانية، وفي شريط مرئي بثته قناة الجزيرة في (٣٠/ ٩/ ٢٠٠٤) برر ابن لادن سبب إقدام القاعدة على توجيه ضربة للمباني المدنية في الولايات المتحدة بقوله: "بعدما طفح الكيل بالمسلمين من إقدام إسرائيل على اجتياح لبنان سنة (١٩٨٢)، وما تفعله من أعمال إرهابية ضد المدنيين الأبرياء في فلسطين، وما تشهده الساحة الإسلامية من انتهاكات إسرائيلية حيال الشعب الفلسطيني، وما يراه كل العالم بأن أمريكا تساند وتبارك إسرائيل بما تفعله باحتلالها أراضٍ ليست حقًا لها، لا في تاريخ أو حضارة "وقال: "ان الرئيس الأمريكي مخطئ بتفسيره أن القاعدة مناهضة للحرية، ويستند قوله على أن القاعدة تقول الحقيقة التي لبثت أمريكا دوما بإخفائها."

الحرب على أفغانستان :

بعد تلك العملية قامت الولايات المتحدة ودول متحالفة معها في شن حرب على أفغانستان لإسقاط حكم طالبان، والقبض على بن لادن وأعضاء تنظيمه، الذي بات يعرف باسم تنظيم القاعدة، وبعد شهر من الهجمات الجوية على أفغانستان سقطت حكومة طالبان، وتم قتل عدد من أعضاء القاعدة، إلا أنه لم يُقبض على الملا محمد عمر زعيم طالبان، ولا أسامة بن لادن أو مساعده أيمن الظواهري، ومنذ ذلك الوقت لا يُعرف المكان الذي يتواجد فيه بن لادن ومساعده أو الملا عمر، ورغم عمليات البحث والملاحقة له تمكن بن لادن من إصدار عدد من الأشرطة التلفزيونية، أو الصوتية، وتوجيه رسائل إلى الولايات المتحدة والغرب من خلالها،

والتعليق على الإحداث الجارية في المنطقة العربية والعالم الإسلامي، وقد عُرض في أحد تلك الأشرطة عام (٢٠٠٤) الصلح على أوروبا إذا تعهدت بعدم الاعتداء على المسلمين.

وفي عام (٢٠٠٥)م، صدر عدد من العلماء المسلمين في إسبانيا أول فتوى ضد بن لادن .

القاعدة حول العالم:

انبثق عن تنظيم القاعدة عدة فروع في عدة بلدان، منها :

تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، الذي تعاقب عليه عدة أمراء، ونشط في الفترة بين (٢٠٠٣/٢٠٠٦) .

تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، بدأ بـ(١٧) عنصراً تحت إمرة: "أبو مصعب الزرقاوي "وأخذ يتقوى مع الأيام حتى قام بعدة عمليات ضخمة في العراق، بدأت منذ معركة الفلوجة الأولى، واغتيال محمد باقر الحكيم، وتفجير مبنى الأمم المتحدة في بغداد، ثم مجزرة الموصل، وتفجيرات القحطانية، ومجزرة سيدة النجاة.

كما أسس أنصاره تنظيماً في المغرب الإسلامي، الذي قام بعدة هجمات على الجيش الجزائري وكذلك كتائب: أبو حفص المصري، التي تسمي نفسها: "لواء القاعدة في أوروبا" وتبنت وتفجيرات لندن.

مقتل ابن لادن :

قُتل أسامة بن لادن فجر الإثنين (٢٨/ جمادى الأولى/ ١٤٣٢) هـ الموافق (٢/ ٤/ ٢٠١١) من خلال عملية مداهمة دامت (٤٠) دقيقة، شارك بها مروحيات الشبح، التي لم تكن تعتقد أجهزة الاستخبارات أنها قد وجدت بعد، وعلى متنها (٢٥) جندي من قوات المغاوير الأمريكية، بالاشتراك مع بعض العناصر من المخابرات الباكستانية، على مجمع سكني في "أبوت آباد "بباكستان، قد قتل برصاصة في رأسه، بعد اشتباك خاطف ، وبعد

الواقعة شاعت مزاعم أمريكية أن بن لادن جعل زوجته درعاً بشرياً يختبئ خلفها، لكن مسؤولاً في البيت الأبيض نفى ذلك، وأكد أنه وزوجته قاوما على الرغم من أنهما عُزَّل، كما قُتل ثلاثه آخرون منهم: أحد ابنائه البالغين، وعنصران في القاعدة، وفقدت قوة المغاوير مروحية أباتشي إثر إصابتها بقذيفة آر بي جي .

رفضت أسرته تقبُّل التعازي فيه وفي ولده الذي مات معه، وأخذ مقتل بن لادن أهمية كبرى، وتصدرت صوره كبرى الصحف العالمية، وأثار ضجة صاخبة، وأذيعت أخباره بكثافة، بلغت حسب مؤسسة بحثية (٨٤) مليون مرة، جرى فيها تداول خبر مقتله في وسائل الإعلام والشبكة، ما يجعل مقتل بن لادن ثالث أهم خبر في القرن الحادي والعشرين .

بعد مقتله بثلاثة أشهر تقريباً، تمكنت طالبان من تصفية (٢٢) عنصراً من الفرقة السادسة: أسود البحرية الأمريكية التي قتلت ابن لادن، بهجوم صاروخي على مروحية أمريكية، كان على متنها (٢٢) من القوات الخاصة الأمريكية، وسبعة من الجنود الأفغان، في ولاية وردك، بأفغانستان .

الاحتفال بمقتله :

ابتهج الشعب الأمريكي لمقتلهِ وخرج محتفلاً في الشوارع، كما أظهرت نتائج لاستطلاع عالمي أن (٧٥ ٪) من المشاركين في الاستطلاع يؤيدون قتل أمريكا لابن لادن، وجاء في الاستطلاع أن (٩٥ ٪) من الأمريكين والهنود يرون أن قتل بن لادن كان مبرَّرا، كما يُظهر التقرير أن (٥٤ ٪) في إندونيسيا، كبرى دول العالم الإسلامي، يؤيدون مقتل بن لادن، وأن (٧١ ٪) من الأتراك يؤيدون مقتله .

الفصل الرابع

تنظيم الدولة «داعش»

«إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ فَالْزَمُوا الْأَرْضَ فَلَا تُحَرِّكُوا أَيْدِيَكُمْ، وَلَا أَرْجُلَكُمْ، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ ضُعَفَاءُ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، قُلُوبُهُمْ كَزُبَرِ الْحَدِيدِ، هُمْ أَصْحَابُ الدَّوْلَةِ، لَا يَفُونَ بِعَهْدٍ وَلَا مِيثَاقٍ، يَدْعُونَ إِلَى الْحَقِّ وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهِ، أَسْمَاؤُهُمُ الْكُنَى، وَنِسْبَتُهُمُ الْقُرَى، وَشُعُورُهُمْ مُرْخَاةٌ كَشُعُورِ النِّسَاءِ، حَتَّى يَخْتَلِفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْحَقَّ مَنْ يَشَاءُ»

الفتن لنعيم بن حماد، (ص: ٢١٠، رقم:٥٧٣) .

دولة الإسلام في العراق والشام، واختصاره: "داعش" .

هذا هو اسم التنظيم الثالث من التنظيمات الإرهابية التي أنجبها رحم الوهابية.

تاريخ التنظيم:

أنشئ التنظيم في بداية الثورة السورية، وكان الهدف من إنشائه؛ ليقف مقابل تنظيم القاعدة، حيث حصلت الاستخبارات الأمريكية، والغربية على وجود عناصر من تنظيم القاعدة في سوريا والعراق، وقد خشيت السلطات الغربية من إعادة التنظيم نشاطه، مستغلاً الحرب الأهلية في سوريا ليقوم بتفجيرات ضد أمريكا وحلفائها، فعمدت الاستخبارات الأمريكية بالتعاون مع إسرائيل باستخدام بعض عملائها لإنشاء تنظيمٍ يقوم بطرد تنظيم القاعدة، أو القضاء عليه، وعمل ما تطلبه منه المخابرات الأمريكية .

قالت هيلاري كلنتون [١٤٩] : عندما اتضح شلل الجهود التي بُذلت في جنيف، باشرتُ وأفراداً آخرين من فريق أوباما، للأمن القومي، بدراسة أوليَّة عما يلزم للنهوض بقوة معتدلة، منبثقة من الثوار السوريين، ننتقي عناصرها في عناية، لندرِّبهم ونأتمنهم على السلاح الأمريكي، مقاربة كهذه لا تخلو من المجازفة الخطيرة .

ففي الثمانينات أقدمت الولايات المتحدة والسعودية وباكستان على تسليح الثوار الأفغان، المعروفين باسم المجاهدين، فأسهموا في احتلال الاتحاد السوفييتي لبلادهم، بينما توجه بعضٌ من هؤلاء المقاتلين ومنهم: أسامة بن لادن نحو تأسيس تنظيم القاعدة، وتحديد أهدافهم غرباً، ولم يودَّ أحد أن يتكرر السيناريو نفسه، ولكن إذا استطعنا انتقاء الثوار بدقة، وإخضاعهم للتدريب الفعلي، فستبرز الفوائد على صُعد كثيرة؛

أولها: إمكان قيام مجموعة مهما صغر حجمها نسبياً، بإعطاء زخم معنوي للمعارضة، وإقناع داعمي الأسد بالنظر في الحل السياسي، وكان حزب الله أثبت فاعلية هذه النظرية، عندما أسهم في تحويل الحرب لمصلحة الأسد، بنشره بضعة آلاف فقط من المقاتلين المتشددين .

ثانياً: ستكون لتحركنا أو عدمه تبعات في علاقاتنا مع شركائنا في المنطقة، لم يخفَ على أحد قيام دول عربية كثيرة على إرسال أسلحة إلى سوريا، مع افتقار التنسيق في مجال تدفق الأسلحة هذه، مما يجعل من تلك الدول على اختلافها رعاة لمجموعات مسلحة متنوعة، ومتنافسة في بعض الأحيان، مع العلم أن كميات مقلقة من المعدات تجد طريقها إلى المتطرفين...وإنما إذا تمكنت

---

(١٤٩) وزيرة خارجية الولايات المتحدة في حكومة أوباما، وزوجة بيل كلنتون الرئيس الأمريكي الأسبق، تجد كلامها في كتابها المترجم إلى العربية: خيارات صعبة، (ص:٤٤٦) وما بعدها، خلال كلامها على الأزمة السورية.

الولايات المتحدة من تدريب قوة فاعلة ومعتدلة، وموضع ثقة وتجهيزها، قد تسهم في تماسك البلاد خلال المرحلة الانتقالية .

ولكن هل هذا ممكن؟ يقوم الأمر أساساً علىٰ تدقيق شامل يطاول المقاتلين الثوار للتأكد في الدرجة الأولىٰ من استبعاد المتطرفين، والحفاظ علىٰ تبادل وثيق للمعلومات الاستخباراتية، والتنسيق العملي مع جميع شركائنا .

ثم قالت: يواصل المتطرفون الاستيلاء علىٰ الأراضي، ومسؤولو الاستخبارات في الولايات المتحدة وأوروبا يحذِّرون من تشكيل هؤلاء تهديداً يمتد إلىٰ خارج سوريا، وفي شباط (٢٠١٤)، أعلن مدير وكالة الاستخبارات المركزية جون برينان: نحن قلقون من استخدام تنظيم القاعدة الأراضي السورية لتوظيف أفراد، وتطوير إمكاناته للتوصل إلىٰ أبعد من قيام هجمات في الداخل السوري، بل واستعمال سوريا نقطة انطلاق لعملياته .

وأضاف مدير الاستخبارات الوطنية جيمس كلابر كلاماً أدق في هذ الشأن، مشيراً إلىٰ أن هناك مجموعة متطرفة واحدة علىٰ الأقل في سوريا تطمح إلىٰ الاعتداء علىٰ الولايات المتحدة ، ليس باستطاعة الولايات المتحدة وحلفائها تجاهل هذا الخطر المتفاقم، وفي نيسان (٢٠١٤) صدرت تقارير بتوجه الولايات المتحدة إلىٰ زيادة التدريبات، وإمدادات الأسلحة، إلىٰ بعض مجموعات الثوار . انتهىٰ كلام هيلاري كلنتون مع بعض اختصار

اتضح من كلام هيلاري أن إعداد القوات التي ستصدِّرها إلىٰ الأراضي السورية، لتكون في قيادة الولايات المتحدة، وفي قبضتها، كان مجرىٰ التنفيذ منذ الاقتراح الأول الذي اقترحته عام (٢٠١٢)، ولما ظهرت ملامح تنظيم القاعدة في سوريا، سرَّعت من تصدير هذه القوات، وزادت في تدريبهم، ليكون مقابل تنظيم القاعدة، والمقصود هم القياديون، الذين سيقودون هذا التنظيم، فكان تنظيم الدولة في سوريا، ثم امتد إلىٰ العراق .

وقد أكد ترامب الرئيس الأمريكي هذه الحقيقة، فقد صرح لأكثر من مرة بأن أوباما الرئيس السابق للولايات المتحدة، ووزيرة خارجيته هيلاري كلنتون هما من قاما بإنشاء تنظيم داعش، فقد نشرت العربية الفضائية بتاريخ (١٢/٨/٢٠١٦) تصريحا لترامب قال فيه: إن هيلاري كلنتون شريكة أوباما بتأسيس هذه المنظمات الإرهابية، التي أدت إلى حالة من الفوضى، وخلق شبه دولة في سوريا والعراق .

أبو بكر البغدادي :

زعيم تنظيم داعش، واسمه المشهور به للملأ: إبراهيم عواد إبراهيم علي البدري السامرائي الحسيني، وكنيته أبو بكر البغدادي، أمير دولة الإسلام في العراق والشام قام بإعلان الوحدة بين دولة العراق الإسلامية وجبهة نصرة أهل الشام في سوريا، تحت اسم: تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، وبعد ذلك صدر التسجيل للرد على هذا الإعلان من خلال أمير جبهة النصرة: أبو محمد الجولاني، بعدم تأييد هذا الإعلان .

بعد سلسلة من العمليات أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية في (٤/ ١٠/ ٢٠١١) أن أبا بكر البغدادي يعتبر إرهابياً عالمياً، وأعلنت عن مكافأة قدرها (١٠) ملايين دولار لمن يُدلي بمعلومات تؤدي إلى القبض عليه أو قتله، وفي (١٦/ ١٢/ ٢٠١٦)، زادت الولايات المتحدة المكافأة إلى (٢٥) مليون دولار، وفي (٢٩) أيار، (٢٠١٤)، أعلن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام قيام "الدولة الإسلامية"، ونُصِّب أبو بكر البغدادي خليفة لها .

هذا هو العميل الذي تم تدريبه في إسرائيل ليقود تنظيم داعش، وحقيقته حسبما نشره الموقع الأمريكي "Veterans Today" في حزيران (٢٠١٧)، فقد نشر تقريرا جاء فيه: إن أبا بكر البغدادي أمير داعش، وخليفة ما يسمي بتنظيم الدولة الإسلامية بالعراق، هو عميل جهاز المخابرات الإسرائيلية "الموساد" واسمه بالإنجليزية: "سايمون إليوت" وبالعبرية "إليوت

شيمون"، تم تدريبه ليرأس تنظيم داعش، ليقف في وجه تنظيم القاعدة، ومن ثم نشر الفوضى في الدول العربية المجاورة لإسرائيل .

وهو مولود لأبوين يهوديين، تبنَّته أجهزة المخابرات الإسرائيلية، ودربته على وسائل التجسس، فحصل على تدريب عالٍ في التجسس، ومن ثمَّ زرعته ليقيم تنظيم "داعش"، الذي ينشر الفوضى في العالم العربي ويهدم الدول، لفرض سيطرة إسرائيل على منطقة الشرق الأوسط .

وقد أشار الموقع إلى تصريحات أدلى بها "إدوارد سنودن"، أحد موظفي وكالة الاستخبارات الأمريكية، الذي سرَّب تفاصيل برامج التجسس لوكالة الأمن القومي الأمريكية، لإحدى الصحف، حيث زعم "سنودن" أن تنظيم داعش ليس إلا نتاج خطة أمريكية وإسرائيلية وبريطانية، تهدف إلى جمع أغلبية مجاهدي العالم المتطرفين داخل تنظيم واحد، لنشر الفوضى في الشرق الأوسط وهدم الدول، ما يعطي إسرائيل والعالم الغربي فرصة أكبر للسيطرة على ثروات تلك المنطقة.

إن ما صرح به سنودن، هو عين ما صرحت به هيلاري كلنتون، بإنشاء تنظيم يقف في وجه تنظيم القاعدة، يكون عملاؤه مخلصين لأمريكا، يتم تدريبهم بعناية فائقة، حتى لا تتكرر غلطتهم في دعم المجاهدين الأفغان .

لقد تم تدريب البغدادي على أصول وفن الخطابة، والتأثير على الناس، ودراسة بعض الفتاوى المتعلقة بالتكفير، وإنشاء الأنظمة وأصول الحكم، وكيفية التعامل مع الجوار، ومع ذلك لم تتركه المخابرات الإسرائيلية، بل بقيت توجهه كيف وأين يتحرك، وما هو البرنامج الموكول إليه، وأمدته بعملاء مدرَّبين، أعانوه في برنامجه هذا، ثم أعلنت للناس أن البغدادي هو

رجل إرهابي، متطرف خطير، وقد خصصت مبلغ (٢٥) مليون دولار لمن يقتله، أو يدلي بمعلومات عن أماكن وجوده .

مسلمون دجالون [١٥٠] :

كتب الصحفي والكاتب الأمريكي، ستيف كول، كيف احتقر محمد بن عبدالوهاب، التابع المتزمت، والناقم: "النبلاء العثمانيين والمصريين، الذين يتزينون ويضربون على الدفوف، ويدخنون التبغ والحشيش، وهم يسافرون عبر جزيرة العرب كي يصلوا إلى مكة". ففي نظر عبدالوهاب، هؤلاء ليسوا بمسلمين؛ بل كانوا دجالين يتخفون في زي المسلمين، كما أنه في الحقيقة لم يجد سلوك البدو المحليين أفضل كثيراً، فقد أثاروا عبدَالوهاب بتقديسهم للأولياء، وبنائهم الأضرحة، وبمعتقداتهم الخرافية، على سبيل المثال؛ إجلالهم للمقابر، والأماكن التي كان يُعتقد أنها على اتصال خاص بالإله، فقد نهى الله عن إتيان هذا السلوك - الذي ندد به عبدالوهاب واعتبره بدعة.

وكابن تيمية من قبله، اعتقد عبدالوهاب أن فترة إقامة النبي محمد في المدينة هي النموذج المثالي للمجتمع المسلم (أفضل القرون)، الذي يجب أن يسعى المسلمون لمحاكاته (هذه هي السلفية بشكلٍ أساسي).

لقد أعلن ابن تيمية حرباً على الشيعية والصوفية والفلسفة الإغريقية، وتكلّم بصراحةً أيضاً عن رفضه لزيارة قبر النبي، والاحتفال بيوم مولده، مصرّحاً بأن كل هذه السلوكيات ليست إلا تقليدًا لعبادة المسيحيين للمسيح؛ باعتباره الرب (أي سلوكيات وثنية).

---

[١٥٠] مقال نشرته قناة العالم، يوم الإثنين، بتاريخ (١٦/ ١١/ ٢٠١٥)، نقلا عن صحيفة وورلد بوست، الأمريكية، بقلم الكاتب الصحفي: ستيف كول .

استوعب عبدالوهاب هذه التعاليم المبكرة، وأشار إلى أن "أي شكٍ أو تردد" من جانب المؤمن فيما يتعلق بهذا التفسير الخاص للإسلام، من شأنه أن "يحرمه من الحصانة القائمة على حرمة ممتلكاته وحياته [151] ".

وقد أصبحت إحدى المباديء الرئيسية لمذهب عبدالوهاب العقدي المنطلَق الأساسي للتكفير، ففي ظل المذهب التكفيري، استطاع عبدالوهاب وأتباعه، اعتبار زملائهم المسلمين كفارا، إذا ما انخرطوا في أنشطة يمكن الزعم بأي شكلٍ أنها تتجاوز سيادة السلطة المطلقة (التي تتمثل في الملك)، كذلك فقد ندد عبدالوهاب بكل المسلمين الذين يقدسون الموتى، أو الأولياء أو الملائكة، واعتبر أن هذه المشاعر تنقص من الخنوع الكامل لله، لله فقط، فالإسلام الوهابي، بالتالي، يمنع الصلاة عند الأولياء والموتى المحبوبين، والحج إلى مقامات ومساجد بعينها، والاحتفالات الدينية بالأولياء، وتقديس يوم مولد النبي محمد، بل وحتى يمنع استخدام شواهد القبور عند دفن الموتى.

لقد طالب عبدالوهاب بالامتثال - الامتثال الذي كان لزاماً أن يتم التعبير عنه بطرقٍ ماديةٍ وملموسة، فقال: إن جميع المسلمين يجب أن يتعهدوا بشكلٍ فرديٍ بالولاء لقائدٍ مسلمٍ واحد (الخليفة، إن وُجد)، وكتب: يجب أن يُقتل أولئك الذين لا يمتثلون لهذه الرؤية، وأن تُنتهك أعراض زوجاتهم وبناتهم، وأن تُصادر ممتلكاتهم.

وهكذا اشتملت قائمة المرتدين الذين يستحقون الموت على: الشيعة، والصوفيين، والطوائف الإسلامية الأخرى، التي لم يعتبرها عبدالوهاب مسلمةً على الإطلاق، لا يوجد هنا ما يفصل بين الوهابية وداعش، إذ ينشب الخلاف بعد ذلك فقط: من التأسيس اللاحق لمذهب

---

[151] **أي أن كل كافر يجب قتله في نظر ابن عبد الوهاب، وابن تيمية .**

محمد بن عبدالوهاب العقدي القائم على "حاكم واحد، وسلطة واحدة، ومسجد واحد" – فهذه الركائز الثلاث تشير بنفس الترتيب إلى الملك السعودي، السلطة المطلقة للوهابية الرسمية، وسيطرتها على "الكلمة" أو (المسجد).

هذا الخلاف – رفض داعش لهذه الركائز الثلاث التي تقوم عليها حالياً السلطة السُنّية بأسرها، هو ما يجعل داعش، التي تتطابق مع الوهابية في كل الجوانب الأخرى، تمثل تهديدًا عميقًا للمملكة العربية السعودية.

نبذة تاريخية (١٧٤١-١٨١٨) :

لقد أدّت دعوة عبدالوهاب لهذه الآراء شديدة التطرف بالطبع إلى طرده من مدينته، وفي عام (١٧٤١)، بعد زمنٍ من التيه، وجد ملجأً تحت حماية بن سعود وقبيلته، فلما أدركه بن سعود في تعاليم عبدالوهاب الجديدة هي أنها وسيلةٌ لقلب نظام العادات والتقاليد العربية، لقد كانت طريقاً للاستيلاء على السلطة.

عند هذه النقطة، استطاعت عشيرة ابن سعود – متسترةً تحت العقيدة الوهابية – أن تفعل ما اعتادت على فعله دائماً، أي شن الغارات على القرى المجاورة وتجريد أهلها من ممتلكاتهم، كل ما في الأمر أنهم كانوا لا يفعلون ذلك الآن في إطار التقليد العربي، وإنما تحت راية الجهاد، كذلك فقد أعاد كلٌّ من ابن سعود وعبدالوهاب تعريف فكرة الشهادة في سبيل الجهاد، والتي تضمن لأولئك الذين اُستشهدوا دخولًا فورياً إلى الجنة.

في البداية، داهموا بضعة مجتمعات محلية وفرضوا حكمهم عليها، وقد كان الاختيار محدوداً أمام السكان الذين تمت مداهمتهم: إما التحول إلى الوهابية أو الموت، وبحلول عام (١٧٩٠)، سيطر التحالف على معظم شبه الجزيرة العربية، وشن مراراً غارات على المدينة وسوريا والعراق، فقد قامت استراتيجيتهم – كما هي استراتيجية داعش اليوم – على إخضاع الشعوب

التي يغزونها، فقد كانوا يهدفون إلى زرع الخوف، ففي (١٨٠١)، هاجم الحلفاء مدينة كربلاء المقدسة بالعراق، وقاموا بذبح آلاف الشيعة، بما في ذلك النساء والأطفال، وتم تدمير العديد من الأضرحة الشيعية، بما فيها ضريح الإمام الحسين، حفيد النبي محمد الذي تم قتله.

وقد كتب المسئول البريطاني، ليوتينانت فرانسيس واردن، الذي كان يتابع الموقف في ذلك الوقت "لقد سرقوا المدينة (كربلاء) كلها، ونهبوا قبر الحسين... وقتلوا خلال يوم - بوحشيةٍ من نوعٍ خاص - أكثر من خمسة آلاف من السكان ...".

وقد كتب أيضاً أسامة بن بشر النجدي - مؤرخ الدولة السعودية الأولى - أن بن سعود ارتكب مذبحة في كربلاء عام (١٨٠١)، وسجّل هذه المذبحة قائلًا "لقد استولينا على كربلاء وذبحنا واتخذنا أهلها (عبيدًا)، فالحمد لله رب العالمين، ونحن لا نعتذر عن ذلك، بل نقول: "وللكافرين: نفس المعاملة".

وفي عام (١٨٠٣)، دخل عبدالعزيز المدينة المقدسة "مكة"، التي استسلمت تحت تأثير الإرهاب والخوف (نفس المصير الذي لاقته "المدينة" أيضًا)، وهدم أتباع عبدالوهاب المعالم التاريخية، ومن بينها كل المقابر والأضرحة، وفي النهاية، دمّروا قروناً من العمارة الإسلامية التي كانت تجاور المسجد الحرام.

إلا أنه في (نوفمبر من العام ١٨٠٣)، قتل موتورٌ شيعي الملك عبدالعزيز (انتقاماً منه لمذبحة كربلاء، خلف الملك ابنه، سعود بن عبدالعزيز، وواصل غزو الجزيرة العربية، إلا أن الحكام العثمانيين لم يعودوا قادرين على الجلوس وهم يشاهدون امبراطوريتهم يتم التهامها قطعةً قطعة، في (١٨١٢)، طرد الجيش العثماني، المكوّن من المصريين، الحلفاء خارج المدينة وجدة ومكة، وفي (١٨١٤)، مات سعود بن عبدالعزيز متأثراً بالحمى، وقد أُسِر ولده عاثر الحظ، عبدالله بن سعود، وتم اقتياده إلى اسطنبول حيث أُعدم بشكلٍ مروِّع (ذكر أحد زوار اسطنبول

أنه رآه وهو يتم إذلاله في شوارع اسطنبول لثلاثة أيام، ثم شُنق بعد ذلك وقُطعت رأسه، وتم إطلاقها من فوهة المدفع، ثم استُئصل قلبه وقُطِّع وغرست أجزاؤه في جسده، وفي (١٨١٥)، سحق المصريون (الذين كانوا يقاتلون في جانب العثمانيين) القوات الوهابية في معركةٍ حاسمة، وفي عام (١٨١٨) استولى العثمانيون على العاصمة الوهابية "الدرعية" ودمروها، وبذلك انتهت الدولة السعودية الأولى، وانسحبت الأعداد القليلة الباقية من الوهابيين إلى الصحراء لإعادة ترتيب صفوفهم، وبقوا هناك في سكون لمعظم القرن التاسع عشر.

التاريخ يعيد نفسه مع داعش .

ليس من الصعب إذن أن نفهم كيف أن تأسيس "الدولة الإسلامية" بواسطة داعش في العراق المعاصر، قد يعيد أصداءً تاريخية بين أولئك الذين يتذكرون هذا التاريخ، وفي الحقيقة، فإن روح وهابية القرن الثامن عشر لم تذوِ مقتصرةً فقط على نجد، ولكنها عادت مرةً أخرى إلى الحياة عندما انهارت الامبراطورية العثمانية في خضم الفوضى التي تزامنت مع الحرب العالمية الأولى.

فقد انضوى آل سعود – في فترة نهضتهم بالقرن العشرين – تحت لواء عبدالعزيز – الرجل الهادىء والمخضرم سياسياً – الذي قام، في سياق توحيد القبائل العربية العنيدة، بإطلاق حركة "الإخوان" السعوديين بنفس الروح القتالية التبشيرية المبكرة لعبد الوهاب وبن سعود.

لقد كان "الإخوان" نسخةً أخرى للحركة الطليعية الشرسة شبه المستقلة المبكرة "للأخلاقيين" الوهابيين المسلحين الذين كانوا قد نجحوا تقريباً في الاستيلاء على الجزيرة العربية بأوائل القرن التاسع عشر، ومثلما حدث سابقاً، نجح "الإخوان" في الاستيلاء على مكة والمدينة وجدة بين عامي (١٩١٤ و١٩٢٦)، وبالرغم من ذلك، فقد بدأ عبدالعزيز يشعر بأن "اليعقوبية" الثورية التي يظهرها "الإخوان" تمثل تهديداً لمصالحه الواسعة، وبالفعل، ثار

الإخوان عليه - مما أدى لحربٍ أهلية استمرت حتى ثلاثينيات القرن العشرين، عندما أخمدها الملك بالانتصار عليهم: حيث أطلق عليهم النار باستخدام الأسلحة المتطورة.

في عهد هذا الملك (عبدالعزيز)، بدأت الحقائق البسيطة للعقود الماضية في التآكل، إذ كان النفط يتم اكتشافه في شبه الجزيرة، وكانت بريطانيا وأمريكا تغازلا عبدالعزيز، وإن ظلوا حتى ذلك الوقت أقرب لدعم الشريف الحسين كحاكمٍ شرعيٍ وحيدٍ لجزيرة العرب، ومن هنا احتاج السعوديون أن يطوروا موقفاً دبلوماسياً أكثر تعقيداً.

لذلك تم تغيير "الوهابية" بالقوة من كونها حركة جهادٍ ثورية قائمة على التطهر الديني التكفيري، لتصبح حركة دعوية محافظة اجتماعياً وسياسياً ودينياً (الدعوة الإسلامية) وأن تعمل كمؤسسةٍ تبرر الالتزام بالولاء للعائلة السعودية المالكة ولسلطة الملك المطلقة.

الثروة النفطية وانتشار الوهابية:

بظهور الثروة النفطية - كما يكتب الباحث الفرنسي جيل كيبيل - تمثّلت الأهداف السعودية في "إيصال ونشر الوهابية في جميع أنحاء العالم الإسلامي... أي العمل على "وهبنة" الإسلام، وبالتالي اختزال "الأصوات والآراء الدينية المتنوعة في "عقيدةٍ واحدة" - الحركة التي كان من شأنها تجاوز الانقسامات القومية، وقد تم - وما يزال يحدث - استثمار مليارات الدولارات في هذا الشأن تعبيراً عن القوة الناعمة للسعودية.

لقد كان مزيجاً مُسكراً من تصاعد القوة الناعمة المدعومة بمليارات الدولارات، والرغبة السعودية في السيطرة على الإسلام السُنّي على حدٍ سواء، مع العمل على تعزيز مصالح الولايات المتحدة، فقد رسخت، بالتزامن، الوهابية دراسياً واجتماعياً وثقافياً في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وهو بدوره تحول إلى جزءٍ من سياسة الاعتماد الغربية على السعودية، سياسة

الاعتماد التي بدأت منذ اجتماع عبدالعزيز مع روزفلت على سفينة حربية أمريكية (أثناء عودة الرئيس من مؤتمر يلاطا) وتستمر حتى اليوم.

لقد ركَّز الغربيون اهتمامهم على المملكة، ونظروا إليها من منطلق الثروة، والتحديث الظاهري، والقيادة المزعومة للعالم الإسلامي، واختاروا الافتراض بأن المملكة ستخضع أمام ضرورات الحياة الحديثة، كما أن إدارتها للإسلام السني ستثنيها عن تشددها وتُخضعها أيضاً للحياة الحديثة.

ولكن رؤية "الإخوان السعوديين" للإسلام لم تمت في ثلاثينيات القرن العشرين، لقد تراجعت، ولكنها بقيت مسيطرةً على بعض مفاصل النظام - وهذا هو مصدر الازدواجية التي نلاحظها اليوم في الموقف السعودي تجاه داعش.

فمن جانبٍ تُعدُّ داعش حركةً وهابية بشكلٍ عميق، ومن جانبٍ آخر، فهي شديدة التطرف بطريقة مختلفة، ومن الممكن أن ننظر إليها جوهرياً باعتبارها حركةً تصحيحية للوهابية المعاصرة.

فداعش هي حركة "ما بعد المدينة": إنها تنظر لأفعال كلا الخليفتين الأولين، بدلًا من النبي محمد نفسه، كمصدرٍ للمحاكاة، كما أنها تنكر بقوةٍ ادعاء السعوديين بحقهم في تولي السلطة.

ومع تطور الملكية السعودية في زمن النفط لتصبح مؤسسة أكثر تضخماً، كسبت دعوة الإخوان مزيداً من الأرض (برغم الحملة التحديثية التي قام بها الملك فيصل)، فقد تمتعت "رؤية الإخوان" - ولا تزال تتمتع - بدعم من العديد من الرجال والنساء والمشايخ البارزين، وبمعنى من المعاني، كان أسامة بن لادن تمثيلاً دقيقاً للازدهار الذي حدث مؤخراً لدعوة الإخوان.

واليوم، لا يبدو أن تقويض داعش لشرعية الملك إشكاليٌّ، بل يمكن اعتبار ذلك عودة للأصول الصحيحة للمشروع السعودي – الوهابي، فخلال الإدارة التنسيقية المشتركة للمنطقة من قِبل السعوديين والغرب، وفي سياق تنفيذ المشروعات الغربية (مواجهة الاشتراكية والفكر البعثي والناصرية والنفوذ السوفيتي والإيراني)، سلّط السياسيون الغربيون الأضواء على عناصرٍ انتقائية تؤكد قراءتهم لموقف السعودية (الثروة والتحديث والنفوذ)، ولكنهم اختاروا تجاهل المكوّن الوهابي.

وفي نهاية المطاف، كانت أجهزة الاستخبارات الغربية تنظر إلى الحركات الإسلامية الأكثر تطرفاً باعتبارها أكثر فاعلية في دحر الاتحاد السوفيتي في أفغانستان – وفي قتال بلدان وزعماء الشرق الأوسط المغضوب عليهم.

فلماذا يجب أن نندهش إذن من أن التفويض الغربي – السعودي للأمير بندر في التعاطي مع التمرد في سوريا ضد الرئيس الأسد، كان من شأنه أن يؤدي لنشوء طبعة إخوانية جديدة، في صورة حركة عنيفة تعتمد على زرع الخوف: داعش؟

ولماذا يجب أن نندهش – إذا كنا نعرف القليل عن الوهابية – من أن المتمردين "المعتدلين" في سوريا أصبحوا أكثر ندرةً من أحادي القرن الأسطوري؟

لماذا كان ينبغي علينا أن نتصور أن الوهابية ستخلق معتدلين؟

أو لماذا تخيلنا أن المذهب العقدي القائم على "زعيم واحد، وسلطة واحدة، ومسجد واحد: تعترف بهم أو تُقتل" كان بإمكانه أن يؤدي بنهاية المطاف إلى اعتدالٍ وتسامحٍ؟ أو ربما لم نكن نتخيل من الأساس. انتهى مقال ستيف كول

هيكلة التنظيم وسماته :

اتخذ التنظيم هيكلة الدولة، يتربع على قمة هذا الهيكل الخليفة، وهو القائد الأعلى للدولة والجيش، وعنه تصدر القرارات، يساعده في ذلك: مجلس الشورى، وهو من أهم المؤسسات التابعة للتنظيم، ويتخذ الخليفة نائبين، أبو مسلم التركماني للعراق، وأبو علي الأنباري لسوريا، و(١٢٢) حاكماً محلياً في كل من العراق وسوريا، كما يوجد للتنظيم العديد من الهيئات؛ تقوم مقام الوزارات، مثل: هيئة المالية، وهيئة القيادة، وهيئة الأمور العسكرية، وهيئة الأمور القانونية، وهيئة مساعدة، وهيئة الأمن، وهيئة الإعلام، وغيرها، ويتمتع الإعلام بأهمية كبيرة داخل هيكلية تنظيم داعش، وهو من أكثر التنظيمات الإرهابية اهتماماً بشبكة الإنترنت والمسألة الإعلامية؛ فقد أدرك منذ فترة مبكرة من تأسيسه الأهمية الاستثنائية للوسائط الاتصالية في إيصال رسالته السياسية، ونشر أيديولوجيته السلفية الجهادية، فأصبح مفهوم "الجهاد الإلكتروني" أحد الأركان الرئيسية، ومن أحد أبرز المؤسسات التابعة لها: مؤسسة الفرقان، وفي تقرير لصحيفة الصندي تايمز أن خمسة شباب برتغاليين أعلنوا عن انتاج التنظيم لأفلام الإعدام التي يتم انتاجها.

يتبنى التنظيم أيضاً فكرة بيت المال، حيث يعد تنظيم داعش الأغنى في تاريخ الحركات الإرهابية الإسلامية، وقد تفوق على تنظيم القاعدة المركزي والفروع الإقليمية للقاعدة، فتمكن منذ عهد الزرقاوي من بناء شبكات تمويل ممتدة فترة مبكرة

الولايات :

قسم التنظيم المناطق التي سيطر عليها إلى عدة مناطق سميت بالولايات وتشمل :

منطقة سوريا

ولاية الرقة .

ولاية الخير: وهي أجزاء من ريف الميادين .

ولاية حلب .

ولاية دمشق، حي الحجر الأسود وبعض من مخيم اليرموك .

ولاية حمص .

ولاية حماة .

ولاية البادية .

ولاية البركة .

ولاية الفرات، ألبو كمال .

وهذه الولايات ليست كلها تحت سيطرته، ولكنه المخطط التنظيمي في حالة السيطرة عليها

منطقة الجزيرة :

ولاية نجد .

ولاية الحجاز .

ولاية البحرين .

منطقة اليمن:

ولاية عدن .

ولاية حضرموت .

ولاية شبوة .

التواجد الفعلي للتنظيم:

تشمل سيطرة قوات التنظيم على مساحات محدودة في المحافظات العراقية، وتغطي الهجمات التي تشنها كل الأراضي العراقية، ولكن تعتبر المحافظات السنية الواقعة شمال وغرب بغداد،

او ما يعرف بالمثلث السني هي مراكز تواجد داعش في العراق، وأما في سوريا: فيتواجد التنظيم في: محافظة الرقة، ويتفاوت التواجد والسيطرة العسكرية من محافظة لأخرى، فمثلا لديها نفوذ قوي في محافظة دير الزور، وفي بعض أجزاء من محافظة حمص، ولديها نفوذ أقل في الحسكة وحماة.

تمويل التنظيم:

اختلفت الآراء حول الجهة الداعمة لتنظيم الدولة، والذي يظهر أنه يستمد دعمه من أكثر من جهة، فقد تقدم عن هيلاري كلنتون أن الولايات المتحدة هي من أنشأت هذا التنظيم، فدعمته، وأوعزت إلى حلفائها في المنطقة بدعمه، فدعمته حكومة الرياض، وقطر، وإيران، وقدمت إسرائيل دعماً بمعالجة الجرحى في مشافيها.

أما الولايات المتحدة:

فقد اتهم عضو السناتور الأمريكي الصغير من ولاية كنتاكي راند بول، الحكومة الأمريكية بتقديم دعم غير مباشر لتنظيم داعش في الحرب الاهلية السورية، من خلال دعم حلفائها ومقاتلة أعدائها في ذاك البلد، لقد ساعدت أمريكا المعارضة السورية المعتدلة، ولكن كون المساعدة استولي عليها من قبل حلفاء داعش يبقى غير واضح .

أما إسرائيل:

فقد اتهمت بعض وسائل الإعلام والمخابرات الإيرانية والروسية "أبو بكر البغدادي" بأنه إسرائيلي، يهودي، وعميل في الموساد، وأنه استخدم اسماً مزيفاً ومعلومات مزيفة، واسمه الحقيقي هو: "شمعون إيلوت" بالتعاون مع الاستخبارات الأمريكية والبريطانية، لربط الإسلام بالإرهاب، ونقلت المصادر تصريحات الموظف السابق في وكالة الأمن القومي الأمريكي "إدوارد سنودن" حيث أوضح في وثائقه، أن أجهزة الاستخبارات الأمريكية

والبريطانية والإسرائيلية، تتحمل مسؤولية إنشاء داعش، لافتاً النظر إلى أن متزعم التنظيم "أبو بكر البغدادي" خضع لتدريب عسكري مكثف لمدة عام كامل، من قبل جهاز الموساد الإسرائيلي، بالتوازي مع تلقيه دروساً في اللاهوت وفن الخطابة.

وقد اتهم الأمين العام لعصائب أهل الحق: الشيخ قيس الخزعلي أن إسرائيل أوجدت داعش، وقال: إن الدليل على ذلك هو أن "داعش الذي يدعي أنه الدولة الإسلامية، لم يقتل إلا المسلمين، ولم يقتل إسرائيلياً واحداً بل على العكس، الكيان الإسرائيلي هو الذي كان يعالج في مستشفياته جرحى التنظيمات التكفيرية".

وأما إيران:

فقد اتهم عبد الحليم خدام إيران باحضار داعش إلى سوريا.

انتهاكات حقوق الإنسان :

صدّر التنظيم الإسلام للعالم بثوب ممسوخ، تتقزز من النفوس، وينشرون إرهابهم عبر أشرطة مصورة على شبكة الإنتر نت، وذلك لبث الرعب في قلوب المواطنين، فلا يجرؤ أحد على الوقوف بوجههم، متمسكين بسنة سلفهم محمد بن عبد الوهاب، الذي قتل الناس، ودمر المدن، وأحرق المزروعات، واسترق الصبيان والنساء، وأتى على البنية التحتية للمناطق التي اجتاحتها قواته فكانت كأمس الدابر، وذلك كما وصفه ابن بشر، وابن غنام، وهما من أرَّخ للحركة الوهابية، حتى يوقع الرعب في ثلوب القبائل فلا تتمكن من قتاله، وتدخل في حركته، ويكونون من جملة أتباعه خاضعين له .

تفرض داعش على أهالي المناطق التي تُسيطر عليها اعتناق الإسلام، حسب اعتقادها وتفسيراتها للمذهب السني، أو دفع الجزية، فقد استعمل التنظيم تهديدات القتل والتعذيب، لفرض تحويل غير المسلمين للإسلام، وقتل بعض الشيوخ لرفضهم إعطاء البيعة للتنظيم،

والذي لوحظ أن عنف واضطهاد داعش موجَّه بشكل أساسي نحو الأقليات، كالشيعة، والسريان، والكلدان، والآشوريين، والأرمن ، والإيزيدية والدروز والمندائيين .

معاملة المدنيين :

خلال الصراع العراقي في عام (٢٠١٤)، أصدر التنظيم عشرات من أشرطة الفيديو، تظهر سوء معاملة المدنيين، وكثير منهم استهدفوا على أساس ديني، أو عِرقي، وحذرت "نافي بيلاي" المفوضة السامية لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، من جرائم الحرب التي ارتكبت، وأفادت الأمم المتحدة أنه في الأيام من (١٧/ ٥) ولغاية (٢٢/ ٦)، قتل التنظيم أكثر من (١٠,٠٠٠) مدنياً عراقياً، وإصابة أكثر من (١٠٠٠).

يوم (٢٩/ ٤/ ٢٠١٤): داهم التنظيم قرية في سوريا وقتلت (١٥) مدنياً على الأقل، ووفقاً لمنظمة: "هيومن رايتس ووتش" فإن من بينهم ستة أطفال على الأقل، وأكد مشفى في المنطقة أنه تلقى (١٥) جثة في اليوم نفسه، ووفقاً لوكالة: "رويترز" فإن داعش قتلت (١٨٧٨) شخصاً في سوريا خلال الأشهر الستة الأخيرة من عام (٢٠١٤)، معظمهم من المدنيين.

تجنيد الأطفال :

من صور الوحشية التي كان يرتكبها التنظيم؛ أنه كان يجند الأطفال العراقيين في سن التاسعة إلى صفوفه، ويحرضونهم على القتل، ويصوِّرون لهم أن كل من لم ينضم إليهم فهو مشرك يجب قتله، فكانوا يغطون وجوههم بالأقنعة، ويحملونهم البنادق ويسيرونهم في دوريات تجوب شوارع الموصل.

وفقا لتقرير صادر عن مجلة السياسة الخارجية، فإن أطفالاً لا تتجاوز أعمارهم الست سنوات، خُطفوا وأُرسلوا إلى معسكرات التدريب العسكرية والدينية، حيث يتدربون على قطع رؤوس الدُّمى، ويلقَّنون وجهات النظر الدينية وفقاً لأفكار التنظيم

ومنها أنه كان يتم استخدام الأطفال كدروع بشرية في الخطوط الأمامية، ويُستخدمون لعمليات نقل الدم منهم لمقاتلي التنظيم، كما أن أطفالاً تقل أعمارهم عن (١٥) سنة، كانوا يؤخذون إلى مخيم الشريعة، لمعرفة المزيد عن الدين، في حين أن كبار السن ممن هم فوق (١٦) سنة يؤخذون إلى معسكرات للتدريب العسكري، كما كانوا يستخدمون الأطفال للدعاية، وفقا لتقرير للأمم المتحدة: "في منتصف أغسطس، دخلت داعش مستشفى السرطان في الموصل، وأجبرت اثنين على الأقل من الأطفال المرضى على حمل علم داعش، ونشرت الصور على شبكة الإنترنت .

العنف والعبودية الجنسية :

إن الانتهاكات الجنسية باسم الرق مما اشتهر به التنظيم، وشبكة الإنتر نت مليئة بمقاطع الفيديو والمقالات عن هذه الظاهرة، وهناك العديد من التقارير حول الاعتداءات الجنسية على النساء والفتيات، واستعبادهم في المناطق المسيطَر عليها من قبل التنظيم، وأغلبهم من الأقلية المسيحية واليزيدية.

وفقا لتقرير واحد من قبل صحيفة "الجارديان" فقد رافق سيطرة داعش على المدن العراقية في يونيو (٢٠١٤) أعمال متطرفة؛ كاستخدام النساء رقيقاً للجنس والاغتصاب، وذكرت أن جرائم المقاتلين المرتكبة تصاعدت ضد النساء، بما في ذلك الخطف والاغتصاب، وأن مقاتلي داعش أحرار في ممارسة الجنس، أو اغتصاب النساء غير المسلمات الأسرى عندهم .

وقد أبرزت هالة اسفندياري من مركز "وودرو ولسون الدولي للعلماء" إساءة معاملة النساء من قبل مسلحي داعش، بعد أن سيطروا على المنطقة: "إن الفتيات الصغيرات ... يتعرضن للاغتصاب، أو يتم تزويجهن للمقاتلين، وعادة ما تؤخذ النساء الأكبر سناً إلى سوق الرقيق مؤقتاً ومحاولة بيعهن"، مضيفة " أنها تقوم على الزواج المؤقت، ومرة واحدة قام المقاتلين

بممارسة الجنس مع هؤلاء الفتيات ، وأما الناشطة في حقوق الإنسان من أصل كردي فقالت: بأن المرأة اليزيدية عوملت كالماشية، في المناطق التي استولت عليها داعش، وقد كن يتعرضن للعنف الجسدي والجنسي بما في ذلك الاغتصاب المنهجي، والعبودية الجنسية، وقد عُرضن في الأسواق في الموصل والرقة، وهن يحملن بطاقات الأسعار.

صدر تقرير للأمم المتحدة يوم (٢/ ١٠/ ٢٠١٤)، استنادا إلى (٥٠٠) مقابلة مع شهود عيان، بأن التنظيم أخذ (٤٥٠-٥٠٠) من النساء والفتيات في منطقة نينوىٰ في العراق في شهر (آب/ ٢٠١٤) وكان منهن (١٥٠) من الفتيات غير متزوجات، وهن في الغالب من الطائفتين اليزيدية والمسيحية، ويتم التعامل معهن إما مكافأة لمقاتلي التنظيم يستمتعوا بهن، أو مكافأة لهم ليتم بيعهن كرقيق للجنس.

وفي منتصف (تشرين/ ١) أكدت الأمم المتحدة أن (٥,٠٠٠-٧,٠٠٠٠) من النساء والأطفال اليزيديين، قد تم اختطافهم من قبل داعش، ليباعوا في سوق النخاسة.

البغدادي صنيعة أمريكية:

نشرت صحيفة المثقف الإلكترونية بعددها رقم: (٣٢٥٨) تاريخ: (٧/ ٨/ ٢٠١٥)، مقالاً عن أبي بكر البغدادي، أمير تنظيم داعش، وعلاقته مع السيناتور الأمريكي جون ماكين جاء فيه:

الصورة رقم (١): اجتماع جون ماكين مع أبو بكر البغدادي في سوريا: جون ماكين مع قادة الجيش السوري الحر. في مقدّمة يسار الصورة ابراهيم البدري (البغدادي لاحقاً) الذي كان السيناتور يحدّثه، بجواره اللواء سليم إدريس (يلبس نظّارات) .



الصورة رقم (٢): الصورة كما بثتها قناة الـ CNN:



الصورة رقم (٣): جون ماكين وقائد الجيش السوري الحر وخلفهما البغدادي



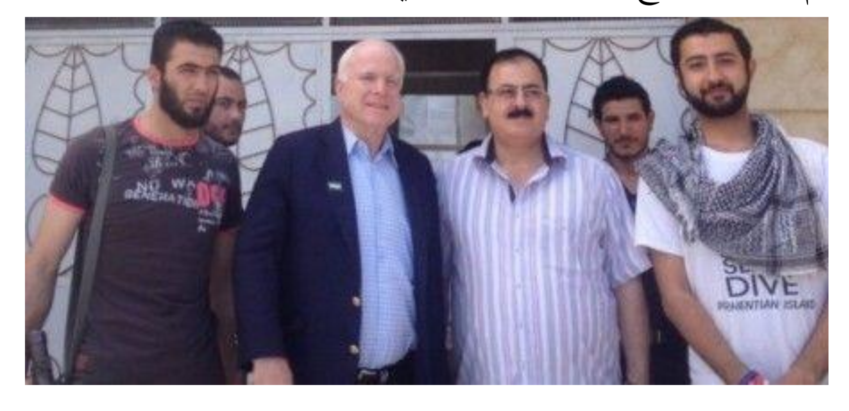
الصورة رقم (٤) جون ماكين والإرهابي محمد نور: جون ماكين في سوريا، في مقدمة الصورة مدير قوة مهمة الطوارئ السورية، وفي مدخل الباب يظهر "محمد نور" الإرهابي المُتّهم بخطف الحجاج اللبنانيين الأحد عشر .





الصورة رقم (٥): الإعلان القضائي الأمريكي الذي يطالب بإبراهيم البدري (البغدادي) ضمن الإرهابيين الخمسة .

صورة رقم (٦): ماكين مع الإرهابيين السابقين في لقطة أخرىٰ:



صورة رقم (٧) ماكين مع مقاتلي داعش:



تقديم شبكة فولتير لمقالة المفكر الفرنسي "ثييري مايسون":

وهذه صورة إعلان السلطات الأمريكية عن جائزة قدرها (٢٥) مليون دولار لمن يقتل البغدادي، أو يُدلي بمعلومات عنه .



كلّ واحد منّا لاحظ التناقض في سلوك الأمريكان وحلفائهم الخليجيين الذين وصفوا مقاتلي الدولة الإسلامية بأنّهم "مقاتلو الحرّية" في سوريا والذين يعلنون الآن سخطهم وامتعاضهم وهم يواجهون الأفعال الشنيعة لهؤلاء في العراق ! ولكن إذا كان هذا الخطاب متناقضاً بحد ذاته، فإنه يقدّم المعنى الدقيق للخطة الاستراتيجية الأمريكية وهي: إنّ نفس الأفراد الذين يُقدَّمون كحلفاء بالأمس، يُقدَّمون حتماً كأعداء اليوم، حتى لو أنّهم ما يزالون تحت إمرة واشنطن، وهذه الحقيقة الاستراتيجة هي التي عمل المفكر الفرنسي "تيري مايسون" على كشفها من خلال حالة السيناتور "جون ماكين" مُرشد الربيع العربي الدموي، والشريك الشرعي للخليفة إبراهيم .

ثيري مايسان [١٥٢] : جون ماكين يترأس اجتماع مؤامرة الربيع العربي:

يقول مايسان: "عندما كنتُ في ليبيا خلال "الهجمة الغربية" المدمّرة عليها، تسنّى لي الإطلاع على تقرير للمخابرات الأجنبية في طرابلس، يشير إلى أنّه في (٤/ ٢/ ٢٠١١)، عقد "حلف الناتو" اجتماعا سريّا في القاهرة لإطلاق خطة «الربيع العربي» في ليبيا وسوريا، وحسب هذه الوثيقة فقد ترأس هذا الإجتماع السيناتور "جون ماكين" ، ثم يذكر هذا التقرير بالتفصيل أسماء أعضاء الوفد الليبي الذي كان يرأسه الرجل الثاني في الحكومة في ذلك اليوم "محمّد جبريل"، الذي جلس جانباً عند مدخل قاعة المؤتمر، ليصبح القائد المُعارض في المنفى، وأتذكر أنّه بين المدعوّين الذين حضروا المؤتمر، والذي ذكره التقرير هو "برنار هنري ليفي Bernard-Henry Lévy على الرغم من أنّه لا يمارس أي وظيفة رسميّة ضمن الحكومة الفرنسية ! وقد حضرت المؤتمر العديد من الشخصيات، من بينها عدد كبير من ممثلي السوريين في الخارج، نتجت عن

---

[١٥٢] صحفي وكاتب فرنسي، من مواليد (١٩٥٧)م، له مؤلف: الخدعة الرهيبة، أثبت فيه أن أحداث الحادي عشر من أيلول هي لعبة أمريكية، لا شأن لتنظيم القاعدة فيها .

هذا المؤتمر حساب لـ "الثورة السوريّة" الغريبة على الفيسبوك في عام (٢٠١١) الذي دعا إلى مظاهرات خارج إطار مجلس الشعب، وبالرغم من أن هذا الموقع أدّعى أنّ لديه أكثر من (٤٠,٠٠٠) مؤيّد، لم يستجب للتظاهرات سوى عدد قليل من الناس، أمام أضواء عدسات المصوّرين والمئات من الشرطة، وقد تفرّق المتظاهرون بسلام، ولم تبدأ المصادمات إلّا بعد شهر في مدينة "درعا".

في (١٦/ ٢/ ٢٠١١) خرجت تظاهرات في بنغازي في ذكرى مقتل أعضاء من الجماعة الإسلامية، قُتلوا في عام (١٩٩٦) في سجن "أبو سليم" وقد تطور الأمر إلى إطلاق نار، وفي اليوم التالي خرجت مظاهرات أخرى إحياءً لذكرى المُحتجين الذين قُتلوا، حين هاجموا القنصلية الدنماركية، احتجاجاً على الصور المُسيئة للنبي محمد، وقد انتهت أيضاً بإطلاق النار، وفي الوقت نفسه، قامت مجموعة من أعضاء جماعة إسلامية مسلّحة قادمون من مصر، ويقودهم أشخاص مقنّعون غير معروفين، بالهجوم على أربعة معسكرات للجيش، في أربع مدن ليبية في وقت واحد، وبعد ثلاثة أيام، أشعل المعارضون انتفاضة "برقة" ضد طرابلس، التي صوّرها الإعلام الغربي كذباً بأنها "ثورة ديمقراطية" تهدف إلى إسقاط "نظام" معمر القذافي.

ماكين وتهريب الأسلحة:

في (٢٢/ ٢) من العام نفسه، كان جون ماكين في لبنان، حيث التقى بجماعة تيار المستقبل (حزب سعد الحريري) كي يعهد إليهم بإدخال الأسلحة إلى سورية من خلال النائب عقاب صقر، بعدها غادر ماكين بيروت ليقوم بجولة تفتيشية على الحدود مع سورية، واختار عرسال لتكون قاعدة خلفية للمرتزقة في الحرب التي ستأتي.

لم تكن هناك عمليات عسكرية، في تلك الأثناء كانت سورية لا تزال تنعم بالهدوء، وما من أحد، باستثناء الرئيس بشار الأسد، كان يتوقع قدوم الكارثة التي تحضّرها الولايات المتحدة .

كان المؤتمر الذي ترأسه ماكين، هو نقطة الإشعال في مخطّط أعدّت له واشنطن طويلاً، يتضمن قيام بريطانيا وفرنسا بمهاجمة ليبيا وسوريا في وقت واحد، تنفيذاً لقاعدة "القيادة من الخلف:leadership from behind" وملحق اتفاقية "بيت لانكستر" التي وقعتها فرنسا وبريطانيا في (تشرين٢ / ٢٠١٠) (وهي اتفاقية للدفاع والتعاون الأمني، وقعها رئيس وزراء بريطانيا ديفيد كاميرون، والرئيس الفرنسي ساركوزي – المترجم) .

رحلة ماكين إلى سوريا:

في (آيار/ ٢٠١٣) دخل جون ماكين الأراضي السورية عبر تركيا بصورة غير مشروعة، ليصل مدينة أدلب، ليجتمع بقادة "المعارضة المسلحة" ، ولم يعلن عن هذه الزيارة إلّا بعد أن عاد إلى واشنطن، وهذا الدخول غير الشرعي جريمة يجب أن يُحاسب عليها قانونيا ، وهذه الزيارة نُظّمت من قبل "قوّة مهمّة الطوارىء السورية " Syrian Emergency Task Force" التي هي على العكس من اسمها، فهي منظمة صهيونية يقودها عاملون فلسطينيون في منظمة "أيباك – AIPAC" .

في مجموعة من الصور نُشرت في ذلك الوقت، تضمنت واحدة وجود "محمد نور" الناطق باسم لواء عاصفة الشمال (تابع لجبهة النصرة أي للقاعدة في سوريا) الذي قام بخطف أحد عشر حاجاً لبنانياً شيعياً في منطقة "اعزاز" . وعندما سُئل جون ماكين عن علاقته بأعضاء القاعدة الخاطفين زعم السيناتور بأنّه لا يعرف محمد نور، وأن الأخير أقحم نفسه في الصورة !

أثارت الصورة والحادثة ضجّة كبيرة، وقامت عوائل الحجاج المختطفين بتقديم شكوى إلى القضاء اللبناني ضد السيناتور ماكين، لتواطؤه في جريمة الخطف .

ويجتمع مع البغدادي بحضور قائد الجيش الحر:

وإذا استطعنا رؤية اللواء سليم إدريس قائد الجيش السوري الحر، نستطيع أيضاً مشاهدة ابراهيم البدري (في الأمام إلى اليسار) الذي كان السيناتور يتحدّث معه، وعند عودته من تلك الرحلة العجيبة، زعم جون ماكين أنّ جميع المسؤولين عن الجيش السوري الحر هم أشخاص "معتدلون – غير متطرّفين – ويمكن الثقة بهم" .

لكن منذ (٤/ ١٢/ ٢٠١١) كان إبراهيم البدري (البغدادي لاحقاً وكان يعرف أيضاً بـ أبو دعاء) في قائمة ضمّت خمسة إرهابيين من أكثر المطلوبين من قبل الولايات المتحدة الأمريكية (مكافآت من أجل العدالة)، تخصيص مكافأة تصل إلى (١٠) ملايين دولار لمن يساعد في إلقاء القبض عليه، في اليوم التالي ؛ وُضع ابراهيم البدري في قائمة لجنة العقوبات التابعة للأمم المتحدة، مطلوباً كعضو من أعضاء القاعدة (وفي الصورة رقم (٥) تشاهد الإعلان القضائي الأمريكي الذي يطالب بابراهيم البدري ضمن الإرهابيين الخمسة).

بالإضافة إلى ذلك، وقبل لقائه بماكين بشهر واحد، قام ابراهيم البدري الذي صار يُعرف باسم حركي هو "أبو بكر البغدادي"، بتأسيس تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام – Islamic State in Iraq and the Levant (ÉIIL) – والتي مازالت جزءاً من منظمة الجيش السوري الحر "المعتدلة جداً" . وقد ادّعى البغدادي بأنه مسؤول عن الهجوم على سجني أبي غريب والتاجي في العراق التي هرّبت بين (٥٠٠ – ١٠٠٠) إرهابي التحقوا بمنظمته حسب قوله، وقد تزامنت هذه العملية مع هجمات للقاعدة على السجون في ثمانية من البلدان في وقت واحد، وفي كل هجمة كان السجناء الفارّين يلتحقون بمنظمات الجهاديين الذين يقاتلون في سوريا، وكانت هذه الحالة من الغرابة حتى أنّ الإنتربول أصدر إشعاراً طلب فيه مساعدة (١٩٠) دولة أعضاء فيه !!!

من جانبي – والكلام لشيري مايسون – كنتُ أقول دائماً إنّه لا فرق على الأرض بين الجيش السوري الحرّ، وجبهة النصرة، والدولة الإسلامية .. إلخ . كل هذه المنظمات تتكوّن من نفس الأعضاء الذين يبدّلون "الأعلام" باستمرار، فعندما يطرحون أنفسهم كجيش سوري حرّ فإنهم يلوِّحون بعلم الاستعمار الفرنسي، ويتحدّثون فقط عن إسقاط "الكلب بشّار" ، وعندما يقولون بأنهم ينتمون إلى جبهة النصرة ، فإنهم يرفعون علم القاعدة، ويعلنون عن عزمهم نشر الإسلام في جميع أنحاء العالم، وأخيراً، عندما يقولون أنهم دولة إسلامية فإنّهم يلوّحون بعلم الخلافة الإسلامية، ويعلنون أنّهم سينظّفون الأرض الإسلامية من كلّ الكفّار، ولكن مهما كانت الراية فإنّهم يمارسون نفس الفضاعات: الاغتصاب، التعذيب، قطع الرؤوس، والصلب

ولم يخبر جون ماكين، ولا قوّة مهمّة الطوارئ، الحكومةَ الأمريكية، ولا وزارة الخارجية الأمريكية بالمعلومات التي حصلوا عليها عن ابراهيم البدري، ولم يسألوا عن المكافأة، كما لم يخبروا لجنة مقاومة الإرهاب في الأمم المتحدة .

لم يشهد أي بلد في العالم، ومهما كان نظامه السياسي، أن يكون قائد للمعارضة على اتصال مباشر، وصديقاً علنياً، لإرهابي خطير جداً ومطلوب من قبل عدالة بلد قائد المعارضة ذاك .

إذن من هو السناتور جون ماكين؟

لكن جون ماكين ليس فقط قائد المعارضة ضد الرئيس أوباما، لكنه أيضاً واحد من مسؤولي إدارته البارزين .

فهو، في الحقيقة، رئيس المعهد الجمهوري العالمي: "International Republican Institute (IRI"، الذي هو الفرع الجمهوري للوقف الوطني للديمقراطية / ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية، منذ عام (١٩٩٣)، وهذا المعهد الذي يوصف بأنه "منظمة غير حكومية" أسّسه الرئيس الأمريكي "رونالد ريغان" ، إذن كيف يكون غير حكومي ؟؟؟ ليوسّع بعض نشاطات

وكالة المخابرات المركزية، بالتعاون مع الخدمات السرّية في بريطانيا وكندا وأستراليا، وعلى العكس مما يدّعيه، فإن هذا المعهد منظمة حكومية صرفة، وميزانيته تخصّصها له وزارة الخارجية الأمريكية، ويوافق عليها الكونغرس الأمريكي (فكيف يكون منظمة غير حكومية ؟؟؟) ولأنّه وكالة مشتركة أنكلو – ساكسونية، للنشاطات السرّية، فقد منعتها من النشاطات على أراضيها الكثير من دول العالم.

قائمة تدخّلات جون ماكين لصالح مخططات وزارة الخارجية مؤثّر جدا، لقد شارك في جميع الثورات الملوّنة خلال السنوات العشرين الأخيرة.

لنأخذ بعض الأمثلة: فباسم "الديمقراطية" قام بالتحضير للانقلاب الفاشل ضد الرئيس المُنتخب دستورياً "هوغو شافيز" في فنزويلا، كما أسقط الرئيس المنتخب ديمقراطياً في هاييتي "جان – برتراند أرستيد"، وشارك في محاولة الإطاحة بالرئيس المُنتخب "مواي كيباكي – Mwai Kibaki" رئيس جمهورية كينيا الرابع، ومؤخراً شارك في إسقاط الرئيس الأوكراني المنتخب "فيكتور يانيكوفتش".

وفي أي دولة من دول العالم، عندما يقوم مواطن منها بمحاولة لإسقاط نظام دولة أخرى، فإنّه يقيّم عندما ينجح، ويكون النظام الجديد حليفاً لدولته، ولكنه يُعاقب بشدّة عندما تكون مبادراته ذات نتائج سلبية على بلده نفسه، الآن، السيناتور ماكين لا يُحاسَب أبداً بسبب أفعاله المضادة للديمقراطية في دول فشلت فيها، وجعل تلك الدول تصبح أعداءً لواشنطن، كما حصل في فنزويلا، والسبب هو أن ماكين بالنسبة للولايات المتحدة ليس خائناً، بل عميلاً، وهو عميل يمتلك أفضل تغطية يمكن تخيّلها، فهو المعارض الرسمي لباراك أوباما، وبهذه الصيغة يستطيع السفر إلى أي مكان من العالم (هو أكثر أعضاء مجلس الشيوخ سفراً في الولايات المتحدة)، ويلتقي بأي شخص يريد مهما كانت هويته بلا خوف، إذا كان محاوروه يباركون

سياسة الولايات المتحدة، فإنّه يعدهم باستمرارها، أمّا إذا كانوا يقاومونها فإنه يسلّم المسؤولية للرئيس أوباما .

عُرف عن جون ماكين أنّه كان أسير حرب في فيتنام لخمس سنوات، وقد أُخضع لبرنامج ليس لانتزاع المعلومات ولكن لغرس الخطابات في الذهن، أي تحويل شخصيته ليقوم بتصريحات ضد بلاده، هذا البرنامج الذي دُرس من قبل مؤسسة "راند" من خلال الدكتور "ألبرت بيدرمان" على التجربة الكورية، صار هو الأساس للبحوث في غوانتنامو وأماكن أخرى من قبل الدكتور مارتن سليجمان، وتم تطبيقه في فترة جورج بوش الإبن على (٨٠, ٠٠٠) أسير تمّ تحويل معظمهم إلى مقاتلين فعليين يخدمون واشنطن، وجون ماكين الذي مرّ بالتجربة في فيتنام، يعرف كيف يطوّع هؤلاء الجهاديين ويتلاعب بهم بلا رحمة

جون ماكين والخليفة:

في العدد الأخير من مجلتها، خصّصت الدولة الإسلامية صفحتين لإدانة السيناتور جون ماكين كـ "عدو" و "مخادع مزدوج double-crosser " مستذكرة مساندته للغزو الأمريكي للعراق، وخشية أن يبقى هذا الإتهام غير معروف في الولايات المتحدة، أصدر السيناتور فوراً بياناً يعتبر فيه الدولة "المجموعة الإرهابية الإسلامية الأكثر خطورة في العالم" .

هذا الاختلاف هنا فقط لتشتيت العرض، وقد يميل أحد لتصديقه لو لم تكن هناك تلك الصورة من (أيار/ ٢٠١٣) .

ارتباطات جون ماكين بتنظيم الدولة:

في مقالة مهمة عنوانها: "أكاذيب جديدة للنيويورك تايمز: هذه المرة لحماية ارتباطات جون ماكين السيكوباثية، بتنظيم الدولة الإسلامية" كتب الصحفي "براندون تيربفايل Brandon Turbeville " يقول:

"نظرية المؤامرة" .. هكذا صرخت النيويورك تايمز في محاولتها الأخيرة للدفاع عن جون ماكين، ضد التسريبات التي كشفت دعم السناتور للإرهاب، لقد حاولت كشف زيف الدلائل التي تشير إلى اجتماع ماكين مع إرهابيي داعش؛ القتلة آكلي لحوم البشر، خلال زيارته سوريا بعد أن بدأت صور هذا الإجتماع تنتشر ويتم تداولها في الصحافة البديلة .

في هذه الصحيفة كتب الصحفي "ريك جلادستون":

"لقد كان السيناتور جون ماكين من أوائل الداعين إلى الفعل العسكري الأمريكي ضد الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، ولهذا من المؤذي والمزعج بالنسبة له أن يواجه إشاعات الإنترنت المستمرة، ولكن الكاذبة التي تقول: بأنّه لم يساعد على اختراع هذه الجماعة فقط، ولكنه يعرف أيضاً قائدها، أبو بكر البغدادي، الذي أعلن نفسه خليفة للعالم الإسلامي، وهو العدو رقم واحد للولايات المتحدة، وقد بُنيت هذه الشائعات على أساس صورة مقاتل يشبه البغدادي، ظهر في صورة لاجتماع للسيناتور مع قيادة الجيش السوري الحر، وهي جماعة مقاومة تناهض الدولة الإسلامية، خلال زيارته لشمال سوريا في (٢٠١٣) ، وقد أعاد هذا الصحفي هذا الخبر إلى نظرية المؤامرة التي صارت تستخدم المواقع ووسائل الاتصال الاجتماعية وحيل التلاعب بالصور .

ماكين يجتمع بالقادة الإرهابيين في سوريا ويصفهم بالمعارضين المعتدلين:

وفي الوقت الذي رفضت فيه النيويورك تايمز والصحفي الصورة التي تجمع ماكين بالبغدادي، فإنها أقرّت باجتماعه بالجيش السوري الحر، وهو نفسه منظمة إرهابية مسؤولة عن القتل العشوائي وفرض قوانين الشريعة والجريمة والاغتصاب وأكل لحوم البشر والكثير الكثير من الأفعال الشنيعة، وبالرغم من أن الصحيفة والصحفي جلادستون حاولا تلميع صورة الجيش

السوري الحر كجماعة معتدلة، يبدو أن علينا أن نذكّر الصحيفة بواحدة من مقالاتها التي نشرت في (نيسان/ ٢٠١٣) للصحفي "بن هوبارد" قال فيها:

"في حلب، وهي أكبر المدن السوربة، يُشغّل المعارضون من جماعة القاعدة الأفران، ويرأسون جلسات المحاكم، لتطبيق القانون الإسلامي، مثلما استولوا على حقول النفط ... صار الكل تحت لواء القاعدة، حتى المجلس العسكري الأعلى الذي اعتقد الغرب أن تشكيله سوف يحيّد الجماعات الاسلامية المتطرفة صار ممتلئا بقادة يدعون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في الحكومة السورية المقبلة.

وليس هناك من مكان واحد في المناطق السورية التي تسيطر عليها المعارضة توجد فيه قوة مدنية علمانية تستطيع الكلام، حتى أنّ واحداً من قادة الجيش السوري الحر، باسل إدريس، أقرّ مؤخراً – علناً – بالتعاون مع الدولة الإسلامية وجبهة النصرة، كاشفاً مثلاً آخر على أنّ: "المعارضون المعتدلون" (كما يروّج لهم الغرب) ليسوا معتدلين على الإطلاق .

"ففي مقابلة مع صحيفة: "ديلي ستار Daily Star" اللبنانية أعلن إدريس: نحن نتعاون مع الدولة الإسلامية وجبهة النصرة من خلال مهاجمة تجمعات الجيش السوري في القلمون .. دعنا نواجه الحقيقة: جبهة النصرة هي أكبر قوة موجودة الآن في القلمون، ونحن كجيش سوري حر نتعاون معها في أي مهمة تتفق مع قيمنا !.. ".

وأقرّ إدريس بأن العديد من مقاتلي الجيش الحر انضموا إلى الدولة الإسلامية، وقال: إن تنظيم الدولة يريد تعزيز وجوده في يبرود، والجيش الحر انسحب إلى التلال، وكثير من وحداته تمتثل لتنظيم الدولة .

وأكّد إدريس تصريحه بالقول: أن "عدداً كبير جداً من الجيش السوري الحر في عرسال، ارتبطوا بتنظيم الدولة والنصرة، في النهاية تريد الناس أن تأكل، وأن تعيش، والدولة الإسلامية لديها كل شيء" .

ليس فقط الجيش السوري الحر، ولكن الجبهة السورية الثورية أيضاً تقبلت العمل مع النصرة والقاعدة، وقد أقرّ قائدها بأنّ ألويته تتعامل مع النصرة والقاعدة بصورة مستمرة.

سليم إدريس، أحد الرجال الذين يظهرون في الصورة مع جون ماكين، هو قائد الجيش السوري الحر، "المجموعة المعارضة" التي وصفها ماكين بـ "المعارضين المعتدلين" . في الواقع لا يمتُّ الجيش الحر لهذه الصفة بأي صلة . كما كتب دانيال واجنر لصحيفة هفنغتون بوست في (كانون الأول/ ٢٠١٢): "في ضواحي حلب، يطبّق الجيش السوري الحر قانون الشريعة عن طريق قوة شرطة هي نسخة طبق الأصل عن الشرطة الوهابية في السعودية، يجري هذا في بلد علماني لم يعرف تطبيق الشريعة بهذه الطريقة سابقاً ، مثل هذا يحصل الآن في شمال مالي الذي أعلن الغرب أيضاً – ورسمياً !! – معارضته لحكومة القاعدة التي سيطرت هناك بداية هذا العام، وإذا كان ما يحصل في ضواحي حلب يمثل ما سيحصل عندما يسيطر الجيش السوري الحر على السلطة فمعنى ذلك تحوّل سورية إلى دولة إسلامية، هل هذا ما تريد فعلاً الولايات المتحدة والدول الغربية مساندته في الوقت الحاضر؟

وفي الواقع يستهدف الجيش السوري الحر البنى التحتية للبلاد، ومنها واحداً من أكبر مشروعات الطاقة الكهربائية في دمشق، قصفه لثلاثة ايام أثّر على حياة ٤٠٪ من السكان، فهل يهاجم "مقاتلو الحرّية" البنى التحتية التي تؤثر على السكان البسطاء ؟

المعارضون المعتدلون هم الذين قطعوا رأس الجندي السوري:

والجيش السوري الحر ليس غريباً على المجازر، فهذا الجيش "المعارض المُعتدل" صوّر فيلماً يُدفع فيه طفل صغير إلى قطع رأس جندي سوري، وهو أيضاً "المعارض المُعتدل" الذي يحتفظ بـ "سرايا دفن" للمجازر الجماعية والإعدامات الجماعية ضد الجنود ومن يساند الحكومة السورية .

وبطبيعة الحال فإن الجيش السوري الحر، هو مظلّة لفرق موت مدرّبة بصورة ممتازة، لتقدّم وجهاً "معتدلاً" لما هو في الواقع أكثر المجموعات دموية، لهذا فإن الجيش الحر يضم عدداً من "السرايا" الصغيرة من إرهابيي القاعدة من أجل أن تغطّي الطبيعة الحقيقية لها.

ماكين يجتمع مع "أبو صقّار" الذي أكل قلب الجندي السوري أمام كاميرات الفضائيات:

واحد من هذه الألوية هو "لواء الفاروق" الذي ينتمي إليه "أبو صقّار" الذي شاهدته الملايين مع جون ماكين، وهو المعارض الشهير الذي ظهر في فيلم فيديو وهو يشق صدر أحد الجنود السوريين ويأكل قلبه !! وبعد كل هذا، هل تستطيع النيويورك تايمز أن تدافع عن ماكين بأكثر من أن ما قيل عنه هو "شائعات" وأن الشخص الذي يظهر في الصورة ليس البغدادي .

كذبة أخرى للدفاع أطلقها برايان روجرز مدير علاقات جون ماكين حين قال: بأنّ الشخص الذي يظهر في الصورة لم يكن البغدادي، وإنّما هو شخص آخر يرتبط بلواء عاصفة الشمال، وهي منظمة إرهابية معروفة، فلواء عاصفة الشمال اشتهر بخطفه لمجموعة من الحجاج، كانوا يعبرون سوريا في (أيلول/ ٢٠١٢) ، ومع ذلك، فإن المقارنات التي أجريت للصور وللاشخاص الذين فيها، تميل نحو فكرة أن الإرهابي الذي في الصورة هو البغدادي، وبغض النظر عمّن يكون، فإن هذا الشخص إرهابي وباعتراف دفاع ماكين الذي قال: إن الشخص ينتمي إلى لواء عاصفة الشمال .

جون ماكين يعترف بصلته بالقاعدة، ويصفهم بمقاتلين من أجل الحرّية في الفضائيات:

والأمر الذي سيصدم النيويورك تايمز، والصحفي جلادستون هو: أنّ الشائعات الكاذبة عن علاقة ماكين بالقاعدة لم يثبتها أحد آخر غير ماكين نفسه، ففي برنامج Sean Hannity Show حيث قال ردّاً على النائب "راند بول" الذي قدّم انتقادات هادئة للأساليب المتبعة في دعم فرق الموت في سوريا . قال جون ماكين:

"هل ذهب راند بول إلى سوريا ؟ هل اجتمع بتنظيم دولة العراق وسوريا الإسلامية يوما ما ؟ هل التقى بأحد من أولئك الناس ؟ (...) أنا لا أريد أن أدخل في شجار معه، أنا أعرف هؤلاء الناس، وأنا على اتصال بهم طوال الوقت بينما هو ليس لديه ذلك" .

ومبكراً في هذه المقابلة، وبعد أن أعلن بأنه يستطيع أن يري الرئيس أوباما أماكن على الخارطة في سوريا لقتل تنظيم الدولة الإسلامية، أعلن أيضاً، في ما يتصل بفرق الموت في سوريا:

"أنا أعرف هؤلاء الناس بصورة حميمة، نحن نتحدّث معهم طوال الوقت" .

وأشار ماكين أيضاً إلى أن فرق الموت السورية هي عبارة عن محتجين مسالمين "يقاتلون من أجل الحرّية" .

إذن، ماكين التقى على الأقل بثلاث إرهابيين ومنظمات إرهابية في سوريا، ولكن هذه المجموعات ليست نهاية محاكمة ماكين كخائن أو متعامل مع الإرهاب . . فعلينا أن نتذكر أيضاً أن ماكين سافر إلى ليبيا خلال الهجمة الغربية على القذافي، من أجل أن يقابل الإرهابيين في ذلك البلد، ويمهّد الطريق للوحشية والبربرية التي سيجلبونها معهم حتماً، وكما كتب "توني كارتالوشي" في مقالته: "جون ماكين يقول "سفّاحو القاعدة ألهموا العالم":

"لقد قام جون ماكين في نيسان بزيارة إلى بنغازي، وهي مدينة اعتبرت مع دارنه في (٢٠٠٧) عاصمة لتجنيد الإرهابيين في العالم، والمصدر الأعظم للمقاتلين الأجانب الذين يُرسلون للقتال في العراق لقتل القوات الأمريكية، وهؤلاء المقاتلون يقومون بذلك تحت علم الجماعة

الإسلامية الليبية المقاتلة والتي تُصنّف حتى هذا اليوم من قبل وزارة الخارجية الأمريكية كـ "منظمة إرهابية أجنبية" ، وبالرغم من كل هذه الدلائل المؤلمة نجد جون ماكين يصرّح بأنّه "اجتمع مع هؤلاء المقاتلين الشجعان، وأنهم ليسوا من القاعدة، بل هم محاربون ليبيون شجعان يريدون تحرير أمّتهم" .

وبالرغم من كل كلمات ماكين المُطمئنة هذه، فإن المعارضين كشفوا خلال الأشهر اللاحقة وبصورة متزايدة عن طبيعتهم الدموية عندما شنّوا حرب إبادة بشرية ضد القبائل الليبية السوداء والسمراء، ومارسوا "حرّيتهم" ضد المدن التي قاومتهم بالقصف العشوائي بالأسلحة الثقيلة والحصارات الهادفة حرفيّاً إلى تجويع السكان حد الإستسلام، وممارسة الأعمال الإنتقامية الثأرية بمجرد سقوط هذه المدن، وفي الوقت الذي قام فيه إعلام الشركات الغربي بأفضل ما عنده لطمس هذه المجازر، فإنه عندما بدأت مدن كاملة بالإختفاء مثلما حصل لمدينة تاورغاء (مدينة تاريخية تابعة لمصراتة) التي اختفت مع سكانها العشرة آلاف من الخارطة، حتى مروّجي الدعاية أعلنوا أن هؤلاء "المحرّرين" سيّئون ومتوحشون .

ويجب أن لا ننسى أن جون ماكين قد ارتبط بقوة بكل الثورات الملونة من خلال المعهد الجمهوري العالمي: (IRI) International Republican Institute وهو جناح للمنحة الوطنية للديمقراطية (الوقف الوطني للديمقراطية) والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، هو الرئيس الحالي للمعهد (وسنتوقف عند الدور التآمري لهذه المنظمات في حلقة مستقلة).

خائن مكانه قفص المحكمة:

وكما يظهر حالياً، فإن حقيقة أن بعض الأشخاص هم أكثر تساوياً من الآخرين تبدو جلية في حالة جون ماكين؟ فبينما يتم ألقاء أي أمريكي آخر في السجن، وقد يخضع للتعذيب نتيجة

ارتباطه بالإرهاب، نجد جون ماكين يُكافأ بلقب سيناتور في الولايات المتحدة وباللقب الخادع "بطل حرب" .

بينما يُثبت جون ماكين عدم ولائه للولايات المتحدة مرة بعد أخرىٰ – من تسرّعه في إفشاء تحقيقات الكونغرس حول وجود أسرىٰ حرب أمريكان في فيتنام إلىٰ مساندة الإرهاب في الخارج – فإن دعاية الاتجاه السائد تمنحه دائماً بطاقة العبور مع سلوكه الخياني .

ولهذا علىٰ كل أمريكي أن يعرف أنّه ليس لا يوجد شيء اسمه معارضة معتدلة في سورية فحسب، ولكن أيضاً أن جون ماكين ليس بطلاً أمريكياً أبداً، وأنّ مكانه الطبيعي هو قفص المحكمة . (عن موقع Activist Post Interrupt Your Regularly Scheduled Programming Read more at: http://tr.im/zqkQQ).

أرتباطاً بدور ماكين: ما هي ستراتيجية الولايات المتحدة مع الجهاديين في بلاد الشام؟:

يقول "ثييري مايسون": في عام (١٩٩٠) قرّرت الولايات المتحدة – والحديث لثييري مايسون – تدمير حليفها السابق العراق، فبإيحائها للرئيس العراقي صدام حسين بأنها سوف تعتبر الهجوم علىٰ الكويت "شأناً عراقيّاً داخلياً"، استخدمت هذا الهجوم ذريعة لتحريك تحالف واسع ضد العراق . لكن، بسبب معارضة الإتحاد السوفيتي السابق لم تُسقط النظام، واكتفت بفرض منطقة حظر للطيران ، في عام (٢٠٠٣) لم تكن المعارضة الفرنسية كافية لمواجهة تأثير "لجنة تحرير العراق – the Committee for the Liberation of Iraq" هاجمت الولايات المتحدة العراق من جديد ولكنها هذه المرة أسقطت الرئيس صدام حسين، وبطبيعة الحال كان جون ماكين من المساهمين الكبار في تلك اللجنة، بعد إحالة القضية إلىٰ شركة خاصة لنهب العراق لمدة سنة، حاولت الولايات المتحدة تمزيق العراق إلىٰ ثلاث دول مستقلة، ولكنها تخلّت عن المشروع بسبب مقاومة الجماهير العراقية، لكنها أعادت المحاولة ثانية في عام (٢٠٠٧) من

خلال مشروع بايدن – براونباك، ولكن فشلت من جديد، ولهذا جاءت الاستراتيجية الجديدة التي تحاول تحقيق ذلك بواسطة فاعل غير رسمي هو: الدولة الإسلامية .

تمّ التخطيط للعملية بصورة دقيقة، حتى قبل اجتماع جون ماكين بابراهيم البدري، على سبيل المثال رسالة داخلية من وزارة الخارجية في دولة قطر نشرها صديقيّ جيمس وجوان موريارتي تكشف أنّ (٥٠٠٠) جهادي قد تمّ تدريبهم على حساب قطر في ليبيا، بإشراف الناتو في عام (٢٠١٢)، وأنّ (٥ , ٢) مليون دولار قد دُفعت – في نفس الوقت – للخليفة المُقبل .

في (كانون٢/ ٢٠١٤)، عقد مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة اجتماعاً سرّياً صوّت فيه – خارقاً كل القانون الدولي – على تمويل جبهة النصرة (القاعدة) والدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام حتى أيلول من عام (٢٠١٤)، وعلى الرغم من أنّه لم يكن واضحاً بدقّة ما تمّ الإتفاق عليه فعلاً خلال هذا الإجتماع الذي كشفته وكالة رويترز البريطانية للأنباء، ولم تتجاسر وسائل الإعلام الأمريكية على تجاوز الرقابة، فإن من المحتمل بدرجة عالية أن القانون قد تضمن فصلاً عن تسليح وتدريب الجهاديين .

تمثل الدولة الإسلامية خطوة جديدة في عالم المرتزقة، فبخلاف مجموعات الجهاديين التي تقاتل في أفغانستان والبوسنة والهرسك والشيشان، لا تمثل قوّة مُلحقة بل تمثل جيشاً فعلياً بحد ذاته، ويمتلك هذا الجيش وسائل اتصال متطورة تحت تصرّفهم للتجنيد، ومسؤولوها المدنيون المدرّبون في أكبر المعاهد الغربية قادرون فوراً على استلام إدارة بلاد كاملة .

مع هذه المعلومات، يمكن للفرد أن يقدّر قيمتها الحقيقية من خلال الوثيقة التي قدّمها إلى مجلس الأمن في ١٥ تموز، السفير السوري بشار الجعفري، وهي رسالة من قائد الجيش السوري الحر اللواء سليم إدريس ومؤرخة في(١٧ كانون الثاني) والتي تقول: "أود أن أعلمكم بأن هذه الذخائر الحربية المرسلة من رئاسة الأركان إلى قيادات المجلس العسكري الثوري في المنطقة

الشرقية يجب أن تُوزّع وفق ما تم الاتفاق عليه: ثلثان لقيادات جبهة النصرة، والثلث الباقي يوزّع بين العناصر العسكرية والثورية في القتال ضد عصابات الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام، وسنكون ممتنين إذا أرسلتم الدليل على تسليم تلك الذخائر موضحة بالكميات والنوعيات، وموقّعة من قبل القادة العسكريين شخصياً، لكي نقدّمها إلى شركائنا الأتراك والفرنسيين، بعبارة أخرى فإن عضوين في الناتو (تركيا وفرنسا) قدّما الذخائر إلى جبهة النصرة (المصنّفة كعضو في القاعدة من قبل مجلس الأمن)، وثلث إلى الجيش السوري الحر حيث سيكون قادراً على القتال ضد الدولة الإسلامية التي يتراسها أحد أعضاء قيادته البارزين، في الحقيقة، اختفى الجيش السوري الحر على أرض الواقع، وصار توزيع الذخيرة بمعدل ثلثين للقاعدة، وثلث للدولة الإسلامية صور خطيرة جداً:

الصورة رقم (١):



تارخان باتيراشفيلي الرقيب في الاستخبارات الجورجية العسكرية، أصبح واحدا من القادة الرئيسيين للدولة الإسلامية تحت اسم مستعار هو "أبو عمر الشسيشاني" .

الصورة رقم (٢):



أبو الخازاخي أنيسه أول مقاتلة صينية جهادية في الدولة الاسلامية تُقتل في العمليات (في مركز الصورة) لم تكن إيغورية بل كازاخستانية .

الصورة رقم (٣):



(عن شبكة فولتير: Thierry Meyssan: Who Makes Up the "Islamic Emirate"? ٢٠١٤) .

أخيراً: شهد شاهدٌ من أهلها:

ديفيد شيلر: "قمت بالإستقالة من الخدمة البريطانية السرّية عندما قرّر مكتب (أم ١٦ – M ١٦) تمويل شركاء أسامة بن لادن)

هذا ما صرّح به "ديفيد شيلر" في المؤتمر الدولي لمحور السلام الذي انعقد في بروكسل (١٧ – ١٨ تشرين الثاني ٢٠٠٥):

"حاولت أن أدق جرس الإنذار ولكن أنا الذي أرسلت إلى السجن" .

وكعميل في خدمة مكافحة التجسس في وكالة صاحبة الجلالة البريطانية (M16)، كشف ديفيد شيلر أنّه في نهاية التسعينات قام مكتب M16 بتمويل خلية إرهابية في ليبيا لقتل الرئيس معمر القذافي، وقد فشلت العملية عندما انفجرت سيارة أخرى غير سيارة القذافي مسبّبة مقتل أشخاص آخرين .

لاحقاً تم اعتقال شيلر في فرنسا حسب طلب السلطات البريطانية، بسبب عدم القدرة على تسليمه بصورة قانونية لخرقه قانون الأسرار الحكومية، في بريطانيا تم منع كتابه الذي يحكي قصّته، قدّم شيلر حديثاً مميّزاً جدّاً في مؤتمر محور السلام أوضح فيه أن أغلب العمليات الإرهابية التي تُعزى إلى تنظيم القاعدة هي في حقيقتها من تخطيط الخدمات السرّية الأمريكية – البريطانية، وخصوصا البريطانية .

وتحدّث أيضاً حول أهميّة وجود جمعيات المتشدّدين الإسلاميين في المملكة المتحدة، لأن هذا ما أتاح للخدمة السرّية اختراقها وتوجيهها .

"هذا الرعب تمّ تنظيمه من قبل الـ MI6 و CIA"

وهذا فيديو مهم لحديث "ديفيد شيلر": Video of David Shayler' speech on axisforpeace.net.

المصدر: VOLTAIRE NETWORK BRUSSELS (BELGIUM) 24 NOVEMBER 2005

انتهى المقال ببعض اختصار

كان هذا التقرير شاملاً وموثقاً بتصنيع تنظيم الدولة أمريكياً، ومدموغاً بالدمغة الوهابية المتطرفة، لنأتي بعدها على إلحادهم في أرض الله، وتدنيسهم المقدسات:

تدمير المساجد والأماكن التاريخية:

إذا انسلخ المسلم من أخلاقه يتحول إلى مفسد في الأرض، يهلك الحرث والنسل، بل ويتطاول على الله تعالى بتدنيس بيوته بقتل عباده فيها، وينتهي الأمر به إلى أن يهدم بيوت الله في الأرض التي وضعها لعباده، كمراكز اتصال بين العبد وربه، والدواعش من هذا الجنس، فهم امتداد لمؤسس دولتهم محمد بن عبد الوهاب، الذي قتل المصلين في المساجد، ثم هدمها في جزيرة العرب، ولم يراعِ في مؤمن إلاًّ ولا ذمَّةً، ثم أنبتت شجرة الحنظل هذه التي غرسها ابن عبد الوهاب، فرعاً منها ألحد في حرم الله تعالى، الذي جعله مثابة للناس وأمنا، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنا﴾ [آل عمران: ٩٧]، فلم يعبأوا بقول الله تعالى، فاستحلوا حرماته، وقتلوا المسلمين في بيته الحرام، وتوالت الأحداث على يد هذه الطغمة، فانتهكت حرمات الله تعالى بتدمير بيوته، وقد نشرت الصحف اليومية العربية والعالمية أخباراً مفادها: أن تنظيم الدولة قد دمر مساجد وأضرحة، وكنائس، في العراق وسوريا واليمن وغيرها:

فذكرت وسائل الإعلام في عام (٢٠١٤) تدمير داعش لعدة مساجد وأضرحة ومزارات في الدولة العراقية من بينِ الكثير مما دُمر؛

مسجد القبة الحسينية في الموصل، وكذا مسجد سعد بن عقيل في تلعفر، وبعض المساجد الشيعية في الموصل، وهناك شكوك تحوم حولَ تدمير داعش لقبرِ ابن الأثير الجزري، وبحلول (٢٠١٤/٩/٢٤).

كما دمّر داعش مسجد الأربعينية في تكريت والذي يحتوي على قبور (٤٠) صحابياً:



كما استهدفَ داعش العديد من المقابر والأضرحة، ففي تموز (٢٠١٤) دمر التنظيم قبر النبي دانيال عليه السلام، في الموصل، تم تفجيره بعبوة ناسفة :



وفي (٢٤/ ٧/ ٢٠١٤) قام التنظيم بتدمير مسجد النبي يونس عليه السلام، في الموصل:



وفي (٢٧/ ٧) دمروا قبر النبي جرجيس في نفسِ المدينة، وفي (٢٥/ ٧/ ٢٠١٤):



كما دمر التنظيم مرقد الإمام عون الدين في الموصل، والذي يُعدُّ واحدًا من هياكل قليلة جدًا قد نجت من التدمير خلال الغزو المغولي:



وفي (آذار/ ٢٠١٥)؛ أفادت وكالة أنباء سبوتنيك الروسية أنّ داعش قد جرف مسجدًا في الموصل يعود تاريخهُ إلى عام (١٨٨٠).

في نفس العام؛ أمرَ داعش بإزالة جميع العناصر الزخرفية الجدارية من المساجد في الموصل، حتى تلك التي تحتوي على الآيات القرآنية، وذلكَ لأنّ أيديولوجية داعش تنصُ على أن هذه الزخارِف مجرد بدع تتعارضُ معَ أساسيات الشريعة.

المنارة الحدباء:

سميت الحدباء لكونها غير عمودية، فهي تميل قليلاً إلى جهة الشرق، وهو فن معماري، بُنيت هذه المنارة على مسجد النوري، الذي بناه نور الدين زنكي، فجَّره التنظيم وسواه بالأرض في (٢٠١٧/٦/٢٢):



المنارة الحدباء

دمَّر التنظيم الأضرحة الصوفية في ليبيا، وممن دمروه قبر الشيخ زروق الفاسي، في مصراتة:



فجّر داعش أجزاءً من قلعة تلعفر في (كانون١/ ٢٠١٤) مما تسبب في أضرار بالغة:



وفي (كانون٢/ ٢٠١٥) بتدمير أجزاء كبيرة من جدار نينوىٰ في حي التحرير في مدينة الموصل:



كما أمر قادة داعش علناً بهدمِ البوابة الآشورية القديمة، التي تعود للقرن الثامن قبلَ الميلاد :



وفي (٢٦/ ٢/ ٢٠١٥ نشرَ داعش شريط فيديو يُظهر تدمير مختلف التحف القديمة في متحف الموصل: https: / /www.youtube.com /watch?v=ECOunK-moU١



ويُظهِر الفيديو علىٰ وجهِ الخصوص تشويه من تمثال الثور المجنح:



كما دمر التنظيم بوابة نركال:



الدواعش يهدمون بوابة نركال بالحفارة الكهربائية:



ومما دمره الدواعش قصر آشور ناصربال في كالح، دمروه في (٣/ ٢٠١٥):





وذكرت وزارة السياحة والآثار العراقية في (٨/ ٤/ ٢٠١٥) أن تنظيم داعش دمر ما تبقى من قلعة الموصل، في (تموز/ ٢٠١٥):



كما دمر الدواعش الآثار التاريخية في تدمر كاملة:







وسرقوا ما فيها من تماثيل لبيعها، معلنين أنها من الشركيات، ومما دمره التنظيم قلعة فخر الدين المعني، في (آذار/ ٢٠١٥)، ثم تم نهب المآثر الفرثية الرومانية من مدينة دورا شرق سوريا، كما دمر التنظيم المقابر القديمة في منطقة تدمر .

عمل التنظيم على سرقة وتدمير التراث الثقافي والتاريخي في سوريا والعراق وليبيا، فخلال سقوط الموصل من (٧/ ٢٠١٤) وحتّى (٢/ ٢٠١٥)؛ نهبت داعش ودمرت ما لا يقل عن (٢٨) مبنى تاريخي وثقافي، فيما نهبت مباني أخرى من أجل بيعها في السوق السوداء.

المكتبات :

أحرقَ داعش مجموعة من المكتبات، فيما سرقَ أخرى من مواقع مختلفة، بما في ذلك المكتبة المركزية في الموصل، والتي أحرقَها بالمتفجرات:



وكذا المكتبة في جامعة الموصل، والتي تعود لحوالي (٢٦٥) سنة، وتشمل على بعض الصحف العِراقية التي يرجع تاريخها إلى أوائل القرن العشرين، وكذا مجموعة من الخرائط والكتب التي تعود لعصرِ الإمبراطورية العثمانية، ومجموعات كتب أخرى، كانَ الهدفُ المعلن من داعش هوَ تدمير كل شيء باستثناء الكتب الإسلامية:



مكتبة جامعة الموصل

الفصل الخامس

جبهــة النصرة

جبهة النصرة (هيئة تحرير الشام»):

حتىٰ نعرف ما هي جبهة النصرة، ينبغي لنا التعرف علىٰ الشخصية التي أنشأتها، حتىٰ نتعرف من خلال المؤسس علىٰ المؤسسة .

أبو محمد الجولاني مؤسس الجبهة:

أمّا اسمهُ الحقيقيّ فمُختلفٌ فيه حيثُ تُشير مصادر إلىٰ أنّ اسمهُ هوَ: أحمد حسين الشرع، فيما تقولُ مصادر أخرىٰ أن اسمهُ الحقيقي هو: أسامة العبسي الواحدي، والد الجولاني كان موظفاً في إحدىٰ الوظائف الحكومية في دير الزور، حيث ولد أسامة هناك، وانتقل مع عائلته في أول مراهقته إلىٰ مدينته الأصلية إدلب، وحصل علىٰ الشهادة الثانوية فيها، ثم التحق بكلية الطب حيث درس الطب البشري سنتين، وفي عام (٢٠٠٣)، غادر إلىٰ العراق، وانضم إلىٰ تنظيم القاعدة تحت قيادة أبو مصعب الزرقاوي، وسُرعان ما ارتقىٰ في صفوف تنظيمِ القاعدة في العراق حيث أصبح مقرباً من زعيم التنظيم، وبعد مقتل الزرقاوي في غارة جوية أمريكية عام (٢٠٠٦)؛ غادرَ العراق، وظل لفترة قصيرة في لبنان حيث قدم الدعم اللوجستي لجماعة جند الشام المُسلّحة.

عادَ إلىٰ العراق لمواصلة القتال، لكنه اعتُقل من قبل القوات الأمريكية، واحتُجز في معسكر "بوكا" الذي كان سجنًا لعشرات الآلاف من الإرهابين، وهناك درَّس اللغة العربية للسجناء الآخرين فزادت شعبيّته .

أُطلق سراحه من المعتقل عام (٢٠٠٨)؛ فاستأنفَ عمله، إلا أنه كان ضمن تنظيم داعش، برزَ بشكلٍ سريع في المعارك فعُيّنَ رئيساً لعمليات التنظيم في محافظة نينوىٰ.

وفي عام (٢٠١١) لعب دوراً مهماً لتأسيسِ فرعٍ لداعش في سوريا، حيثُ أشرفَ علىٰ تشكيلِ ما عُرف باسمِ جبهة النصرة، كانت هذه المجموعة بمثابة الفرع السوري لدولة العراق الإسلاميّة، بقيادة البغدادي،حيث سهّل علىٰ الجولاني مأموريّته بعدما مدّهُ بالمُقاتِلين والأسلحة والمال، بمساعدةٍ منَ المخابرات الباكستانية.

اكتسبَ الجولاني مكانة بارزة في (نيسان/ ٢٠١٣) عندما رفض محاولة البغدادي تصفية جبهة النصرة، كمجموعة فرعية، وإدماجها مباشرة في دولة العراق الإسلامية، لتشكيلِ ما عُرف بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، هذه الخطوة كانت ستضعُ كل القادة والقرارات تحتَ سيطرة البغدادي، ونفس الأمر بالنسبة للأراضي وما إلىٰ ذلك، ومن أجل تجنب فقدان الحكم الذاتي والهوية الفردية لجبهة النصرة؛ تعهّدَ الجولاني بالولاء لزعيم القاعدة أيمن الظواهري، الذي أيّد طلب الجولاني بالحفاظِ علىٰ جماعته ككيانٍ مستقل، علىٰ الرغم من ذلك فإن النصرة كانت قد أقسمت بالفعل علىٰ الولاء لتنظيم القاعدة عبر دولة العراق الإسلامية، لكنها بعد هذه الخطوة تجاوزت داعش، وأصبحت تابعةً للقاعدة مباشرة، هذا التغيير في سلسلة الولاء جعل النصرة فرع القاعدة الرسميّ في سوريا، علىٰ الرغم من تقديمهِ يمين الولاء لأيمن الظواهري؛ إلا أن البغدادي رفض هذا القرار، وأعلنَ أن مضيّهِ في توحيد المنظمتين تحتَ مظلّة واحدة، مما تسبّبَ في اندلاع حرب عصبية بين التنظيمين .

تشكيل جبهة النصرة :

عند اندلاع الحرب الأهلية السورية عام (٢٠١١)؛ أرسل أبو بكر البغدادي صديقه الجولاني إلىٰ سوريا لإعداد جبهة، أو مجموعة مُقربة من القاعدة لإسقاط نظام الأسد، وإقامة

دولة إسلامية هناك، عبرَ الجولاني وستة من زملائه الحدود من العراق صوبَ سوريا، اثمّ التقى السبعة بالإسلاميين المُفرج عنهم من سجنِ صيدنايا العسكري في (أيار/ ٢٠١١)، كان هؤلاء الإسلاميون نشطون بالفعل في القتال ضد قوات الأسد، وهوَ ما سهّل مهمة الجولاني ورفقائه المُتمثلة بالأساس في كسبهم لجبهتهِ، الرجال الستة الذين أسسوا جبهة النصرة إلى جانب الجولاني هم: صالح الحموي ، أبو ماريا القحطاني من العراق، مصطفى عبد اللطيف، فلسطيني، إياد تبيسي، فلسطيني، أبو عمر الفلسطيني، أنس حسن خطاب، سوري.

عقدَ الفريق عدداً من الاجتماعات بين (كانون١/ ٢٠١١) و(كانون٢/ ٢٠١٢) في ريف دمشق وحمص، وهناك تمّ الاتفاق على هدف الجبهة، والدور الذي ستلعبهُ في سوريا، أعلنَ الجولاني رسمياً تأسيس الجماعة، واختارَ جبهة النُصرة اسماً لها، وذلك اختصاراً لعبارة: " دعم الجبهة من أجل أهل الشام" في (٢٣/ ١/ ٢٠١٢).

تمكنت أجهزة مخابرات بعض الدول من رصدِ تحركات الجبهة في الدولة السوريّة، في هذا الصدد ذكر نائب وزير الداخلية العِراقي، في مطلع (شباط/ ٢٠١٢): أن الإسلاميين كانوا ينقلون الأسلحة من سوريا باتجاه العراق، أمّا مؤسسة "كويليام" فقد ذكرت أن العديد من أعضاء جبهة النصرة كانوا جزءاً من تلك الشبكة التي شكلها أبو مصعب الزرقاوي للقتال ضد الأمريكان، خلال غزوهم للعراق عام (٢٠٠٣)، وهذا ما أكدهُ وزير الخارجية العراقي" هوشيار زيباري " في عام (٢٠١٢)، خلال تقريرٍ لها ذكرت صحيفة ديلي تلغراف البريطانيّة في (كانون١ / ٢٠١٢) : أن العديد من مُقاتلي جبهة النصرة هم أجانب متمرسين على القتال بسبب مشاركتهم في الحروب في العراق وأفغانستان وغيرهما.

بحلول النصف الثاني من عام (٢٠١٢)؛ زادت قوّة جبهة النصرة بفضلِ ضمّها للعديد منَ الجماعات المسلحة الناشئة في سوريا، وتوفرها على قوة قتالية فعالة ومُنضبطة، رفضت النصرة

في (تشرين١/ ٢٠١٢) اتفاقاً لوقفِ إطلاق النار لمدة أربعة أيام في سوريا خلال عيد الأضحى، وهذَا ما زادَ تقوية صورتها في الداخل السوري .

في (تشرين٢/ ٢٠١٢) وحسب تقرير مطوّل أعدتهُ صحيفة " هافينغتون بوست " الأمريكيّة فإنّ جبهة النصرة باتت لاعباً قوياً في المنطقة، خاصّة بعدما حصلت على مقاتلين أكثر خبرة من صفوف الثوار السوريين .

وفقًا لمتحدث باسم الجيش السوري الحر، فإنّ عدد مُقاتلي الجبهة قد بلغَ في (تشرين٢/ ٢٠١٢) ما بينَ (٦,٠٠٠ و١٠,٠٠٠) مقاتل.

هجمات النصرة :

أولى العمليّات التي تبنتها الجبهة:

تفجير الميدان: في حي الميدان بوسط دمشق، في (٦/ ١/ ٢٠١٢) قام أبو براء الشامي بزرع عبوة ناسفة وضعها في حقيبة، في مقربة من مجمع لآليات شرطة النظام، حيث شوهد من قِبل أحد المواطنين، ثم انفجرت على الفور، قُتل في هذا الانفجار (٢٦) شخصاً غالبيتهم من الشرطة، وجُرح (٦٠) شخصاً .

حسبَ الفيديو الذي تمّ تناولهُ عبر مواقع التواصل الاجتماعي؛ فإنّ الشامي نفذ العمليّة» ثأراً لامرأة من حمص، تدعى: أم عبد الله، التي انتهكَ مجرمو النظام كرامتها وهددوها بذبح ابنها .

في (٢٩/ ٥/ ٢٠١٢)؛ اكتُشفت مقبرة جماعية شرق مدينة دير الزور، بعدَ عمليات الحفر والتنقيب؛ عُثرَ على (١٣) أعدموا من خلال إطلاق النار عليهم من مكان قريب.

في (٥/ ٦/ ٢٠١٢) أي بعد مرور ستة أيام من تاريخ العثور على المقبرة الجماعيّة؛ أعلنت جبهة النصرة مسؤوليتها عمّا حصل، مشيرةً إلى أنها عاقبت الرّجال وحكمت عليهم بالإعدام بعد اعترافهم ببعض الجرائم التي نُسبت إليهم .

في (٢٠١٢/٦/٢٧)؛ هاجمَت مجموعة مجهولة محطة تلفزيونية موالية للحكومة في بلدة دراوشة، إلى الجنوب من العاصمة دمشق، ودمرت استوديوهات المحطّة من خِلال المتفجرات، قُتل خلال الهجوم سبعة أشخاص، بما في ذلك أربعة حراس، وثلاث صحفيين، أعلنت الجبهة مسؤوليتها عن الهجوم ونشرت صور (١١) موظفاً في المحطة اختُطفوا عقب الغارة، قُتلَ الصحفي "محمد سعيد" مذيع أخبار في التلفزيون الحكومي، وتبنّت النصرة هذه العملية .

حصلت تفجيرات ضخمة في ساحة سعد الله الجابري بمدينة حلب في (٣/ ١٠/ ٢٠١٢)، تبنته جبهة النصرة، حيث عمد أحد منتسبي الجبهة إلى تفجير نفسه بسيارة مفخخة، في الركن الشرقي من وسط ساحة سعد الله الجابري، أسفر عن مقتل (٤٨) شخصاً، وجُرح أكثر من (١٢٢) آخرين، كما أعلنت الجبهة عن:

مُهاجمة قاعدة الدفاع الجوي في حيّ حلب يوم (١٢/ ١٠/ ٢٠١٢)، دُمرت فيه مباني القاعدة، وأتلف الرادار، ومنصة لإطلاق الصواريخ .

مهاجمة ثكنة هنانو في مدينة حلب، قتل فيه (١١) جندياً من قوات النظام .

مهجمات ثكنة عسكرية أخرى تابعة للجيش النظامي في الرقة، قُتل فيه (٣٢) جنديا من قوات النظام .

في (تشرين١/ ٢٠١٢)؛ شاركَ بعضُ الثوار في معركة معرة النعمان، أدّت إلى الهجوم على قاعدة "تفتناز" الجوية العسكرية في (٢٠١٢/١١) وهيَ قاعدة استراتيجية للجيش السوري، تحتوي على (٤٨) طائرة هليكوبتر، قُتل خلال هذه المعارك المتفرّقة (٢٨) جُندياً مقابلَ خمسة من مقاتلي النصرة، ثم قامت الجبهة بإعدام بعض الجنود الأسرى دونَ محاكمة .

قامَ عضوان من جبهة النصرة بتنفيذ هجومين انتحاريتين في (تشرين٢/ ٢٠١٢)، حصلَ الأوّل في سهل الغاب في حماة، الانفجار الأول كان بسيارة مفخخة، قتل فيه شخصان، والثاني

في حي المزة بدمشق، قتل فيه (١١) شخصا، أما المرصد السوري لحقوق الإنسان فقد أعلن أنّ حصيلة القتلى الحقيقية لما حصل في سهل الغاب قد وصلت (٥٠) جنديا من الجيش النظامي .

ومهما يكن فقد أعلنت الجبهة مسؤوليتها عن (٥٧) من أصل (٧٠) عملية انتحارية في سوريا خلال الصراع الدائر هناك .

ما قبل صراع داعش والنصرة :

أصبحت جبهة النصرة لاعباً أكثر من رئيسي في النزاع السوري، وزادت قوتها بعد ما حصلت على دعم شعبي قوي، لذا استمرت الجبهة في النمو، وفي (كانون٢/ ٢٠١٣)؛ قدّر مركز كويليام لمكافحة التطرف عدد أعضاء الجبهة بخمسة آلاف مقاتل، يردفهم ألفان من المتدربين وجنود الاحتياط، وفي (تموز) قدرت صحيفة إيكونوميست تعداد جنود النصرة بسبعة آلاف مقاتل .

في (٨/ ٤/ ٢٠١٣)؛ نشرَ أبو بكر البغدادي رسالة صوتية على الإنترنت أعلن فيها أن جبهة النصرة جزءٌ من دولة الخِلافة، وأنه تم دمج جبهة النصرة مع المخابرات الباكستانية في مجموعة واحدة، ستحملُ اسمَ تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) تحت قيادته المُباشرة، وأنه أرسلَ " أبو محمد الجولاني " من قِبل الاستخبارات الباكستانية إلى سوريا للقاء بعض الخلايا الموجودة في سوريا، وهناك تمّ تأسيس جبهة النصرة لتلعبَ دورًا فاعلًا في الثورة .

ردّ الجولاني في اليوم التالي على رِسالة البغدادي بالقول: إنّ الجبهة ترفضُ الاندماج معَ داعش، وأنها تدينُ بالولاء إلى تنظيم القاعدة، وزعيمها أيمن الظواهري، وأن جبهة النصرة، ومجلس الشورى، ومديرها العام لم يكونوا على علمٍ بهذا الإعلان.

بعدَ إعلان البغدادي مُباشرة؛ بدأت الخلافات والانقسامات تخترقُ الجبهة، حيث فضّل الكثير منَ المقاتلين الأجانب الانضمام إلىٰ داعش، وترك النصرة، فيما بقيّ الموالون للجولاني علىٰ ما كانوا عليه، وفضّل آخرون الانضمام إلىٰ كتائب إسلامية أخرىٰ .

في (٤/ ٢٠١٣)؛ ذكرت وكالة رويترز أن البغدادي سافر من العراق إلىٰ سوريا وبالتحديد إلىٰ محافظة حلب، حيثُ بدأَ هناك تجنيد أعضاء من جبهة النصرة تحتَ لوائه، وتناولت بعضُ المواقع الصحفيّة خبرَ إصابة الجولاني في غارة جوية أجرتها الحكومة السورية لكنّه نجا منها، في (حزيران) وحسب ما حصلت عليهِ قناة الجزيرة، فإنّ أيمن الظواهري تدخل علىٰ الخط من خِلال رسالة مكتوبة، موجهة إلىٰ كل من: البغدادي والجولاني، تطرق فيها لموضوع الاندماج، حيثُ رفضَ هذه الفكرة، وأفتىٰ بضرورة تعيين مبعوث للإشراف علىٰ العلاقات بينهما، وإنهاء التوترات، في وقت لاحق من ذاك الشهر؛ نشرَ البغدادي رسالة صوتية أخرىٰ، رفض فيها حُكمَ الظواهري، وأعلن أن عمليّة اندماج النصرة إلىٰ الدولة الإسلامية في العراق والشام، كانت تسير علىٰ قدم وساق، هذا التسلسل في الأحداث تسبب في الكثير من الارتباك والانقسام بين أعضاء جبهة النصرة، بحلول (تشرين٢/ ٢٠١٣) أمرَ الظواهري بحلّ داعش، وأكدَ مجدداً علىٰ ضرورة ولاء جبهة النصرة لفرع تنظيم القاعدة في سوريا فقط .

النزاع بين داعش والنصرة :

بدأت بعض الوحدات التابعة لجبهة النصرة المشاركة في مواجهات ضد تنظيم الدولة أواخر عام (٢٠١٣)، إذ فشلت القاعدةِ فِي إنهاء النزاع بينهما، وبدأت الجبهة تخسر المعارك شيئاً فشيئا أمام تنظيم البغدادي، في حين هدّد الجولاني بإعلان الحرب مع داعش إذا ما واصلت عمليات اغتيالها لكبار قادة أحرار الشام مثلَ: أبو خالد الصوري، وزادَ الجولاني من ضغطهِ حيثُ أعطىٰ تنظيم داعش خمسة أيام من أجل تقديم أدلة علىٰ أنها لا علاقة لمقاتليها بما حصل لكل

من: أبو محمد المقدسي، أبو قتادة الفلسطيني، ثمّ سليمان العلوان من محاولات اغتيال مُتكررة وسجن وغيرها، وفي خطوة غير مسبوقة قتلَ التنظيم الداعشي أحد قياديي جبهة النصرة في محافظة إدلب وهوَ: أبو محمد الأنصاري وعائلته، وهذا ما أكدهُ المرصد السوري لحقوق الإنسان .

بعد أقل من نصفِ شهر على هذه الحادثة، اندلعَ قتالٌ عنيفٌ بينَ التنظيمين في محافظة دير الزور، مما تسبب في سقوطِ المئات من القتلى منَ الجانبين، بعد معارك الكر والفر من هنا ومن هناك؛ تمكّن داعش في تموز من طردِ جبهة النصرة منَ المحافظة، وفي نفسِ الشهر؛ نشرَ الجولاني تسجيلًا صوتياً ذكر فيه أنّ جبهة النصرة تُخطط لإقامة إمارة إسلامية في مناطق من سوريا، حيث كان لها وجود وسيطرة، هذا التسجيل الذي صدرَ في (١٢/ تموز/ ٢٠١٤) أكّدت صحتهُ القناة الإعلامية التابعة للجبهة، لكنها نفت إعلان تأسيس الإمارة بعد نشرَ الجولاني مُجدداً تسجيلاً صوتياً جديداً في (حزيران/ ٢٠١٥) وهذا بعضٌ مما جاء فيه: لا يوجد حل بيننا وبينهم [يقصدُ داعش] في الوقت الحالي أو في المستقبل المنظور، نأمل أن يتوبوا إلى الله، وأن يعودوا إلى رشدهم، وفي حالة ما لم يحصل هذا، فإنّ الحل بيننَا هو القتال .

هجمات النصرة :

في (٢٨/ ٨/ ٢٠١٤)؛ خطفَ متشددو الجبهة (٤٥) من قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام، من فيجي قُرب مرتفعات الجولان، طالب التنظيم الأمم المتحدة بإزالتهِ من قائمة المنظمات الإرهابية في مقابل حياة قوات حِفظ السلام، كما هددوا بالعودة لأسلوب السيارات المُفخخة، في حالة ما أقدمت المنظمة العالميّة على أي تصرف غير محسوب العواقب، في نفس الوقت؛ عمل التنظيم على محاصرة مجموعتين من قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام من الفلبين، في مكان قريب من هضبة الجولان أيضاً في (٣١/ ٨)/ ، أُنقذت المجموعة الأولى والبالغ عدد

جنودها (٣٢)، فيما فرّت الثانية وقوامها (٤٠) جنديا جديرٌ بالذكر هنا أنّ عملية الإنقاذ الأولى قد نُفذت من قبل قوات حفظ السلام الأيرلندية .

في أواخر (١٠/ ٢٠١٤) بدأت جبهة النصرة في مهاجمة عناصر الجيش السوري الحر، وباقي الجماعات الإسلامية المُعتدلة، بما في ذلك تلكَ التي تحالفت معها في وقتٍ سابق، لم يُعرف سبب الخلافات والاشتباكات، لكنّ غالبية التحليلات والاستنتاجات تُشير إلى أنّ النصرة كانت تطمحُ إلى إنشاء دولة إسلامية في المدن التي كان تُسيطر عليها، في محافظة إدلب وغيرها من المحافظات المجاورة، لكنّ الجيش الحر وباقي الفصائل التابعة له قد رفضت رفضاً قاطعاً هذا المقترح .

في (٦/ ٢٠١٥)؛ وفي محاولة منهم لمواصلة إراقة الدماء، وجلب المزيد منَ الانتباه، قام مقاتلو جبهة النصرة بذبح (٢٠) درزياً في محافظة إدلب، حسب ما أوردته قناة الجزيرة، فإنّ قياديي جبهة النصرة قد اعتذروا عمّا حصل، وألقوا باللوم في الحادث على عدد قليل من المقاتلين غير المنضبطين.

في (تشرين١) ؛ اقترحت النصرة عرضاً قيمتهُ ملايين الدولارات لكل من يتمكنُ من مقتل الرئيس السوري، و حسن نصر الله، هذا البيان أكده الجولاني في تسجيل صوتي قال فيه: سأدفعُ مبلغ ثلاثة ملايين يورو لأي شخص يستطيع أن يقتل بشار الأسد ويُنهي قصته .

الغارات الجوية الروسية :

تُصنّف روسيا جبهة النصرة منظمة إرهابية، لذا عملت على استهداف مواقعها من خلال عدد كبير منَ الضربات الجوية، بدأت في (٩/ ٢٠١٥) ، في المُقابل وضعت الجبهة مكافأة لمقاتليها الذين يتمكنون من خطفِ أو قتلِ جندي روسي في سوريا.

في (١٠/ ٢٠١٥)؛ نشرَ أبو عبيد المدني عضو جماعة النصرة، فيديو باللغة الروسية يُحذر فيه الروس من مذبحة في حقهم، في حالة ما واصلوا استهدافَ الجبهة، أمّا أبو محمد الجولاني فقد دَعا إلىٰ شنّ هجمات ضدّ المدنيين الروس، كما دعا الشعب السوري إلىٰ مهاجمة القرىٰ العلوية.

الانشقاق :

في (٢٩/ ٧/ ٢٠١٦) غيّر زعيم النصرة أبو محمد الجولاني اسمَ الجماعة إلىٰ: " جبهة فتح الشام" مُعلنًا أنها لا تنتمي لأي مؤسسة خارجية، فسر بعضُ المحللين علىٰ أنّهُ خروج الجولاني عن تنظيم القاعدة، وكسر الولاء السابق لأيمن الظواهري .

لأكثر من سنة قبل تصريحات الجولاني؛ كانت هناك تكهنات بأن المجموعة ستنفصلُ عن القاعدة عاجلا أم آجلا؛ وهذا ما حدث فعلًا في (١٢/ ٢/ ٢٠١٥) من خلال تقرير نشرتهُ مجموعة "سايت " للاستخبارات، وذكرت فيه أن زعيمَ جبهة النصرة لديه خطط للنأي بنفسهِ عن تنظيم القاعدة .

في (/٣/ ٢٠١٥) ذكرت رويترز من مصادر مقربة داخلَ جبهة النصرة: أن قطر وغيرها من الدول العربية في الخليج العربي تحدثت معَ زعيم النصرة أبو محمد الجولاني، وشجعوهُ علىٰ التخلي عن تنظيم القاعدة، مُقابلَ دعمه مادياً ومعنوياً بمجرد الانفصال، في ردود الفعل حولَ هذا التقرير؛ صرّح بعض المسؤولين في الحكومة القطريّة لوكالة رويترز أن قطر أرادت للنصرة أن تُصبح جماعة معارضة سورية لا علاقة لها بتنظيم القاعدة، بعدها أعلنت الجبهو نيتها بفك الارتباط بينها وبين تنظيم القاعدة .

جبهة فتح الشام :

بعد إعلان الجبهة انفصالها عن تنظيم القاعدة، غيرت اسمها ليصبح: جبهة فتح الشام، ونشرت بي بي سي تقريراً ذكرت فيه أنّ جبهة فتح الشام باتت تضمُ في صفوفها ما بين (٥) إلى (١٠) آلاف منَ المقاتلين السوريين .

بدأ حزب الله الرافضي بمهاجمة الجبهة، في جبال القامون بالقرب من مدينة عرسال، على الحدود اللبنانية/السورية، مما أسفر عن مقتل عدد من المقاتلين، ثم تواصلت خسائر الجبهة؛ حيثُ قُتل القيادي العسكري أبو هاجر الحمصي ، في غارة جوية لم يُعرف مصدرها، تسببت الغارة كذلك في مقتل العديد من قادة جيش الفتح .

وفي (١/ ١/ ٢٠١٧) قُتل عمر التركستاني، أحد كبار المسؤولين في الجبهة، ومعه ثلاثة من رفقائه بهجوم بطائرة أمريكية بدون طيار، في اليوم التالي؛ في اليوم التالي قُتل أكثر من (٢٥) من أعضاء الجبهة في غارة جوية، يشتبه في أنّ الطائرات الأمريكية هي
من نفذتها.

الدعم الخارجي :

عملت حكومة الولايات المتحدة في عهدِ الرئيس أوباما على إرسال أسلحة خفيفة إلى الثوار في سوريا، وقد وقعت بعضُ هذه الأسلحة في أيدي جبهة النصرة، أو أنّها نُقلت لهم من قِبل أحرار الشام، حسب ما صرّح به بعضُ الشهود العيان من الثوار أكّدَ البنتاغون في (٩/ ٢٠١٥) أنّ الفرقة (٣٠) مشاة التي يعملُ على تدريبها، قد أعطت ست شاحنات ، وجزءاً من الذخيرة إلى جبهة النصرة في مقابل ممر آمن .

أفادت بعض التقارير على أنّ مقاتلي جبهة النصرة قد تلقوا مساعدات طبية في إسرائيل، ثم عادوا لساحة القِتال، خلال مقابلة للرئيس السابق للموساد "إيفريم هاليفاي" مع قناة

الجزيرة؛ ذكر أن مثل هذه الممارسات حدثت كجزء من سياسة إسرائيلية عامة لمعالجة الجرحى من مقاتلي المعارضة على الحدود .

الدعم القطري :

اعترفَ أمير قطر علنا في مقابلة لهُ معَ "كريستيان آمانبور" أنه لا يتفقُ مع التسميات الأمريكية بخصوص المنظمات الإرهابية حيثُ قال: أعرف أن أمريكا وبعض البلدان تُصنّف الكثيرَ من الحركات على أساس أنها إرهابية ... ولكن هناك اختلافات؛ هناك اختلافات بخصوص هذه التسمية، خاصّة أن بعض الدول الغربية ترى في كل حركة إسلامية منظمة إرهابية! وطبعاً نحن لا نقبل هذا، إنهُ لخطأٌ كبيرٌ فعلًا! الخطأ هو أن تنظرَ إلى كل حركة إسلامية على أنها حركة مُتطرفة .

الباب الرابع

المقدمات والنتائج

حقيقة جبهة النصرة[153]:

بين الحين والآخر تُبتلى الأمّة بمجموعة تشقّ صفها، وتلوث فكرها، وتطعن في علمائها، وتلبّس على الناس أمر دينهم، ومما ابتليت به الأمة في العصر الحاضر: جماعات الغلو بمسمياتها المختلفة، والتي تبلورت أفكارها وتجمّعت كوادرها في تنظيم القاعدة، والذين انتقلوا بإفسادهم من بلد إلى بلد حتى استقر بهم الأمر في سوريا، فأفسدوا على أهل الشام ثورتهم، وذاق أهل سورية منهم الويلات والنكبات.

وقد كان آخر بلايا هذا التنظيم ما قامت وتقوم به تلك الجماعة المنبثقة عنه، والتي تسمّت بمسمّيات كثيرة كان أوّلها جبهة النصرة، وآخرها حتى الآن: هيئة تحرير الشام[154] حتى وصفها البعض بالخوارج، ووصفها البعض الآخر بالبغاة -وبينهما فرق في الجوهر، واختلاف في الأحكام- ورماها البعض بالعمالة التي تفوح منها رائحة الحكم بالردة، والبعض ما يزال يراها

---

(153) **هذا المقال نُشر في موقع: على بصيرة الإلكتروني، بتاريخ: (١٤/ ٣/ ١٤٣٩)هـ .**

(154) على طريقة جماعات الغلو المعاصر: فإنّ هذه الجماعات تغيّر اسمها كل فترة من الزمن؛ في محاولة لتلميع صورتها وتضخيم حجمها، أو لتغطي على ما مضى من سوء صنيعها؛ فكلما تلوثت بالإجرام انتقلت للعمل تحت اسم آخر تخدع بها عامة الناس. وهكذا فعلت جبهة النصرة، فقد بدأت باسم (جبهة النصرة)، ثم أضافت إلى اسمها الانتماء لتنظيم القاعدة: (جبهة النصرة - تنظيم القاعدة في بلاد الشام)، ثم شكّلت تحالف (جيش الفتح) في الشمال وصارت تتحرك تحت مظلته، ثم تسمّت باسم (جبهة فتح الشام)، ثم (هيئة تحرير الشام) اسمها الحالي .

جماعة جهادية لها أخطاء! فأصبح من المهمّ والملحّ بيان حقيقتها الشرعية، وبان علاقتها بـ "داعش" وأوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.

وفي هذا المقال سنبحث في حكم هذه الجماعة، ونبيّن التوصيف الشرعي لها، بناء على ما ظهر لنا من عقائدها وأفعالها.

المطلب الأول: افتراق الأمة:

لقد أصاب هذه الأمّة ما أصاب الأمم قبلها من التفرق والانقسام، وهذا قَدَرٌ أخبر عنه النبي ﷺ قبل وقوعه، فقال ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[١٥٥].

وهذا القول منه ﷺ من باب الخبر، فالافتراق واقع لا محالة، وقد وقع، وقد أشار النبي ﷺ في بعض الأحاديث إلى أصول بعض الفرق كالخوارج والقدرية والمعتزلة وإن لم يسمّهم باسمهم الذي عُرفوا به فيما بعد، وحذّر منها، وبيّن صفاتها.

وأمام هذا الانقسام الذي لا بدّ منه، يجب على المسلم أن يتبيّن سبيل الباطل ليتجنبه ويحذر منه.

المطلب الثاني: نقطة الافتراق:

يبدأ ظهور الفرقة بشبهة أو فكرة واحدة يمكن اعتبارها الفكرة الأم للفرقة أو النواة المكونة لها، ثم مع مرور الزمن وتتابع الأحداث: تتطور الأفكار وتَقَعّد، لتصبح منظومة فكرية، تمثّل مذهبا أو تيارا، وربما انقسم الفكر الواحد أيضا إلى أفكار أخرى، لتتشكّل من هذه الفرقة فرقا كثيرة، وربما متنازعة فيما بينها.

---

(١٥٥) أخرجه أبو داود برقم (٤٥٩٦)، كتاب السنة، باب شرح السنة .

وإذا أردنا أن نعلم ارتباط شخص أو جماعة معاصرة بفرقة سابقة فعلينا أن نبحث عن (الفكرة الأم) لتلك الفرقة، وننظر في مدى تحققها لدى هذا الشخص أو هذه الجماعة، فإن وجدت عنده فهو من هذا الفرقة، وإن لم توجد فيه كل صفات أو أفكار تلك الفرقة السابقة التي تولّدت عنها وتطورت مع تطورها، إذ يكفي أن يكون عنده الأصل ليُنسب إليها.

وفي المقابل: لو وُجدت لدى شخص أو جماعة صفات إحدى الفِرَق، ولم تتحقق فيه الفكرة الأصل، فلا ينسب إليها، بل يقال: عنده ميول لكذا، أو تلوثٌ بكذا، لكن لا يوصف بها.

ونحن هنا يهمّنا الحديث عن الخوراج وبيان أصلهم الأصيل وفكرتهم الأم، لأنّهم محل القياس في بحثنا.

المطلب الثالث: أصل الخوارج:

أصل الخوارج الأصيل: هو التكفير بغير وجه صحيح ، ويلزم عن هذا الأصل أصل آخر ملازم له، وهو: استباحة دم من كفّروه. فكلّ من كَفَّر بغير دليل صحيح وقاتل من كفّره فهو خارجي.

قال ابن تيمية: "والخوارج هم أوّل من كفّر المسلمين: يُكفّرون بالذنوب، ويكفّرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلّون دمه وماله" [١٥٦].

وقال ابن قدامة في معرض تقسيمه للخارجين على الإمام وحكمهم:

الثالث: الخوارج الذين يكفّرون بالذنب، ويكفّرون عثمان وعليا وطلحة والزبير، وكثيرا من الصحابة، ويستحلّون دماء المسلمين وأموالهم، إلا من خرج معهم. فواضح وصريح من كلام ابن تيمية وابن قدامة أن أصلهم هو التكفير بغير سبب صحيح، وقتال من كفّروه.

---

[١٥٦] مجموع الفتاوى (٣/ ٢٧٩).

وقال عبد القاهر البغدادي: "وقد اختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها، فذكر الكعبي في مقالاته: أنّ الذي يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها إكفار علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل وكل من رضي بتحكيم الحكمين، والإكفار بارتكاب الذنوب، ووجوب الخروج على الإمام الجائر. وقال شيخنا أبو الحسن: الذي يجمعها إكفار علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم وصوّب الحكمين أو أحدهما، ووجوب الخروج على السلطان الجائر، ولم يرضَ ما حكاه الكعبي من إجماعهم على تكفير مرتكبي الذنوب" (١٥٧) .

والملاحظ أن الجامع بين كلام الكعبي وأبي الحسن هو: اتفاق الخوارج على تكفير بعض الصحابة، وهو تكفير بغير مكفّر صحيح، لذلك: فإن التعبير الأدقّ والجامع هو التكفير بغير مكفّر صحيح، وهو معنى كلام ابن تيمية السابق.

وقولهم: الخروج على الإمام الجائر ربما لا حظوا فيه مَنْ خرجوا على علي رضي الله عنه، وإلا فهم يخرجون ويقتلون كل من كفّروه، كما قال ابن تيمية في كلامه السابق.

وأما باقي الصفات فهذه صفات إضافية، قد توجد لدى بعض فرق الخوارج، وقد تتخلف، وقد يستجد ما هو أشدّ منها، كما هو حال الخوارج المعاصرين، ولذا صار الخوارج فرقاً نتيجة هذا التعدد والتطور الفكري، ويبقى الأصل: (الفكرة الأم) وهو التكفير بغير وجه صحيح واستباحة دم من كفروه هو علّة ومناط تسميتهم بالخوارجي (١٥٨).

---

(١٥٧) الفرق بين الفِرق (ص:٥٥) .

(١٥٨) انظر فتوى هيئة الشام الإسلامية: هل تنظيم الدولة الإسلامية من الخوارج، (http://islamicsham.org/fatawa/١٩٤٥)وفيها: وتسميتهم بـ "الخوارج" إنما هي لخروجهم عن أحكام الدين ومفارقتهم جماعة المسلمين، كما قال ×: (سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ

ولمزيد قناعة بما قررناه: لنتأمل حال الخوارج الأُوَل، وهم الذين كانوا في عهد علي رضي الله عنه، وهؤلاء خوارج بالاتفاق، ما الفكرة التي خرجوا وانشقّوا بها عن صفّ الأمة؟ إنها تكفير علي رضي الله عنه وقتاله، وسبب قتالهم له: كُفْرُه حسب زعمهم. وهؤلاء ليس عندهم من صفات الخوارج الذين جاؤوا من بعدهم إلا الشيء اليسير، فقد تفرّق الخوارج إلى فِرَقٍ كثيرة، منهم مَنْ ردّ السنّة، ومنهم من أنكر حديث الآحاد، أو أنكر رؤية الله يوم القيامة، أو أنكر حدّ الرجم، وغير ذلك!

الخلاصة: أنّ كلّ من كفّر بغير حق، واستباح الدم بذلك، وفارق جماعة المسلمين بفكره ومعتقده فهو خارجي، وقد تجتمع فيه الصفات الأخرى فيكون خارجيًّا صِرْفًا، وقد يجتمع فيه بعضها، وقد لا يوجد فيه إلا الأصل، وهو كافٍ لتسميته بهذا الاسم وتطبيق أحكام الخوارج عليه.

ومن كفّر ولم يقتل فهو خارجي حقيقة، أي فيه أصل الخوارج، لكن هل يأخذ حكم الخوارج، أي يعامل معاملتهم من حيث قتله واستئصاله؟ خلاف بين العلماء [١٥٩].

ومن خرج بسلاحه ولم يكفّر فليس بخارجي، فقد يكون من البغاة، أو قطّاع الطرق، أو غير ذلك.

كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) متفق عليه. قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري": "سُموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين". وقال النووي في "شرح مسلم": "وسموا خوارج؛ لخروجهم على الجماعة، وقيل: لخروجهم عن طريق الجماعة، وقيل: لقوله صلى الله عليه وسلم: (يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا)."

(١٥٩) انظر المغني لابن قدامة (٨/ ٥٣٠).

المطلب الرابع: حقيقة "جبهة النصرة":

تنظيم "جبهة النصرة" تنظيم خارجي، يتحقق فيه أصل الخوارج، وهو التكفير بغير سبب صحيح واستحلال دم من كفّروه. ويدلّ لذلك أدلّة كثير من أهمّها:

أنّ "جبهة النصرة" تابعة لتنظيم القاعدة، وقد أعلنت انتماءها إليه عندما غيّرت اسمها إلى: "جبهة النصرة – تنظيم القاعدة في بلاد الشام". وهذا الأمر معلوم للقاصي والداني [١٦٠]، ومعلوم أنّ "تنظيم القاعدة" قد دخله الغلو، واجتمعت فيه معظم عقائد وأفكار التنظيمات السابقة له، كجماعات (الجهاد) المصرية، و(الجيا) الجزائرية، ونحوها، لتتبلور هذه الأفكار وتشكّل مجموعة من الأسس التي يقوم عليها التنظيم، من أهمّها:

ادّعاء أنهم الجماعة الحق التي يجب اتباعها، فهم الطائفة المنصورة التي ستكون فيهم الخلافة ويخرج فيهم المهدي!

تكفير جميع حكومات الدول الإسلامية، والعاملين فيها ولاسيما قطاعات الجيش والأمن والشرطة، والحكم على جميع البلاد الإسلامية أنّها بلاد كفر وردّة بما فيها مكّة والمدينة، وإسقاط جميع علماء المسلمين باعتبار أنهم سدنة الشرك وأنصار الطواغيت.

قتال من يرفض مشروعهم أو يقف أمامه أو يسير في خطٍ منافس له [١٦١].

---

[١٦٠] ينظر مقال: (هيئة تحرير الشام) وجه جديد للقاعدة يطعن الثورة السورية، من إعداد موقع على بصيرة، http://alabasirah.com/node/٦٧١

[١٦١] ينظر مقال: هل هيئة تحرير الشام من الخوارج؟ د. عماد الدين خيتي http://alabasirah.com/node/٦٣

وأحد الأدلّة على تبنّي "جبهة النصرة" لفكر "القاعدة" فيما يتعلق بتكفير الحكومات الإسلامية: تصريح الناطق الرسمي للنصرة ومدير معاهدها الشرعية: "أبو فراس السوري – رضوان محمود النموس" في مقاله: "مفلسون" بكفر الأنظمة، ومنها النظام التركي وأردوغان.

أنّ "جبهة النصرة" لا تختلف عن "داعش" التي أجمع العلماء على خارجيتها.

ففضلًا عن أنّهما ولدا من رحم القاعدة، فإنّهما يحملان الأفكار نفسها، وقد أقرّ الجولاني نفسه بأن الخلافات بينهم هي "خلافات في البيت الواحد"، وبين "إخوة المنهج".

ثبوت تكفير قيادات "جبهة النصرة" لغيرهم، سواء كانوا من الفصائل المجاهدة على أرض الشام أو السياسيين، أو غيرهم.

وكانت جبهة النصرة ممثّلة بكيانها الجديد (فتح الشام) قد ادّعت في ردّها على بيان المجلس الإسلامي السوري الذي وصفها فيه بأنها "تبع للمشروع القاعدي التكفيري"، وامتداد لداعش تلك "النبتة الخبيثة الخارجيّة"، ادّعت أنها لم تكفّر أحدًا من الفصائل ولم تدع لقتالهم أو الاعتداء على ممتلكاتهم! وأنها قاتلت من قاتلت بسبب فسادهم! وزعمت أنّ بيان المجلس الإسلامي متسرّع [١٦٢] وبما أنّهم أقرّوا –من خلال بيانهم– بالأصل في الحكم على شخص أو كيان أنّه خارجي وهو "التكفير بغير مكفّر واستباحة الدم"، فلم يبق سوى إثبات تكفيرهم للآخرين بغير مكفّر، وإثبات أنّهم إنّما قاتلوهم لأنّهم مرتدين، وبهذا يتبيّن كذبهم في دعواهم التي ادّعوها.

والأدلة على تكفيرهم للآخرين أكثر من أن تُحصى، لكنّنا نقتصر هنا على أهم ما صدر عن قادتهم السياسيين والعسكريين والشرعيين، فمن ذلك:

---

(١٦٢) ينظر: بيان بشأن جبهة النصرة (فتح الشام) http://sy-sic.com/?p=٣٩٤٨

تكفيرهم لفصائل الجيش الحرّ التي استأصلوها، ومن ذلك:

شهادة الدكتور "أيمن هاروش" أنّه سمع تصريح "عبدالرحيم عطّون" يقول بردّة "جمال معروف" و"حزم".

وشهادة الدكتور "حذيفة عزّام" أنّهم قاتلوهم قتال ردّة، واستعدّ لمباهلة "الجولاني" علىٰ ذلك.

تصريح "الجولاني" بكفر وردّة الائتلاف وهيئة الأركان، وتكفير أعيان من فيهما، كما جاء في تسجيل صوتي له في رثاء "أبي خالد السوري".

يضاف إلىٰ ذلك شهادة الدكتور "أيمن هاروش" أنّه سمع من "الجولاني" تكفير أعيان مَن في الائتلاف وهيئة الأركان حين تدخّل لإطلاق سراح "جميل عفيسي" ابن العقيد "هيثم".

وتكفيرُ أعيان مَنْ في الائتلاف والأركان منتشر بين الجنود، ويعلم كل مَن له معرفة بالنصرة أنّ هذه الأفكار تُغرس في جنودها غرسًا، ويُلَقّنونها تلقينًا بمحاضنهم التربوية، وليس لهم أن يقولوها من تلقاء أنفسهم.

كلام "أبي فراس السوري" في مقاله "النذير العريان" وغيره، والذي صرّح تارة وألمح أخرىٰ إلىٰ تكفير "الأحرار" والفصائل السورية وقياداتها، ووصف فيها ميثاقَ الشرف الثوري بالضلال.

ولما ردّ أبو عبد الله الشامي "عبد الرحيم عطّون" علىٰ مقاله "النذير العريان" بما يوضّح عدم موافقته لأبي فراس السوري فيما قاله، ردّ أبو فراس بأنّه أطلع أبا عبدالله الشامي علىٰ مقاله قبل نشره، وأنه أُعجب به! وفي هذا تكذيب صريح للشامي في ردّه!

والحق: أنّ "النموس" صادق وصريح في تكفيره لبعض الفصائل وقياداتها، وأنّه لا يمارس التقية والباطنية التي يجيدها غيره في النصرة.

كلام "بلال خريسات" وهو أمني النصرة في فترة ما، حيث وصف جيش الإسلام بجيش الردّة والعمالة، وعندما برّر ذلك في ردّه على من انتقده، علّل حكمه بكونهم مشاركين في مؤتمر الرياض وموقعين عليه، وهذا يعني أنّ كل من شارك في مؤتمر الرياض مرتد كافر عنده، وهو موافق لرأي أبي فراس السوري في هذا الأمر، فهذا تكفير لكل المشاركين. وكان الجولاني قد وصف من دخل الرياض بالخيانة، وهي تؤدي للتكفير الذي صرح به قومه لم يزل "المقدسي" و"أبو قتادة الفلسطيني" من المقدَّمين والمبرزين عند جبهة النصرة وإلى وقت قريب جدًا، وأبو قتادة هو من أفتى للـ "جيا" (١٦٣) وشرعن قتلها وجرائمها وتكفيرها، ولا يخفى كلامهما في تكفير الحكومات والبرلمانات. والمقدسي يقول بكفر من ترشّح لها.

إنّ كلّ ما سبق هو من تكفير الأعيان الذي لا يجوز البتّة، إلا بعد قيام الحجّة وتحقّق الشروط وانتفاء الموانع، كما قال ابن تيمية رحمه الله: "فتكفير المعيّن من هؤلاء الجهّال وأمثالهم -بحيث يُحكم عليه بأنّه من الكفار- لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية التي يتبيّن بها أنّهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنّها كفر. وهكذا الكلام في تكفير جميع المعيّنين، مع أنّ بعض هذه البدعة أشدّ من بعض، وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض، فليس لأحدٍ أن يكفّر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام

---

(١٦٣) للعلم: فإنّ الأحرار كانت مشاركة في مؤتمر الرياض ووقعت كغيرها، وكان أميرها يومها "أبا جابر"، الذي مدح مؤتمر الرياض، وقد تولّى "أبو جابر" فيما بعد إمارة "الهيئة" دون أن يعلن توبته من هذه المشاركة! فكيف يبايعون مرتدًا خائنًا؟

عليه الحجّة وتبين له المحجّة. ومَن ثبت إيمانُه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة" [١٦٤].

وقال رحمه الله: "وحقيقة الأمر أنّهم [أي الذين غلطوا في التكفير] أصابهم في ألفاظ العموم في كلام الأئمة ما أصاب الأوّلين في ألفاظ العموم في نصوص الشارع: كلّما رأوهم قالوا مَنْ قال كذا فهو كافر، اعتقد المستمع أنّ هذا اللفظ شاملٌ لكلّ مَنْ قاله، ولم يتدبّروا أنّ التكفير له شروط وموانع قد تنتقي في حقّ المعيّن، وأنّ تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعيّن، إلا إذا وُجِدت الشروط وانتفت الموانع"[١٤].

بل إنّ الطرف الآخر الذي كفّره قادة "النصرة" طلب النزول لحكم الشرع في القضايا الـمُختلف فيها، وكان مستعدًا للمناظرة، ولكنّ النصرة رفضت وأبت، وتابعت تكفيرها وقتلها وعدوانها، وشهادات الذين سَعَوا بين الطرفين تثبت هذا الأمر، من ذلك شهادة الدكتور "أيمن هاروش" حيث يقول: " وإني أشهد أمام الله وأمام الناس أنّ الفصائل التي اعتدت "النصرة" عليها قبلت بمحكمة شرعية، ووافقت على القضاة الذين تقبل بهم النصرة، ولكنّ النصرة رفضت وتابعت إجرامها" .

فهذا هو التكفير للمعين بغير سبب صحيح، ورفض إقامة الحجة عليه بالمناظرة، والإقدام على قتاله وسفك دمه دون خضوع لحكم الشرع، لهو خارجية صلعاء، خرجت وخارجية ابن ملجم من رحم واحد.

أما باقي صفات الخوارج: فمَنْ تتبّع حال "النصرة" وقبلها "داعش" يجد أنّهم اتصفوا بصفات لم تكن موجودة في الخوارج الأول، كالغدر في العهد ونكث الميثاق:

---

(١٦٤) الجيا: اختصار لاسم: "الجماعة الإسلامية المسلّحة"، في الجزائر.

كما فعلوا مع "أبي عبد الله الخولي": اعتقلوه بعد أن أعطوه الأمان.

وكما فعلوا مع "حزم" حلب: قاتلوها بعد أن اتفقوا على تحييدها.

وكما فعلوا مع "أحرار الشام" مؤخّرًا.

وكما فعلوا في معرّة النعمان حيث اقتحموها مؤخّرًا في أحداث الأحرار، بعد أن وقّعوا مع الأهالي اتفاقًا يقضي بخروج العسكريين منها وعدم اقتحامها البتة.

وكما نقض "الجولاني" اتفاقه وعهده مع الذين سعَوا في الصلح بينه وبين الفصائل الأخرى، فقد قَبِلَ الاندماج الذي يشمل "جيش الإسلام" و"الشامية"، وقَبِلَ بالتحكيم في قضية الفرقة ، وقَبِلَ بتأسيس محكمة مستقلة لكل الفصائل، ثم نكث وكذب في ذلك كله، بحسب شهادة "الدكتور أيمن هاروش" والذي كان ضمن المشايخ الذين اتفقوا مع الجولاني على الأمور المذكورة.

وكذلك نكث تعهّده بوقف البغي على "الأحرار" وأنه لن يقدم على أي عمل إلا بفتوى من المجلس الشرعي للهيئة، لكنه تجاوز "اللجنة الشرعية" وظهر تسريب صوتي ينتقص فيه من أعضاء اللجنة، مما أدى إلى استقالة عضوي اللجنة: "عبدالله المحيسني" و"مصلح العلياني"[١٦٥]

وكالكذب الذي يطفو على بياناتهم وخطاباتهم ولا يعلمه إلا من عايشهم وعاين واقعهم، فهم كالباطنية الذين يسرّون خلاف ما يعلنون، فعقيدة "أبي فراس" و"بلال خريسات" هي عقيدة جلّ القوم كما أكّد هذا "صالح الحموي" وهو أخبرُ الناسِ بهم، ولكنّهم لا يصرّحون بها.

---

[١٦٥] ينظر: تعليق على استقالة المحيسني والعلياني من هيئة تحرير الشام: http://alabasirah.com/node/٦٥

لقد تحقق في القوم أصلُ الخوارج، وهو التكفير بغير سبب صحيح وقتال من كفّروه، وزادوا عليه بباطنية خبيثة، وغدر وكذب مشين، ولهذا لا يجوز لعاقل -فضلًا عن مؤمن- أن يدافع أو يركن لهم، فضلًا عن أن يبقىٰ في صفوفهم.

المطلب الخامس: شبهات وردود:

قد يثير البعضُ حول هذا الكلام شبهات يلبّس بهم علىٰ الناس ليمنع وصول الحق لهم، ولسنا نعني بذلك الشبهات التي يستدل بها البعض للثناء علىٰ القوم، كالقول بأنهم مجاهدون يقاتلون النظام، وأن منهم مهاجرون، إضافة لتعرضهم للقصف الأمريكي ...الخ، فهذه الشبهات قد ردّ عليها الكثير من الأفاضل، فانحراف الفكر لا يراه إلا أهل العلم، والانحراف في منحىٰ الخوارج تدقّ رؤيته، ولا يراه إلا المتمكّن من المناهج والقريب من القوم.

ولا يُنكر أنّ بيان ضلال هؤلاء واقناع الناس به أمر عسير وشاق إلا علىٰ من فهم أصول الفرق وتلقّىٰ العلم من مشاربه الصحيحة، لأنّ ظاهر القوم يفتن ويخدع: لسانٌ لا يتكلم إلا بالقرآن والسنة، ويزعم نصرة الإسلام وتحكيم الشريعة، ويقدم صاحبه روحه في سبيل ذلك، فكيف سيقتنع العوام -بل بعض أهل العلم- بضلال مَنْ هذا حاله؟

لقد كان ابن ملجم قاتل علي رضي الله عنه حافظًا للقرآن، زاهداً، "وقيل إنّ عمر كتب إلىٰ عمرو بن العاص: أنْ قرّب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليُعلّمَ الناسَ القرآن والفقه، فوُسّعَ له" [١٦٦] !! ومع ذلك قتل عليًا وهو يقول: "الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك" !! ولما قاتلهم عليٌ أقبلوا وهم يقولون: "لَا حُكْمَ إِلَّا للهِ، الرَّوَاحَ الرَّوَاحَ إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ أَبُو أَيُّوبَ

---

[١٦٦] لسان الميزان (٣/ ٤٤٠)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٣٩).

[الأنصاري]: وَطَعَنْتُ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ بِالرُّمْحِ فَأَنْفَذْتُهُ مِنْ ظَهْرِهِ وَقلت لَهُ: أَبْشِرْ يَا عَدُوَّ اللهِ بِالنَّارِ، فَقَالَ: سَتَعْلَمُ أَيُّنَا أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا" [167]!!

فتأمل مدىٰ إيمانهم بفكرتهم، وتأمل مأخذ الضلال فيها، تجد مصداق ما ذكرناه من أنّ إقناع الخصم بضلالهم ليس سهلًا، وسبحان الله كانت دعوىٰ تحكيم الشريعة بوابة الخوارج الأوائل وبوابة هؤلاء، والتغني بالجنة والشهادة شعارهما.

لهذا كله نرىٰ حرص النبي ﷺ علىٰ بيان صفات الخوارج، حتىٰ لا ينخدع الناس بهم، بأحاديث بلغت العشرات، منها قوله ﷺ: «تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مَعَ صَلاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» [168] ، وفي رواية «يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ» [169] ووصف ظهورهم بالقرن (كلّما خرج منهم قَرْنٌ قُطِعَ) [170]، بما يشعر بالصلابة والقوة.

ومن أهم الشبه التي يثيرها البعض علىٰ الحكم الذي ذكرناه علىٰ هؤلاء القوم ما يلي:

* أن ما اعتمدت عليه النصرة في التكفير سبب صحيح!!

والجواب على ذلك:

أن نقول لهم: هذا بظنّكم، كما كان كُفْر علي والصحابة صحيحًا بظنّ الخوارج يومها.

فما اعتمدت عليه النصرة من التكفير بسبب حضور المؤتمرات كالرياض والأستانة، والدخول في تكتلات عسكرية تتلقىٰ دعمها من الغرب كالأركان والموم، وتأسيس كيانات سياسية مدنية

---

(167) البداية والنهاية (٧/ ٣٢٠) .

(168) متفق عليه: البخاري برقم (٥٠٥٨) ومسلم برقم.(١٠٦٤)

(169) متفق عليه: البخاري برقم (٣٦١١)، ومسلم برقم.(١٠٦٦) .

(170) رواه أحمد برقم (٦٨٧١) وابن ماجه برقم.(١٧٤)

ديمقراطية كالإئتلاف ونحوه، والدخول في مؤسسات الأمم المتحدة، كلها مناطات غير صحيحة، وأوهام قدّموها على أنها حقائق، ولا يهم ما يأتون به من دليل، فما من عاقل وإلا وله دليله، فأهل البدع كلهم يستدلّون على بدعهم بالقرآن والسنة، ولكن الذي يهم: صحة الاستدلال وصمود الحجة أمام الحجة في ساحة المناظرة.

وأما سَوْق الحجج أمام أتباعهم وعبر القنوات الإعلامية وغيرها، وتقديمها على أنّها مسلّمات كالنصوص القطعية، فهذا هو شأن الخوارج ومنهج أهل البدع.

وقد ألقى "عطون" يوماً محاضرة في حلب، وقال بكفر الديمقراطية مطلقاً وكفر من قال بها، فتصدّى له شرعي "الزنكي" يومها وعارض هذا الإطلاق، وأجبر "عطون" على التراجع، والقول بأنّ هناك حالات لمن يأخذ بالديمقراطية ليست من الكفر! فهذه مداخلة عرضية واحدة تهاوت فيها حجة أكابر شرعيي القوم، فكيف لو تقابلت باقي الحجج في ميدان علمي؟ ولكنهم يرفضون ذلك، بل ويطبقون آثار التكفير من قتالٍ وسفك دمٍ ومصادرة مالٍ وملاحقة منتسب واغتيال بناء على هذه الظنون، فإن لم تكن هذه الخارجية فما هي الخارجية إذن؟

أنّ هذا الحكم سياسي:

أي إن هذا الحكم لم يصدر عن قناعة، ولم يقله قائلُهُ ديانةً، وإنما هو حكم من يريد أن يحقق به مكاسب سياسية، ليرضي بعض الجهات الدولية، وليستطيع من خلاله العبور لأحكام فقهية كالاستعانة بالتحالف عليهم، التي لا يستطيع الوصول لها بغير الحكم بخارجية النصرة.

والجواب من وجوه:

هذه شنشنة نعرفها من أخزم، فما أسرع القوم في إسقاط مخالفهم ورشقه بالتهم والافتراءات لنصرة عقيدتهم، فلا يوجد أفجر ولا أكذب ولا أسلط لسانًا من غلاة عصرنا، ومع ذلك نقول هذا اتهام للنوايا، وتسوّر على القلوب التي لا يعلم ما فيها إلا الله.

مَنْ تكلم جاء بأدلة، فردّوا دليله وفندوا حجته! والهروب من مواجهة الحجة إلى الطعن في النوايا سبيلُ أهل الباطل، فأعداء الرسل لما عجزوا عن مقارعة حجج الرسل كالوا لهم التهم والافتراءات.

التحالف الدولي لا يحتاج لفتاوى، ولا يحتاج لمن يتزلف له ليضرب الغلاة، فعند الغلاة من الحماقة ما يجعلهم يقدمون للتحالف الذرائع الكافية لضربهم.

كم استبيحت فصائل بمثل هذه التهمة، وآخرها ما اتهموا به الفصائل التي ذهبت للأستانة بأنّها وقّعت على قتالها! مع أنّ الصحيح عكس ذلك، فقد كانت الفصائل المشاركة في هذه الاجتماعات تدافع عنهم وترفض قتالهم!

لماذا التناقض والاضطراب؟ فتارة تقولون بغاة، وتارة خوارج، وقبل كنتم تقولون مجاهدون، وربما غدًا تقولون طائفة ردّة!!

والجواب عن ذلك:

أنّ الحكم على المعيّن يتدرج بحسب ما يظهر من حال المعيّن، فالأصل في المسلم الإسلام، ولا يعدل عنه إلا بيقين، فمن جاء مظهرًا إسلامه وغيرته على أهل سوريا ويجاهد النظام ويقارعه، ولا يتدخل في حياة الناس، ولا يظهر منه فكر يخالف منهج أهل السنة، نقول عنه مجاهد، وهذا كان حال النصرة في أول دخولها، وقد خرج الشعب في (٢٠١٢) بمظاهرات تأييد لها، يوم أرادت أمريكا تصنيفها في قائمة الإرهاب!

ثمّ لما انحرفت بندقيتها وتوجّهت للفصائل والمجاهدين بالعدوان بلا حق، قلنا هذا بغي، وتعالوا لشرع الله تعالى، فلما رفضوا التحاكم وأبوا مع أنّ خصومهم كلهم قبلوا، قلنا هؤلاء بُغَاة يجب ردّ صيالهم وبغيهم حتى يفيؤوا.

فلما ظهر منهم التكفير وصرّحوا به تارة، وواروه خلف عبارات التخوين والتمييع تارة أخرىٰ، قلنا هذه خارجية صلعاء.

وهكذا سارت "داعش" في الثورة، وتدرّج حكم العلماء فيها، والبعض اليوم يرىٰ أنّ "داعش" ظاهرت النظام في قتالها للفصائل وقطع طرق الإمداد، فأصبح يقول: طائفة زندقة وقعت في ردّة. فالتدرّج ليس تخبّطًا ولا تناقضًا، وإنّما هو تغيير للحكم بحسب ما يظهر من العلل، ولا يُلام من أحسن الظن بهم بداية، فالمؤمن طيب القلب، وكما قال ابن عمر: من خدعنا بالله انخدعنا له.

لم يوافق علىٰ هذا كل أهل العلم.

والجواب عن ذلك:

أنه لا ضير في هذا، فالحكم علىٰ المعين مظنّة خلاف بين أهل العلم، لاختلاف ظهور العلّة لكل واحد، ولاختلاف درجة الظهور عندهم أيضًا، وفي التاريخ الإسلامي مَن اختلف العلماء في تكفيره، ولم يعب أحدهم علىٰ الآخر، ولا اعتبر قول أحدهم مبطلًا للآخر. وهذه داعش التي فاقت الأولين والآخرين في الإجرام والتكفير، ما يزال البعض يجادل عنها ولا يرىٰ خارجيتها! فاختلاف أهل العلم في الحكم علىٰ جماعة أو فرد ليس دليل بطلان قول أحدهم.

نعم في مرحلة الترجيح يركن لأحدهما دون الآخر، ويكون القول الراجح لمن هو أقرب للمعيّن والجماعة، ولمن عاصرهم ودخل معهم وسمع ورأىٰ، فلا يقدم علىٰ قوله وحكمه قولُ وحكمُ من هو بعيد عنهم، وربما في بلد آخر لم يصله منهم إلا السماع، لأن الحاكم بالخارجية مُثبتٌ، والحاكم بعدمها نافي، وقول المثبتِ مقدّمٌ علىٰ قول النافي، لأنّه علم، ومن عَلِمَ حُجّةٌ علىٰ من لم يعلم كما قالوا.

علىٰ أنّ من قال بخارجية النصرة ليس قلة من حيث الكم والكيف، وحسبك بالمجلس الإسلامي السوري الذي يضمّ خيرة علماء سوريا، وهيئاتها وروابطها، وجلّ مشايخه في الداخل ولهم تواصل به، لا كما يروّجون بأنهم في الخارج ظنًا أنّ المجلس هو اثنين أو ثلاثة من المشاهير المقيمين في تركيا.

لماذا تصرّون علىٰ تسميتها بالنصرة، وقد صارت هيئة ودخلها غيرها، فهل كل الهيئة خوارج؟

والجواب عن ذلك:

لا يهم الاسم فهو تغيير مظهر، والعبرة بالحقائق والمضامين، فالنصرة هي "جبهة فتح الشام" أميرًا وجنودًا.

ولما تشكّلت "هيئة تحرير الشام" ودخل مع النصرة غيرُها، كان من الواضح أنّ الذين دخلوا من الجماعات أو الأفراد لن يكون لهم من القول شيء، فسيبقىٰ القرار للجولاني، وهذا ما أكّدته الأحداث، فالهيئة تشكلت لمنع البغي وتطويق همجية الجولاني، لكنّ الذي حصل أنّ البغي استمر، ولم يلتزم الجولاني وأكابر مجرميه بكل اتفاقات وبنود الهيئة، فبقي التخوين والقتل والبغي، بل زادت حدته وشراسته، ولم يردّ حقًا لمظلوم من الفصائل، ولم يخرج الخولي ولا غيره، ولم يرجع مطاردًا، فالمظالم كما هي بل أشد، فلا معنىٰ لدخول غير النصرة معها، والحكم علىٰ الطائفة لا يكون باستقراء واستقصاء كل فرد فيها، بل بالحكم علىٰ سياستها وتصرفاتها.

خاتمة

إنّ ما ظهر لنا من حال جبهة النصرة وما ندين لله به، أنها من الخوارج فكراً وسلوكاً، وأسوأ منهم خُلُقاً وفعالًا، والهيئة هي جبهة النصرة.

ولا يحلّ لمن يخشىٰ الله تعالىٰ أن يبقىٰ في هذا الكيان المجرم، ومن كان فيه ممن لا يوافق علىٰ إجرامهم فأقل ما فيه أنّه يكثّر سواد أهل الباطل ويسكت عن إجرامهم وظلمهم.

على طريقة جماعات الغلو المعاصر: فإنّ هذه الجماعات تغيّر اسمها كل فترة من الزمن؛ في محاولة لتلميع صورتها وتضخيم حجمها، أو لتغطي على ما مضى من سوء صنيعها؛ فكلما تلوثت بالإجرام انتقلت للعمل تحت اسم آخر تخدع بها عامة الناس. وهكذا فعلت جبهة النصرة، فقد بدأت باسم (جبهة النصرة)، ثم أضافت إلى اسمها الانتماء لتنظيم القاعدة: (جبهة النصرة - تنظيم القاعدة في بلاد الشام)، ثم شكّلت تحالف (جيش الفتح) في الشمال وصارت تتحرك تحت مظلته، ثم تسمّت باسم (جبهة فتح الشام)، ثم (هيئة تحرير الشام) اسمها الحالي.

إن الأس الذي بنت الوهابية عليه بنيانها هو أفكار ابن تيمية، فقد أُعجب ابن عبد الوهاب مؤسس الوهابية بكتب ابن تيمية، فأظهرها وعلمها لأتباعه من خلال تطبيقه لها عملياً، وابن تيمية أخذ منهجه عن سلفه الذي كثيراً ما يطريهم، منهم: الدارمي المجسم، وأبو يعلى، والأهوازي، وغيرهم، والناظر في المؤلفات التي استقى منها ابن تيمية تجد التجسيم الصريح بحق المولى جلَّ شأنه، فعلى هذا الأساس التجسيمي بحق الإله أسس عقيدته، وزاد على ذلك انتقاصه لشخص النبي ﷺ بنفي العصمة عنه، ونسب بعض الأنبياء للشرك كسيدنا شعيب | وأجاز الكبائر وسائر المعاصي على الأنبياء ، كما أسس سنة التكفير والقتل لأتباعه، وبجولة في كتبه تجد هذه الألفاظ:

كافر تكرر (٩٢٥) مرة .

كَفَر تكرر (١٣٩٧) مرة .

يقتل تكر: (٦٦٧) مرة .

ضربت عنقه تكرر (٣٠) مرة .

مرتد تكرر: (٨٢) مرة .

مشرك تكرر (١٧٥) مرة .

أشرك تكرر (٢٠٠) مرة .

بدعة تكرر (٩١٢) مرة .

ضلالة تكرر (٢٩٠) مرة .

زنديق تكرر (٩١) مرة .

زندقة تكرر (٢٩) مرة .

المجموع: (٤٧٩٨) لفظة .

هذه هي الأفكار المتطرفة المبنية على تكفير الموحدين، التي جعلها ابن تيمية أساساً لفكره .

تلقف ابن عبد الوهاب هذه الأفكار، وطبقها على أرض الواقع بعد أن وجد الحماية من العائلة السعودية، فكفَّر المسلمين من زمانه إلى ستة قرون خلت، وكفَر أشياخه الذين أخذ عنهم، ولم يقبل إسلام أحد إلا إذا أخذ بأقواله وعقيدته، وعلى هذا الأساس بنى دولته التي سماها: دولة التوحيد، واعتبر نفسه نائباً عن النبي ﷺ في نشر هذه الدعوة، فقام بقتال من والاه من أهل نجد ليدخلوا في دعوته، وحمل لواء قطع الطريق، والغارات على القبائل، ونهب أموالهم، واستعباد نسائهم وأطفالهم، وتدمير المدن والقرى، لمدة (٧٦) سنة، حتى دانت له الجزيرة العربية، وانتهك حرمة مكة والمدينة، وأتلف المكتبات العامة، وغير ذلك مما سطرته كتب التاريخ الذي كانت موالية له .

إن ابن عبد الوهاب أخذ من فكر المعتزله تكفير صاحب الكبيرة، وأخذ من فكر الخوارج: الخروج على الإمام المبايع له شرعاً، وتكفيره، وقتاله ، وأخذ من فكر اليهود رمي الرسل بالشرك، ونفي العصمة عنهم، كما أخذ من ابن تيمية فكر التجسيم، فانتقى من كل فكر أرداه، ومن كل عقيدة أخسها، ومن كل خُلق أرذله، فجاء فكره وعقيدته ودولته بكل مستنقع موبوء

بكل أنواع الآفات الفكرية والعقدية والأخلاقية، وهذا المستنقع جعله مشرباً لمن يأتي بعده، فكانت النتيجة المبنية على هذه المقدمات الخاطئة ما تكلمنا عنه في هذا الكتاب :

النتيجة الأولى: جيش الإخوان:

وهم أشبه ما يكون بالجيش الانكشاري من حيث التدريب، والإعداد للقتال، مع الفرق بين الجيشين في العقيدة والأخلاق، وهذا الجيش الذي بنت الدولة الوهابية الثالثة بنيانها على كاهله، فمشى على سنة التكفير والقتل، والتدمير، ونهب الأموال، وسبي النساء وقتلهن، بسابقة لم تعرفها جزيرة العرب على مر التاريخ، وقتل الأطفال، بل والأجنة في بطون أمهاتها .

التفسير الحرفي للنص الذي مشى عليه أشياخ الدولة جعلهم يصطدمون بحكامهم، فحيث رأى جيش الإخوان ثوب ملكهم طويلا عمدوا إلى قصه بالمقص، والملك يرتديه، لم يأمروه بتقصير الثوب كما هو معلوم من أبجديات القرآن والسنة، وهو الأمر بالمعروف، لكنهم تجاوزوا إلى تغييره باليد، وهذه سابقة ترتبن عليها مفاسد كثيرة، منها: قتلهم، حيث بدء الملك بالتخطيط للقضاء عليهم حيث أصبحوا شراً يُستعاذ منه، ومفسدة في مملكته يجب التخلص منها، فحاربهم وقضى عليهم .

النتيجة الثانية: حركة جهيمان:

وهي حركة أسسها ابن رجل كان من الخارجين على ملكهم، وكان من نتائج ذلك: انتهاك حرمة بيت الله الحرام، وقتل الناس فيه، وإخافة الآمنين، والإلحاد في الحرم الذي جعله الله أمناً للناس .

النتيجة الثالثة: تنظيم القاعدة:

حمل فيروس التكفير الذي لقحه به ابن عبد الوهاب، فأصابته عدوىٰ التكفير، والخروج علىٰ ولي الأمر، نتج عنه قتل المسلمين الموحدين بعد تكفيرهم، وكان أباً يحمل في صلبه توأمين هما: داعش، وجبهة النصرة .

النتيجة الرابعة: داعش :

وهو ابن لقيط، أنتجه أبو بكر البغدادي اليهودي، علىٰ فكر ابن عباد الوهاب وعقيدته، فقتل، ودمَّر، ونهب، وسلب، واسترق، واستباح الأعراض، وعبث بالتاريخ والتراث، وصدَّر الإسلام للعالم بثوب ممسوخ، حتىٰ أصبح لا يُذكر الإسلام إلا ويُذكر معه صور الرؤوس المقطوعة، والدماء المسفوكة، والأعراض المنتهكة، فكان بفعله هذا سداً أمام إسلام من أراد الدخول في الإسلام من غير المسلمين، لما رآه من بشاعة المناظر في دولة داعش الوهابية .

النتيجة الخامسة: جبهة النصرة:

وهي نتيجة كسابقاتها، قامت علىٰ تكفير الموحدين، وقتلهم، ونهب أموالهم، فقد حدَّث أحد المنشقين عنهم أنهم كانوا يخطفون الرجال من ذوي رؤوس الأموال، ثم يفاوضون علىٰ إطلاقه مقابل أموال يدفعها لهم، يتفقون عليها، قد تصل إلىٰ ملايين.

ومن صور نهب الأموال: أن بعض الجهات كانت تدعمهم لشراء السلاح، والإنفاق علىٰ ذوي الحاجات المتواجدين في الأرض التي يسيطرون عليها، فيضعها مسؤلو التنظيم في حسابهم الشخصي، بلغت بعض تلك المبالغ (١٠٠) مليون دولار، كما صرح بذلك أفراد من التنظيم . فهذه هي النتائج التي ترتبت علىٰ أفكار ابن عبد الوهاب تلميذ ابن تيمية، وهذه

هي المدرسة السلفية الوهابية التي تدَّعي أنها مدرسة التوحيد، وأنهم هم أهل السنة والجماعة، وغيرهم هم فرق ضالة، منحرفة .

منهج رباني معصوم :

مقال نُشر على موقع البينات للدراسات الوهابية، بتاريخ: (٢٣/ ٤/ ٢٠١٩)م:

يقول أحد دعاة السلفية: إن السلفية تنتشر لأنها توافق الحق والسنة، ولأن رصيدها الهائل في الفطرة التي في قلوب الناس لا يمكن هدمه، ولا إغفاله بكافة أنواع المؤشرات، ولأنها الإسلام نقيا كما جاء به الرسول ﷺ ، فهي ليست فكراً بشرياً يحتاج إلى منظِّرين ومفكرين، بل هي منهج رباني معصوم، يتبعه كل مسلم صادق، (سلفي وهابي) يعمل بالإسلام ويعمل من أجله[١٧١] . ولا شك أن منهج الله سبحانه وتعالى منهج رباني معصوم، ولكن منهج السلفية الوهابية التكفيرية ليس كذلك، ولا يقول بعصمته إلا أحمق، ولا يصدق ذلك إلا مجنون أو معتوه أخرق، فالسلفية لم ولن يكون مرادفاً للإسلام؛ فهل قال أحد بكفر أهل القبلة غيرهم؟! وهل استباح دماء المسلمين سواهم؟!

وهل قتل أبناءَ الصحابة وأبناءَ رسول الله غيرهم؛ بمكة المكرمة، والمدينة المنورة، حين قام المرتزقة والرعاع من مؤيدي الشيخ بن عبد الوهاب، كما تحكي كتب التاريخ، بإراقة الدماء بالحرمين الشريفين، بحجة فتحها ونشر الديانة الوهابية الجديدة، والعقيدة السلفية التكفيرية، فأعلنوا الحرب على بلاد المسلمين، الآمنين في الحرمين الشريفين، وقتلوا المسلمين، واستباحوا

---

(١٧١) **فتاوى الشيخ ياسر برهامي، ج١، طبعة دار الخلفاء الراشدين بالإسكندرية (١٤٢٩) هـ/ ٢٠٠٨)م،(ص:٩٣).**

أموالهم وديارهم، وسبوا نسائهم وبناتهم، واغتصبوهم وأخذوهم كسبايا ورقيق إلى الدرعية، ليتم بيع بنات رسول الله ﷺ وبنات الصحابة ونسائهم، بينما توضع الأموال أمام رئيس عصابة القتلة: ابن عبد الوهاب ليوزع أموال المسلمين التي سرقوها وسلبوها على المرتزقة أتباعه [172] وما تسطره كتب التاريخ من فظاعات ووحشية، ارتكبت في الحرمين الشريفين، وغيرها من بلاد المسلمين، وكذلك ضد الحجاج من: مصر، وبلاد المغرب، والشام، وسائر بلاد المسلمين، لجرائم لم يشهد التاريخ قبلها مثلها، وهو ما تم في العصر الحديث تماماً من أبناء السلفية التكفيرية (داعش) بالعراق، من ذبح المسلمين وسبي نسائهم وبناتهم، وبيعهم كرقيق، وكذلك ما تم بنيجيريا على يد جماعة "بوكو حرام التكفيرية" والتي تقتل وتحرق وتسرق، وتخطف النساء والبنات، وغيرها من أعمال البربر والوحشية، التي لا تمت للدين الإسلامي بصلة، لا من قريب ولا من بعيد.

هذه هي التطبيقات العملية للسلفية الوهابية؛ تكفير، وقتل، ووحشية، في بلاد المسلمين، التي حولوها إلى ديار حرب، فاستباحوا الدماء والأموال والأعراض، فهل بعد ذلك نستطيع أن نقول: إن المنهج السلفي منهج رباني معصوم، أم أنه منهج شيطاني، محروم من روح الشريعة، ونعيم الهداية الإلهية، والتي لا تصيب هكذا مجرمين وقتلة.

---

(172) ادوارد جوان، الوهابية والوهابيون، الباب ٨، من كتاب مصر في القرن (١٩)، تعريب: محمد مسعود، طبعة لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية، الدين الجديد الكتاب رقم ٢٠، ٢١١.

الأمة السلفية المعصومة :

يصيح السلفية الوهابية جهاراً نهاراً بعصمة منهجهم، وعصمة علمائهم الربانيين، وعصمة الصحابة كما سبق، ثم أخيراً يؤكدون على أن الأمة أيضاً معصومة، وبما أن الأمة دونهم أهل زيغ وملاحدة، ومرجئة وجهمية، ومعتزلة وأشاعرة وماتريدية وصوفية، وكلها فرق؛ قرر علماء السلفية الوهابية بأنهم جميعاً فرق هالكة، وبالتالي فإن العصمة للأمة لا تشملهم، وإنما تشمل أمة الفرقة الناجية، وأهل السنة والجماعة، وهم السلفيون الوهابية فقط أهل الجنة، بينما سائر الأمة دونهم فمرتدين، وجُلُّ علمائهم لديه أخطاء عقدية، ومخالفات في العقيدة، وطامات في التوحيد، بل إن العالم فيهم حاطب ليل!

يقول أحد السلفية[١٧٣] : لا مبرر لمطالبة الأشاعرة بإدخالهم في أهل السنة والجماعة بدعوى أن هذا يجنبهم تهمة الخروج من أهل القبلة، لأن ذلك يعني هدم هذه القاعدة كلها، إذ لو أدخلناهم لأدخلنا غيرهم، حتى لا يبقى من تلك الفرق الثنتين وسبعين فرقة إلا دخلت، وهذا ليس في أيدينا، ولا في أيد بشر، إنما نحن متبعون لا مبتدعون، أما باب الدخول الحقيقي فمفتوح على مصراعيه، فمن الذي منعهم أن يرجعوا إلى عقيدة القرون الثلاثة؟ وسائر أئمة الهدى في هذه الأمة المعصوم .

نعم: إنها الأمة المعصومة، ولكن فقط لمن يدين بالمعتقد السلفي الوهابي، بينما سادات أهل السنة والجماعة من الأشاعرة فإن العصمة لا تشملهم، ولا تشمل غيرهم، لأنه ليس لديهم معتقد التشبيه، وإنما معتقدهم التنزيه والتفويض، وفق الثابت في بدعة التشبيه، وإذا كان ذلك

---

(١٧٣) **سفر الحوالي في كتابه: منهج الأشاعرة في العقيدة، تعقيب على مقالات الصابوني، (ص:٨٢)، الدار السلفية، ط١، (١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦) م .**

فإن السلفية بحق هم فقط أهل العصمة؛ عصمة المنهج وعصمة الصحابة، وعصمة علمائهم الربانيين، وعصمة اتباع منهجهم (التكفيري)، وقبل ذلك عصمة معتقدهم الذي هو وفقط معتقد الأنبياء والمرسلين.

وبالتالي فالأمة قبل بن عبد الوهاب في ضلال مبين، وشرك أكبر، وكفر بواح، لا يُقبل منهم صرفاً ولا عدلا، ومن حج قبل متابعه الوهابية وجب عليه الحج مرة أخرى، لأن حجه تم وهو مشرك، وكان يشهد الأغبياء الجاهلون أتباعه على أنفسهم أنهم كانوا كافرين، وكذلك والديهم أنهما ماتا كافرين، وأشهد على فلان وفلان أنه كان كافرا، ثم يسمون لهم جماعة من أكابر العلماء، فإن شهدوا بذلك قبلوهم، وإلا أمروا بقتلهم، ولما دخلو مكة المكرمة كانوا يختبرون وفود الحجاج في عقيدتهم، ويقولون: هؤلاء لا يدينون إلا بدين الزنادقة، إنهم كفار ومشركون، ولا يؤذن لهم بالحج إلا لمن وافق على المعتقد السلفي الوهابي التكفيري، وفقا للطقوس السابقة ... وكان الوهابية يسمون من اتبعهم من الخارج بالمهاجرين، ومن كان من أهل بلدتهم الدرعية بالأنصار [١٧٤] .

---

[١٧٤] **إبراهيم بن عثمان السمنودي – سعادة الدارين في الرد على الفرقتين – طبعة دار الخلود للتراث بالقاهرة، (١/ ٥٦).**

مسرد أهم المصادر والمراجع

1. Wrigh Lawrence Al_Qaeda and the Road to (9/11) New York;knopf.
2. الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار – القاهرة ط١، ١٣٩٧هـ.
3. إجماع أهل السنة على تكفير الجهمية، جمع عبد العزيز آل حمد، دار العاصمة، الرياض، ط١، (١٤١٥هـ).
4. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط٣، (١٤٠٩/ ١٩٨٩)م.
5. أدوار التاريخ الحضرمي، محمد الشاطري، ط٣، دار المهاجر المدينة المنورة، (١٩٩٤)م.
6. الأسماء والصفات للبيهقي (ص:٢٥٩) بتعليقات الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث.
7. إسهام الإخوان في قيام المملكة السعودية، تاوساند أوكس، ترجمة د. عبد الله مصلح النفيعي، (١٩٦٦)م.
8. أشهر الرحالة والمستشرقين: الملك عبدالعزيز صنع «معجزة تاريخية» ورافقه رجال بلغت تضحياتهم حد الموت، جريدة الرياض .نسخة محفوظة بتاريخ (٢٨/ ٧/ ٢٠١٧) على موقع واي باك مشين.

٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩)م .

١٠. الإمارة والبيعة والطاعة، جهيمان بن يوسف العتيبي، نسخة الكترونية/ موقه الجماعة السلفية المحتسبة، على الشبكة العنكبونية .

١١. أمالي ابن بشران، أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشْران بن مهران البغدادي (المتوفى: ٤٣٠هـ)، ضبط نصه عادل يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ال الأولى، (١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م).

١٢. أمالي ابن سمعون، أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس البغدادي (المتوفى: ٣٨٧هـ)، تحقيق: الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، ط١، (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) .

١٣. أنوار الحقائق الجلية في كشف زندقة الوهابية، لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية، ط١، (١٤٢٥/ ٢٠٠٤) .

١٤. الأوراق البغدادية في الحوادث النجدية، السيد إبراهيم الراوي الرفاعي، مطبعة النجاح، بغداد، ١٣٤٥هـ .

١٥. أوضح البيان بأن نجداً يخرج منها قرن الشيطان، عبد الله محمد عكور، مركز نور للنشر، ألمانيا، ط١، (١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩)م .

١٦. أيام مع جهيمان، ناصر الحزيمي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، (٢٠١٠) .

١٧. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ)، وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام للطباعة والنشر - مصر، ط١، (١٤١٠هـ / ١٩٩٠)م .

١٨. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨) م .

١٩. بيان بشأن جبهة النصرة (فتح الشام). http://sy-sic.com/?p=3948

٢٠. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، نشر مجمع الملك لطباعة المصحف الشريف، ط١، (١٤٢٦)هـ .

٢١. تاج الأعراس بمناقب الحبيب صالح بن عبد الله بن أحمد العطاس، علي بن حسين بن محمد بن جعفر العطاس، طبع في مطبعة منارة قدس ، أندونيسيا ، ط١ .

٢٢. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، محمد صديق خان القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

٢٣. تاريخ ابن غنام، حسين بن أبي بكر بن غنّام، ط١، (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠)م، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، الرياض .

٢٤. تاريخ أبي زرعة، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي ، رواية: أبي الميمون بن راشد، دراسة وتحقيق: شكر الله

نعمة الله القوجاني (أصل الكتاب رسالة ماجستير بكلية الآداب – بغداد)، مجمع اللغة العربية – دمشق .

٢٥. تاريخ أصبهان، أخبار أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني (المتوفىٰ ٤٣٠هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م) .

٢٦. تاريخ آل سعود، ناصر سعيد، لا تحمل اسم الدار الناشرة، ولا سنة النشر .

٢٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٣، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠)م .

٢٨. التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط٨، (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠)م .

٢٩. تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مطبعة السعادة – مصر، ط١، (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢)م .

٣٠. تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، دار النفائس، بيروت، ط١، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١)م .

٣١. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث – بيروت، ط٢، (١٣٨٧) هـ .

٣٢. تاريخ العربية السعودية، للكاتب الروسي أليكسي فاسيلييف، شركة المطبوعات للنشر، بيروت، لبنان، ط١، (١٩٩٥)م .

٣٣. تاريخ الفاخري، محمد بن عامر الفاخري، تحقيق د. عبد الله الشبل، سنة (١٤١٩هـ-١٩٩٩م) الرياض .

٣٤. التاريخ الكبير للبخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان .

٣٥. تاريخ الكويت السياسي، حسين خلف الشيخ خزعل، ط١، (١٩٦٢)م .

٣٦. تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م) .

٣٧. تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، سالم بن محمد الكندي ، تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد – صنعاء ، ط١، (١٤٢٤)هـ .

٣٨. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع(١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥)م .

٣٩. تاريخ نجد الحديث، أمين الريحاني، ط١، المطبعة العلية، بيروت، (١٩٢٨م).

٤٠. تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب، محمد زاهد الكوثري، المتوفى (١٣٧١هـ)، الطبعة الجديدة (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .

٤١. التبشير والاستعمار، د. مصطفى خالدي، د. عمر فروخ، ط٥، ١٩٧٣م .

٤٢. تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة، للسيوطي، دار الأرقم، بيروت .
٤٣. التحرير والتنوير «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفىٰ : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس (١٩٨٤) م .
٤٤. التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، ابن تيمية، ت: محمد السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، (١٤٢٩) .
٤٥. التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفىٰ: ٦٢٣هـ)، ت: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) .
٤٦. الترابط الجذري بين أهل الكتاب والمجسمة، عبد الله محمد عكور، عالم الكتب الحديث، اربد/ الأردن، ط١، (٢٠٠٥)م .
٤٧. تصريح هيلاري كلنتون علىٰ فضائية (س ن ن)، وبثته قناة الحقيقة السورية في: (١٩/ ١/ ٢٠١٢) .
٤٨. تطهير الاعتقاد تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور، محمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، مطبعة سفير، الرياض، ، ط١، ١٤٢٤هـ .
٤٩. تعدىٰ إلىٰ الأعلىٰ ل Portrait of Harry Saint John Philby :، World Digital Library. نسخة محفوظة بتاريخ (١/ ١٠/ ٢٠١٧) علىٰ موقع واي باك مشين.

٥٠. تعليق على استقالة المحيسني والعلياني من هيئة تحرير الشام:
http://alabasirah.com/node/65

٥١. تعليقات ابن باز على فتح الباري، د. سليمان قاسم، شبكة الألوكة .

٥٢. التمييز للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط٣، (١٤١٠)هـ مكتبة الكوثر.

٥٣. التنافس الجهادي، تشارلز ليستر، تعريب مركز بروكنجز، الدوحة/ قطر، (٢٠١٦).

٥٤. تنظيم القاعدة ومشروع الدولة الإسلامية، سعيد حازم السويدي، مركز ثبات للبحوث والدراسات، ط١، (١٤٣٧/ ٢٠١٦) .

٥٥. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى ٣١٠هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، م المدني ، القاهرة .

٥٦. توحيد المملكة العربية السعودية، كتبه باللغة الإنجليزية، وقام بترجمته: د. عبد الله صالح العثيمين .

٥٧. التوحيد، جمع وترتيب: طارق عوض الله، دار ابن القيم، ط١، (١٤٢٧/ ٢٠٠٦) .

٥٨. التيار السلفي السعودي، إعداد سيدي أحمد بن أحمد سالم، موقع قناة الجزيرة على الشبكة العنكبوتية .

٥٩. الجامع الصحيح المسمى سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (١٩٩٨)م .

٦٠. الجامع الصحيح المسمى سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (١٩٩٨)م .

٦١. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت .

٦٢. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَّلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ).

٦٣. الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت .

٦٤. جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، طبع على نفقة تحقيق ويطلب من مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة، ط٢، (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨)م .

٦٥. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، (١٤٢٢)هـ .

٦٦. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،

تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، (١٤٢٢)هـ .

٦٧. جامع بيان العلم وفضله ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) .

٦٨. جبهة النصرة لأهل الشام، من التأسيس إلى الانقسام، حمزة مصطفى، المركز العربي للأبحاث والدراسات، (٢٠١٣) .

٦٩. جحيم الحكم السعودي ونيران الوهابية، خليفة فهد، الصفا للنشر والتوزيع، لندن .

٧٠. جزيرة العرب في القرن العشرين»، لحافظ وهبة السفير والمستشار السعودي، وبيكرت وديفي، وابن بشر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط٣، (١٣٧٥/ ١٩٥٦) .

٧١. جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحي بن جابر بن داود البَلَاذُري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت، ط١، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦) م .

٧٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، ت: علي حسن، دار العاصمة، السعودية، ط٢، (١٤١٩/ ١٩٩٩) .

٧٣. جواهر تاريخ الأحقاف، محمد بن علي باحنان الكندي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، (٢٠٠٨)م .

٧٤. حتى لا يعود جهيمان، توماس هيجهامر، وستيفان لاكرو، ترجمة: د. احمد العيسى، منتدى المعارف، ط٣، بيروت، لبنان .

٧٥. الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب، لي ديفيد كوبر، وجورج رينتر، ترجمة عبد الله ناصر الوليعي، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ط١ .

٧٦. حلقات ممنوعة، حسام العقاد، ط١، (١٤١٤/ ١٩٩٣)، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر .

٧٧. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، (١٤١٣)هـ .

٧٨. حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حسين خلف الشيخ خزعل، نسخة الكترونية، لا يوجد عليها دار نشر .

٧٩. الخبر والعيان في تاريخ نجد، خالد محمد الفرج، تحقيق: عبد الرحمن الشقير، مكتبة العبيكان، ط١، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠)م .

٨٠. الخدعة الرهيبة، تيري ميسان، لا يحمل أية معلومات إضافية .

٨١. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة (٢٠٠٤م) .

٨٢. خصائص جزيرة العرب، بكر بن عبدالله أبو زيد، مطابع دار البيان، ط٢، (١٤٢١)هـ .

٨٣. الخط الزمني للحرب الأهلية السورية، موقع على الشبكة العنكبوتية .

٨٤. الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، سعادة علي باشا مبارك، ط١، بالمطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، (١٣٠٦) هـ .

٨٥. خلاصة الأثر عشر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: ١١١١هـ)، دار صادر، بيروت .

٨٦. خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، احمد زيني دحلان، استانبول، تركيا .

٨٧. خيارات صعبة، هيلاري كلنتون، شركة المطبوعات للنشر، بيروت/ لبنان، ط١، (٢٠١٥).

٨٨. الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، الشيخ محمد البسام التميمي النَّجْديّ، تحقيق: سعود غانم، ط٢، (٢٠١٠)م، الصفاة، الكويت .

٨٩. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، أحمد بن يمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن – دمشق، ط٢، (١٤٠٤) .

٩٠. دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، (١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦)م .

٩١. دليل الخليج، ج ج لوريمر، طبع على نفقة أمير قطر . لا يوجد معلومات غير هذا .

٩٢. الدين الخالص، محمود خطاب السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٥هـ/ ١٩٩٥م) .

٩٣. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس .

٩٤. رجال حول الملك عبدالعزيز، موسوعة مقاتل من الصحراء .نسخة محفوظة بتاريخ (٢/ ٥/ ٢٠١٧) على موقع واي باك مشين.

٩٥. رحلة ابن بطوطة، المسمى: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (المتوفى: ٧٧٩هـ)أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، (١٤١٧هـ)، أكاديمية المملكة المغربية .

٩٦. ردّ افتراءات المبشرين على القرآن الكريم، لمحمد جمعة عبد الله، ط١، (١٤٠٥/ ١٩٨٥)، جامعة أم القرى، مكة .

٩٧. رياح السموم، "السعودية وزلزال الجزيرة" رياض نجيب الريس، رياض الريس للكتب والنشر، (١٩٩٤) .

٩٨. الرياض القديمة (PDF) الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض .اطلع عليه بتاريخ: (٢٨/ ٩/ ٢٠١٧).

٩٩. زلزال جهيمان في مكة، فهد القحطاني، ط١، منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية، (١٤٠٧/ ١٩٨٧) .

١٠٠. السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، لوريمر ج، دار غارنت للنشر، (١٩٩٥)م .

١٠١. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن عبد الله حميد الحنبلي، دار الإمام أحمد .

١٠٢. سعادة الدارين في الرد على الفرقتين – طبعة دار الخلود للتراث بالقاهرة، (١/ ٥٦).

١٠٣. السعوديون والحل الإسلامي، محمد جلال كشك، ط٣، (١٤٠٢هـ) .

١٠٤. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لأبي الفضل السيد محمد خليل أفندي المرادي، دار البشائر الإسلامية، ط٣، (١٤٠٨)هـ .

١٠٥. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (المتوفى: ١١١١هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨)م .

١٠٦. السنة لأبي بكر بن الخلال، تحقيق:د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١ (١٤١٠/ ١٩٨٩) .

١٠٧. السنة لعبد الله بن أحمد ، تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط١، (١٤٠٦/ ١٩٨٦) .

١٠٨. السنة، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المكتب الإسلامي ، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٠) .

١٠٩. سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .

١١٠. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

١١١.	سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه : شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م) .
١١٢.	السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣)م .
١١٣.	سنن النسائي الكبرى، المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، (١٤٠٦ / ١٩٨٦)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.
١١٤.	سياسة بريطانية في الخليج العربي، فؤاد سعيد العابد، منشورات ذات السلاسل، ط١، (١٩٨٤) .
١١٥.	سير أعلام النبلاء، شمس الدِّين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، تحقيق مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة .
١١٦.	الشباب السوري على الفيس بوك، كلمة واحدة، تاريخ (١/ ٢/ ٢٠١١) .
١١٧.	شرح الإمام النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، (١٣٩٢)هـ .
١١٨.	شرح لمعة الاعتقاد، صالح الفوزان، لا يحمل أية معلومات إضافية .
١١٩.	شفاء السقام في زيارة خير الأنام، شيخ الإسلام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، (المتوفى:٧٥٦)هـ ، تحقيق: حسين محمد علي شكري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (٢٠٠٨)م .

١٢٠. الشقيقان، أبو الأعلى المودودي، المجلس العالمي لصيانة الإسلام، كراتشي/ باكستان.

١٢١. صحيح الإمام البخاري حسب ترقيم فتح الباري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، دار الشعب – القاهرة، ط١، (١٤٠٧/ ١٩٨٧)م.

١٢٢. صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٢٣. صِدْق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر، الشريف عبد الله بن حسن باشا، مطبعة كرمين، اللاذقية، سوريا.

١٢٤. صراع الأمراء، عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، دار الساقي، لندن (١٩٨٨)،

١٢٥. صعود الراديكالية الدينية في العالم العربي، مؤسسة فريدريش ايبرت، مكتب عمَّان/ الأردن.

١٢٦. صفة جزيرة العرب، ابن الحائك، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الشهير بالهمداني (المتوفى: ٣٣٤هـ)، م بريل / ليدن، (١٨٨٤م) .

١٢٧. صفحات من تاريخ الجزيرة الحديث، محمد عوض الخطيب، مركز غدير للدراسات الإسلامية، قم، ط٢، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)،

١٢٨. صفحات من تأريخ الجزيرة العربية، الدكتور محمد عوض الخطيب، دار المعراج للطباعة والنشر .

١٢٩. الصورة الحقيقية لقضية الرهائن الأمريكيين في إيران، شبكة البصرة العنكبوتية .

١٣٠. طبقات الشافعية الكبرىٰ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفىٰ: ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، (١٤١٣هـ) .

١٣١. طبقات الفقهاء الشافعية ، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفىٰ: ٦٤٣هـ)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط١، (١٩٩٢م) .

١٣٢. الطبقات الكبرىٰ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفىٰ: ٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط١، (١٩٦٨) م .

١٣٣. عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (المتوفىٰ: ١٢٣٧هـ)

١٣٤. عدو أمريكا الحقيقي، كاثرين زيمرمان، ترجمة: مروان زكريا، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، الدوحة/ قطر ، (٢٠١٧).

١٣٥. عرب الصحراء، هارولد ديكسون، دار الفكر، دمشق، ط٢، (١٤١٩/ ١٩٩٨) .

١٣٦. العرش، للذهبي، تحقيق: محمد خليفة التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، (١٤٢٤/ ٢٠٠٣) .

١٣٧. العرف الوردي في أخبار المهدي، وهو ضمن الحاوي للفتاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، عام النشر (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م) .

١٣٨. الْعرف الوردي فِي دَلَائِل المهدى، عبد الرحمن بن مصطفى بن شيخ اليمني العيدروسي، مكتبة الدولة.

١٣٩. العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني ، تحقيق: رضا الله محمد المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١، (١٤٠٨) .

١٤٠. عقد الجواهر والدرر، محمد أبي بكر با علوي، مكتبة تريم الحديثة، صنعاء، ط١، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) .

١٤١. عقد الدرر في أخبار المنتظر وهو المهدي عليه السلام، يوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزيز المقدسي السلمي الشافعي (المتوفى بعد ٦٥٨هـ)،حققه وراجع نصوصه وعلق عليه وخرج أحاديثه مهيب البوريني، مكتبة المنار، الزرقاء ، الأردن، ط٢، (١٤١٠هـ ١٩٨٩م) .

١٤٢. عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، محمود التويجري، دار اللواء، الرياض، ط٢، (١٤٠٩/ ١٩٨٩) .

١٤٣. العلو للعلي الغفار، شمس الدين الذهبي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، (١٤١٦/ ١٩٩٥) .

١٤٤. عندما تصبح الحقيقة خيانة، سوزان لنداور، ترجمة: داود سليمان القرنة، دار العبيكان، الرياض، ط١، (١٤٣٥/ ٢٠١٤) .

١٤٥. عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر، ط٤، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، (١٤٠٢/ ١٩٨٢) .
١٤٦. الغارة على العالم الإسلامي، الفريد لو شاتليه، نقلها إلى العربية: مساعد اليافي، محب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، ط٢، جدة، (١٣٨٧) .
١٤٧. غاية النهاية في طبقات القراء
١٤٨. فتاوى الشيخ ياسر برهامي، ج١، طبعة دار الخلفاء الراشدين بالإسكندرية (١٤٢٩) هـ/ ٢٠٠٨)م .
١٤٩. الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٧/ ١٩٨٧) .
١٥٠. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء جمع وترتيب احمد بن عبد الرزاق الدويش / المجلد الثالث/ قسم العقيدة .
١٥١. فتاوى في العقيدة، رسالة إرشادية لرئاسة الحرس الوطني ١٩١، (ص:١٣).
١٥٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ، بيروت، (١٣٧٩)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب .
١٥٣. الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، حميد بن زريق ، وزارة الثقافة والتراث القومي، عُمان، (١٣٩٧) .
١٥٤. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن آل الشيخ، دار السلام للنشر، الرياض .

١٥٥. فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد صالح العثيمين، كتاب الكتروني، لا يحمل أية معلومات .

١٥٦. فتوىٰ هيئة الشام الإسلامية: هل تنظيم الدولة الإسلامية من الخوارج، (http: / /islamicsham.org /fatawa /١٩٤٥)

١٥٧. الفجر الصادق في الرد علىٰ الفرقة الوهابية المارقة، جميل صدقي الزهاوي، دار الصديق الأكبر.

١٥٨. فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر، مرعي بن يوسف، تحقيق سامي الغريري، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) .

١٥٩. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور (المتوفىٰ: ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط٢، (١٩٧٧)م .

١٦٠. الفرقة الوهابية في خدمة من؟ السيد أبو العلىٰ التقوىٰ، الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان .

١٦١. الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة .

١٦٢. فقهاء النفط، صالح الورداني، نشر مدبولي الصغير، (١٩٩٤)م .

١٦٣. القاعدة التنظيم السري، عبد الباري عطوان، دار الساقي، بيروت/ لبنان، ط١ (٢٠٠٧) .

١٦٤. القاعدة، كريستينا هيلمتشن ترجمة: د. فاطمة نصر، سطور جديد، القاهرة، ط١، (٢٠١١).

١٦٥. قدوم كتائب الجهاد، عبد العزيز الراجحي، دار الصميعي، الرياض، ط١، (١٩٩٨/١٤١٩).

١٦٦. قصة وفكر المحتلين للمسجد الحرام، احمد عدنان، ناصر الحزيمي، مركز المسار للدراسات والبحوث، ط١، (٢٠١١).

١٦٧. قلب الجزيرة العربية، هاري سينت فيلبي، ترجمة: صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة، (٢٠٠٩)م.

١٦٨. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد العثيمين، دار العاصمة للنشر، (١٤١٤) هـ.

١٦٩. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧)م.

١٧٠. الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة: الكتب العلمية – بيروت-لبنان، ط١، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧)م.

١٧١. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط ١، (١٤٠٩).

١٧٢. كتاب مصر في القرن (١٩)، تعريب: محمد مسعود، طبعة لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية، الدين الجديد الكتاب رقم ٢٠، ٢١١.

١٧٣. كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب، محسن الأمين الحسيني، بيروت (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .
١٧٤. كشف الشبهات، محمد بن عبد الوهاب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤١٨)هـ .
١٧٥. الكويت وجاراتها، هـ ر ديكسون، صحارئ للطباعة والنشر، ط٢، (١٩٩٠) .
١٧٦. كيف نفهم التوحيد، محمد احمد باشميل (ص:١٢) طبعة سنة (١٤٠٦هـ)
١٧٧. كيف هدمت الخلافة، عبد القديم زلوم، ط٣، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠)م .
١٧٨. لا ذرائع لهدم آثار النبوة مقالات بين المؤيدين والمعارضين، دكتور عمر عبد الله كامل، لا يوجد دار نشر.
١٧٩. اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، دار صادر – بيروت.
١٨٠. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣ (١٤١٤) هـ .
١٨١. لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط١، (٢٠٠٢)م .
١٨٢. لمع الشهاب، احمد أبو حاقة، دار الثقافة بيروت، بدون تاريخ .

١٨٣. لمعة الاعتقاد، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط٢، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠)م .

١٨٤. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (٢/ ٨٤)، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط٢ ، (١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢)م .

١٨٥. مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن محمد القاسم، مجمع فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة ، (١٤١٦/ ١٩٩٥) .

١٨٦. المجموع المفيد من عقيدة التوحيد، علي محمد سنان، دار الكتاب الإسلامي، المدينة المنورة،

١٨٧. مجموع فتاوى عبد العزيز ابن باز .

١٨٨. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان .

١٨٩. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام، مطبعة المنار - مصر، ط١، (١٣٤٤ هـ/ ١٣٤٩) هـ .

١٩٠. مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى، حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النجدي التميمي الحنبلي (المتوفى: ١٢٢٥هـ)، دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف، الطبعة الأولى، (١٣٩٨)هـ .

١٩١.	مستخرج أبي عوانة، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: ٣١٦هـ)، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة – بيروت، ط ١، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨)م.

١٩٢.	المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١١/ ١٩٩٠) .

١٩٣.	مسلمون دجالون، مقال نشرته قناة العالم، يوم الإثنين، بتاريخ (١٦/ ١١/ ٢٠١٥)، نقلا عن صحيفة وورلد بوست، الأمريكية، بقلم الكاتب الصحفي: ستيف كول .

١٩٤.	مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، عادل يوسف العزازي و أحمد فريد المزيدي، دار الوطن – الرياض، ط١، (١٩٩٧م) .

١٩٥.	مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود الطيالسي البصري، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر / مصر، ط١، (١٤١٩ هـ – ١٩٩٩)م .

١٩٦.	مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث ، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٠٤/ ١٩٨٤) .

١٩٧. مسند إسحاق بن راهويه، إسحاق بن راهويه، المتوفى : (٢٣٨) هـ ، تحقيق : عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، ط١، (١٩٩١) م .
١٩٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)/ تحقيق شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد، وآخرون، إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) .
١٩٩. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة .
٢٠٠. مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: نبيل هاشم الغمري، دار البشائر (بيروت)، ط١، (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣)م .
٢٠١. مسند الروياني، أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني (المتوفى: ٣٠٧هـ)، تحقيق أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة ، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤١٦) .
٢٠٢. مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبدالمجيد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، (١٤٠٥/ ١٩٨٤) .

٢٠٣. مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م) .

٢٠٤. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٠٥. مسند علي بن الجعد، علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر – بيروت، ط١، (١٤١٠ هـ) .

٢٠٦. المسند، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،

٢٠٧. مشكل الحديث وبيانه، محمد بن الحسن الأصبهاني، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، (١٩٨٥) .

٢٠٨. مع الحاج عبدالله فيلبي في رحلة الحج ومشاهداته في أرض المعجزات، جريدة الجزيرة .نسخة محفوظة بتاريخ (٢٨/ ٢/ ٢٠١٤) على موقع واي باك مشين.

٢٠٩. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت بن عبد الله تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، (١٤١٤/١٩٩٣) .

٢١٠. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية، ط١، (١٤١٧/ ١٩٩٧) .

٢١١. المغني، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي ، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة .

٢١٢. مقال: (هيئة تحرير الشام) وجه جديد للقاعدة يطعن الثورة السورية، من إعداد موقع على بصيرة، **http://alabasirah.com/node/٦٧١**، بتاريخ (١٤/ ٣/ ١٤٣٩) .

٢١٣. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، ت: هيلموت ريتر ، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، ط٣، (١٤٠٠/١٩٨٠) .

٢١٤. مكارم الأخلاق، سليمان بن احمد الطبراني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٩/ ١٩٨٩).

٢١٥. ملوك العرب، أمين الريحاني، دار الجيل، بيروتط٨، (١٩٨٧) .

٢١٦. المملكة الآشورية من عصر القوة إلى الانهيار، م. د. طعمه وهيب خزعل كلية الآداب جامعة تكريت، بحث محكم .

٢١٧. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج ابن الجوزي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٢/ ١٩٩٢) .

٢١٨. المنحة الوهبية في رد الوهابية، داود بن السيد سليمان البغدادي، وقف الإخلاص، استانبول تركيا.

٢١٩. منهج الأشاعرة في العقيدة، تعقيب على مقالات الصابوني، (ص:٨٢)، الدار السلفية .

٢٢٠. موجز تاريخي عن القبائل الوهابية العربية، في مجموعة: مختارات من سجلات بومباي، منشورات المكتبة السرية والسياسية بومباي (١٨٥٦)، (٢٤/ ٤٥٦).

٢٢١. موجز تاريخي عن القواسم، مجموعة مختارات سجلات بومباي، منشورات المكتبة السرية والسياسية بومباي (١٨٥٦)، (٢٤/ ٣١٩) باللغة الإنجليزية. والعقيد لويس بيلي (المقيم السياسي في بوشهر)، رحلة إلى الرياض والأوراق الخاصة، ترجمة: د. عيسى أمين، (ص: ٨٨).

٢٢٢. الموساد جهاز المخابرات الإسرائيلي السري، دنيس ازنبرغ، ترجمة غازي السعدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٢٣. الموساد، أكبر مهام جهاز المخابرات الإسرائيلي، ميخائيل بارزوهار، ونسيم ميشعال، ترجمة: علي حسن عبد الحميد، كتاب الكتروني لا يحمل أية معلومات.

٢٢٤. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق محمد رضوان عرقسوسي، ومحمد بركات، وعمار ريحاوي، وغياث الحاج أحمد، وفادي المغربي، مؤسسة الرسالة العالمية ، دمشق، ط١،، (١٤٣٠هـ).

٢٢٥. نقض أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، (١٤١٨/١٩٩٨).

٢٢٦. نهاية القول المفيد في علم التجويد، محمد مكي نصر الجريسي، مكتبة الصفا، ط١، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩)م.

٢٢٧. هذه هي الوهابية، محمد جواد مغنية، المكتبة التخصصية للرد على الوهابية.

٢٢٨. هل هيئة تحرير الشام من الخوارج؟ د. عمادالدين خيتي http: / /alabasirah.com /node /٦٣

٢٢٩. هيئة تحرير الشام) وجه جديد للقاعدة يطعن الثورة السورية، من إعداد موقع على بصيرة، http://alabasirah.com/node/671

٢٣٠. واجب المسلمين في نشر الإسلام، زيد عبد العزيز الفياض، شبكة الألوكة .

٢٣١. وثائق نجد، تأليف علي موجاني، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط١، (١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) .

٢٣٢. الوهابية تحت المجهر، د. ياسر ابراهيم السلامة .

٢٣٣. الوهابية تشوه الإسلام، نخبة من علماء مصر، ط٢، (١٤٣٢/ ٢٠١١)، دار الكتاب الصوفي، القاهرة .

٢٣٤. الوهابية في العراء، تحقيق جماعة من الباحثين .

٢٣٥. الوهابية في خدمة من؟ السيد أبو العلى التقوى، الإرشاد للطباعة ، بيروت .

٢٣٦. الوهابية في صورتها الحقيقية، صائب عبد الحميد، الغدير للنشر، بيروت، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) .

٢٣٧. الوهابية نقد وتحليل.. همايون همتي، لا يوجد أية معلومات أخرى .

٢٣٨. الوهابية، جذورها التاريخية، حسين أبو علي، لا توجد أية معلومات أخرى.

٢٣٩. الوهابيون، تاريخ ما أهمله التاريخ، لويس دوكرانسي، ترجمة مجموعة من الباحثين، منتديات إيثار .

٢٤٠. اليد الخفية، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق .

٢٤١. يهود أم حنابلة، محمد علاء الدين أبو العزايم، دار الكتاب الصوفي .

مسرد رؤوس الموضوعات